محمّد الصّالح حوتيّة



توّات والأزواد

الجزء الأوّل



دار الكتاب العربي


الجزائر
2007
عاصمة الثقافة العربية

د. محمد حوتية

توات والأزواد

خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة
(الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)
دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية

الجزء الأول



دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

حوتية، محمد
توات والأزواد ج1/ حوتية محمد؛ تصميم الغلاف لويزة الحسين؛ الإخراج الفني فراس الجهماني.- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 348ص؛ 24سم
ردمك: 978-9947-833-12-4
الإيداع القانوني: 2007-165 المكتبة الوطنية
الرقم التسلسلي: 16-2007 دار الكتاب العربي


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي هذا العمل العلمي إلى السادة العلماء المجاهدين

وذويهم ممن كان لهم السبق العلمي و العمل الجهادي وهم:

- سيدي المختار الكبير بالأزواد.
- الأمير عبد القادر بمعسكر.
- مصطفى بن بولعيد بباتنة.
- سيدي مولاي أحمد الطاهري بسالي.
- سيدي أحمد ديدي بتمنطيط.
- سيدي الحاج محمد بلكبير بأدرار.
- سيدي الحاج سالم بن إبراهيم بأدرار.

وإلى كل المجاهدين و العلماء العاملين على حماية

ثوابت الأمة.

تصدير لكتاب: توات والأزواد

تأليف د. محمد حوتية

دراسة المدن والتجمعات السكانية وما جاورها أصبحت تشكل منعطفا جديدا في مجال التاريخ. فإلى وقت غير بعيد كان الاهتمام منصبا على التاريخ السياسي والعسكري، وإذا تجاوز الباحثون ذلك بعض التجاوز فإنهم يضيفون إليه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وربما يسلطون الأضواء على مسار بعض الأفراد فيترجمون لأشخاص أسهموا في التحولات الثقافية والحياة الأدبية والفنية، وما إلى ذلك.

وقد راج هذا النوع من الدراسات في الجامعات والبحوث من أوروبا وأمريكا. ووصل حديثا إلى بعض جامعات المشرق العربي، فأخذت به وظهرت نتيجة لذلك، أعمال عميقة متخصصة في مدن وأقاليم بأعيانها معتمدة على مختلف المصادر، بما فيها المصادر المحلية من سجلات إدارية ودفاتر المحاكم الشرعية والمخطوطات والنوازل، بالإضافة إلى الإحصاءات الرسمية ودراسة طبوغرافية للمدينة أو المنطقة ولجغرافيتها ولغطائها النباتي وإنتاجها الحيواني وحراكها البشري ونظامها الاجتماعي.

ومن أقاليمنا المهملة أو المجهولة إقليم توات وإقليم الأزواد بالجنوب الغربي للجزائر وجوارها. فهذه الناحية ظلت بعيدة عن أعين المستعمرين في العصر الحديث، رغم أنها ظلت معبرا للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وبذلك شكلت محطات رئيسية في الطريق بين البحر الأبيض المتوسط والقارة الإفريقية ولاسيما السودان الغربي منها، فمنطقة توات والأزواد وما جاورها كانت مسرح نشاط تجاري وصوفي وعلمي طيلة قرون قبل "اكتشافها" من قبل الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر، ذلك أن موقعها الداخلي وصعوبة مسالكها الطبيعية جعلت الوصول إليها لا يتم إلا بعد مغامرات خطرة يكون الهلاك دونها أحيانا.

لقد قام الأستاذ محمد حوتية، وهو ابن المنطقة، بعمل كبير في هذا الميدان، فاستفاد من توجهات الدراسة التاريخية المشار إليها ومن المناهج العلمية، ومن المصادر المحلية وكتب كتابا هو أصلا أطروحة دكتوراه قدمها إلى جامعة الجزائر منذ سنوات قليلة. والواقع أنه اهتم بإقليمي توات والأزواد منذ بدأ يحضر للماجستير، فقد جعل موضوعه عندئذ عن (قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد)، واكتشف عندئذ أهمية المنطقة والثروة التي تحتوي عليها، كما شعر بإهمال الدارسين لها ربما لبعدها أو جهلهم بها وبعادات وتقاليد أهلها،

فعزم بعد حصوله على الماجستير أن يواصل نفس المهمة وأن يوسع نطاق البحث فيها، فكان له ما أراد، وجاء بهذا "المونوغراف" الغني بالمعلومات.

ومن دوافعه إلى خوض هذا البحر اكتشافه محافظة المنطقة على التراث العربي الإسلامي، رغم العزلة وتباعد المسافات بين قصر وآخر واختلاف النظام الإجتماعي والطبقي، وطرق توزيع الماء، وكثرة التأليف في ميدان الفقه والنوازل (الفتاوي)، وانتشار الطرق الصوفية، ومكانة العلماء والقضاء، ودور المساجد والمكاتب، وأهمية التجارة والمسالك والأسواق. وقد شعر الأستاذ حوتية أنه معني أكثر من غيره باكتشاف المنطقة وتقديمها على حقيقتها للباحثين والقراء، فهو الذي بانتمائه الجغرافي، استطاع أن يبرز أهمية المنطقة سياسيا، واقتصاديا وثقافيا. فهي محطة للتواصل بين الجزائر وجيرانها غربا وجنوبا، وكيف يصح في عصر كالذي نعيشه أن تظل توات والأزواد مجهولة أو مهملة. أنها صلة الوصل بين سكان القارة السوداء وسكان المغرب العربي منذ فجر التاريخ، وقد ازدادت أهميتها منذ الفتح الإسلامي. ففيها ترسخت حضارة الإسلام وانتشر التأليف بالعربية وإليها لجأ زعماء المقاومة الشعبية حين ضغط عليهم الاستعمار في الشمال في القرن التاسع عشر.

ومن الصعب تلخيص أفكار الكاتب وبنيته العلمية، ولكننا سنحاول أن نسير مع المؤلف في مراحل عمله. فهو قد بدأ بالحديث عن أصل تسمية توات والأزواد وقصورهما وقصباتهما ونظامهما الاجتماعي وإنتاج أرضهما، وعلاقتهما مع جيرانهما ومن عابري أراضيهما. كما درس نظام استخراج المياه وتوزيعها وصولا إلى نهر النيجر، وأنواع الزراعة والماشية. واهتم بدراسة الحرف والصناعات التقليدية والتبادل التجاري عن طريق المقايضة وغيرها، وإخضاع المواد الأولية المتوفرة إلى واقع البيئة. وخلال ذلك نعرف أنساب القبائل وتحالفاتها وأصولها ونمط معيشتها. كما نعرف سلسلة من أبرز المدن التاريخية والحديثة، مثل تمنطيط، وتيميمون، وأولف، وتيديكلت، وتمبكتو.

هذا هو الوجه المادي من العملة. ولكن الدراسة تهتم أيضا بالجانب الروحي والتربوي والثقافي. وهو شأن مهم للغاية بالنسبة لكاتب متخصص في إقليمي توات والأزواد. ذلك أن الطرق الصوفية مثلا كانت قد أدت دورا خاصا في تجمع سكاني يعيش على هامش دول وصراعات بالمنطقة. واهم الطرق التي انتشرت في الإقليمين المذكورين هي القادرية (وهي تقريبا أم الطرق وأقدمها عهدا) والتيجانية التي لا يبعد مقرها كثيرا عن الإقليمين ويعتبر مؤسسها (الشيخ أحمد التجاني) من أهل القصور أيضا وله امتداد في الصحراء

الوسطى والغربية. أما الطريقتان الأخريان فهما محليتان: الموساوية والشيخية. ولكل طريقة مريدون وحضرة ونشاط ديني وروحي واجتماعي وسط تجمع سكاني يعيش على التجارة العابرة للصحراء وقبائل ذات مصالح مختلفة قبل أن يحل بينها الأجانب ويوظفوا خلافاتها لصالحهم. ومن نتائج هذه الطرق ظهور عدد من الزوايا استطاعت أن تحافظ على الوجود الإسلامي والعربي للإقليمين وأن تواصل ترسيخ الحضارة الإسلامية، وأن تقوم بالخصوص بدور التوعية وتحفيظ القرآن الكريم والتربية الإسلامية ونشر القيم المستمدة من التراث بما فيه التقاليد والعادات. وهناك عدد من الزوايا التي كان لها صيت وتأثير مثل زاوية أبي الأنوار بتيدكيلت، وزاوية بدريان بتيميمون، وزاوية كنتة العريقة التي حافظت على القرآن الكريم، ودارسة الفقه.

ومن جهة أخرى، وفي النطاق الثقافي دائما، قام الأستاذ حوتية بدراسة عدد من العلماء وإسهاماتهم العلمية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذكر أيضا عددا من مؤلفاتهم التي تشهد على دورهم في التاريخ والمجتمع، ومنهم علماء هاجروا إلى توات والأزواد هروبا من الصراعات السياسية في الشمال. ومن مظاهر النشاط الثقافي آثار مجالس الشورى وهي الآراء الفقهية التي تتضمنها النوازل، وقد ذكر منها الأستاذ حوتية ونوازل الغنية ونوازل الجزلاوي، ونوازل الجنتوري، ونوازل الشيخ باي الكنتي. كما نوه بما توفره الأوقاف من سجلات ومصادر للرزق وللتعليم عموما.

ويلحق بالنوازل المخطوطات المتوفرة في توات والأزواد والتي لم يستغلها الباحثون من قبل، ولاسيما المخطوطات التي تتناول المناقب، ومنها سلوة الأحزان ونظم الياقوتة، ونسيم النفحات، (في أخبار توات وأوليائها وصلحائها) وجوهر المعاني ودرة الأقلام والطرائف والقلائد، إضافة الوصايا حول التركات والأوقاف، وهي أجوبة (فتاوي) العلماء لمن سألهم، وكذلك الأشعار المتنوعة وأغراضها المختلفة، وقد ظهر أن المنطقة كانت تتوفر على شعراء من الرعيل المتقدم.

وهناك خزائن لمكتبات شخصية عديدة استفاد منها المؤلف، مثل خزانة إبن عبد الكبير، وخزانة شاري، وخزانة الشيخ باي، وخزانة الصوفي، وخزانة العقباوي، وخزانة الرقادي، وأخيرا مركز أحمد يابا بمدينة تمبكتو. وقد استفاد المؤلف أيضا من بعض المصادر الأوروبية التي بدأت في الاهتمام بالمنطقة في القرن التاسع عشر، مثل كتب الرحالة والجغرافيين و"المستكشفين".

إن دراسة الأستاذ حوتية دراسة شاملة -كما قلنا- لمختلف المجالات في المنطقة. فلم يهمل دراسة التراث الشعبي، ولا المناسبات الاجتماعية التي يمارس فيها هذا التراث. ومن النقاط البارزة التي تميز تراث المنطقة امتزاج التأثير الإفريقي مع التأثير العربي الإسلامي، وهي تأثيرات تظهر في اللباس والرقص والغناء والألعاب والموسيقى. كما تظهر في الهندسة المعمارية المتميزة في القصور والقصبات والأضرحة ونحوها، فهي أيضا امتزجت بالحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإفريقية، ومن ظواهر ذلك وجود الأسوار والخنادق لحماية القصور من الغارات المفاجئة، فهي هندسة دفاعية.

لقد ظلت توات والأزواد في عزلة مريحة قرونا ولكن الغزو الأوروبي امتد إليها في نهاية المطاف. كان ذلك بعد عدة "بعثات" استكشافية أرسلها الفرنسيون إلى المنطقة محاولين ربط مستعمراتهم (وبالخصوص الجزائر) بمستعمراتهم في غرب إفريقيا. وبعد البعثات جاءت الحملات العسكرية وتوظيف سياسة (فرق تسد) والسيطرة على الموارد الاقتصادية والتجارية وإخضاعها لمشيئة المصالح الاستعمارية. وبذلك خرجت توات والأزواد من العزلة ولكن بعد فقدان الحرية والمصالح الذاتية. وكنا نود أن لو تحدث المؤلف عن التاريخ السياسي للمنطقة لنعرف ولاءاتها وارتباطها ونظامها في الحكم: هل كان مثلا يخضع لإدارة شيوخ العشائر أو لنظام الجماعة على غرار ما كان يحدث في قرى ومدن الجزائر في الجهات الأخرى أو كان الأمر مختلفا في توات والأزواد. ونحن نرجو، وقد أصبحت الأطروحة كتابا أن تصفى من بعض الشوائب وأن تخضع لصياغة جديدة تجعلها قريبة إلى أسلوب التحرير المعاصر حتى يتسع جمهورها وتعم فائدتها (ومنها الملاحق الكثيرة التي قد تثقل كاهل الكتاب).

إن الأستاذ محمد حوتية قدم من الناحية التاريخية والعلمية عملا ضخما وبحثا جادا بذل فيه سنوات من المطالعة والجمع والتصنيف. وهاهو الآن يضعه بين يدي القارئ. ولايسعنا إلا أن نهنئه على جهده وأن نشكره على أنه أتاح لنا فرصة التمتع بقراءة مخطوطه أولا ثم تقديمه إلى القراء ثاني. والشكر لله الذي رزق أبناء توات والأزواد باحثا منهم يكشف عن تاريخهم ويعرف العالم بهم ويجعل لهم مكانا في التاريخ ضمن مؤرخي الجزائر الصاعدين.

أ.د/ أبو القاسم سعد الله

ابن عكنون (الجزائر)   أول ديسمبر 2005

مقدمة:

يرجع اهتمامي بموضوع **توات والأزواد** خلال القرنين **الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن والتاسع عشر للميلاد)** إلى المرحلة الأولى لدراسة الماجستير حين قدمت رسالة بعنوان **قبيلة كنتة بين إقليم تـوات والأزواد دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القـرنين الثـاني عشر والثالث عشر للهجرة سنة 1994**م وحينها وجدت عدة مخطوطات لشخصيات من **توات والأزواد** ساهمت في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بإقليم توات ومكتبة غرب إفريقيا الإسلامية بإقليم الأزواد.

ومما زادني ارتباطا بالموضوع أنني تعرفت على عدة شخصيات كان لها الفضل في تثبيت الإسلام وإرساء قواعده ونشر ثقافته العربيـة بـين سكانه وذلك من خلال التعامل اليومي باللغة العربية في المترل والمـسجد والشارع والسوق مما أدى إلى احتواء الثقافة العربيـة للـنمط المعيـشي والثقافي والاقتصادي في غرب إفريقيا، وقد انعكس ذلك على ما خلفـه علماء المنطقة في مخطوطاتهم القضائية والفقهية واللغوية وسـائر العلـوم الأخرى.

ففي مجال القضاء، برز **الشيخ سيدي عبد الرحمـان بـن عمـر التينلاني والشيخ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي والشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب**. أما في مجال الفقه فقد إشتهر **عبد العزيز بن محمد بـن عبد الرحمان البلبالي والشيخ عبد الكريم بن محمد فتحا بن أبي محمـد**

التواتي والشيخ **سيدي مختار الكنتي**. وفي مجال اللغة نجد العلامة **محمد بن أب المزمري** وسيدي **محمد بن علي** المشهور بالنحوي **والشيخ محمد بن أحمد الزجلاوي**.

وقد ازددت ارتباطاً بالموضوع عندما تبين لي أن منطقة **توات والأزواد** تؤكد الهوية العربية والإسلامية لهذا الإقليم وتكشف الغطاء عن منطقة ظلت بعيدة رغم إستراتجياتها عن اهتمام الباحثين.

فهي بنظري منطقة بكر تحتاج إلى دراسات وأبحاث لسبر أغوارها وإخراج كنوزها العلمية والثقافية والحضارية إلى النور، وما دراستي المتواضعة هذه إلا حلقة في سلسلة – آمل أن تكون طويلة – من الأبحاث والدراسات الجامعية الهامة.

لقد ساهمت هذه المنطقة بقسط كبير في إثراء الحضارة العربية الإسلامية بالصحراء الكبرى ومناطق السودان الغربي، فضلاً عن أنّ التاريخ الاجتماعي والثقافي يظهر لنا مدى ترابط هذين الإقليمين مع بعضهما نتيجة لما كانت تقوم به القوافل التجارية بين الإقليمين من ربط الأواصر الحضارية كما كان الإقليمان بعيدين عن **الاحتلال الفرنسي والبريطاني** مما جعلهما متنفساً للمقاومة الشعبية التي كانت تجابه **الاحتلال الفرنسي** في منطقة **البيض ومغرار ومتليلي والأبيض سيد الشيخ** مما جعل ثورة **الشيخ سيدي بوعمامة** تتجه إلى هذه المناطق لتستريح وتحط

رحالها وتجمع صفوفها بمنطقة **دلدول** و**أوقروت** و**أولاد راشـــد** بـــإقليم **تينجورارين** وذلك مع نهاية **القرن التاسع عشر**.

وليس معنى هذا أن السياسة الاستعمارية بقيت بعيدة عن هـــذين الإقليمين وإنما كانت تخطط لضمهما إلى مناطق نفوذها ويتبين هذا مـــن خلال البعثات الاستكشافية العديدة التي جاءت للمنطقة مـــن أجـــل أن ترصد المسالك التي كانت تسلكها القوافل التجارية التي تربط بين شمـــال الصحراء وجنوبها.

أما مضمون الأطروحة فيشتمل على عشرة فـــصول مـــع مقدمـــة وخاتمة تناولت في **الفصل الأول** أصل تسمية **توات والأزواد** وامتدادهما في المنطقة الصحراوية وموقعيهما الاستراتيجيين وما ظهر بهما من نبـــات وحيوان ومياه بالإضافة إلى التقسيم الطبقي داخل المجتمع وما نتج عنه من نسيج اجتماعي متميز بإقليمي **توات والأزواد** بالإضافة إلى الخلافات التي كانت سائدة في المجتمع **كخلاف أحمد وسفيان** بإقليم **توات** ونزاعـــات **التوارق** و**البرابيش** و**الكونتيين بالأزواد**.

أما **الفصل الثاني** فتناولت فيه التأثيرات الطبوغرافية التي يتميز بهـــا الإقليمان والخصائص الجغرافية المتمثلة في الأودية **كواد مسعود** و**هـــضبة تادمايت** و**منخفض أمقيدن** وكيف استطاع السكان التكيف مع هـــذه المنطقة الحارة صيفاً والباردة شتاء فمن أجل تلبية حاجاتهم المائية ابتكروا **نظام الخطارة بتبلكوزة** و**نظام الفقارة** بباقي **إقليم توات** أما **بالأزواد** فقد

اعتمدوا على مياه الآبار وفي أقصى الجنوب وبالضبط على **نهر النيجر** فقد عرفوا كيف يستغلون مياهه أثناء فترة الفيضانات وذلك بالزراعة على حواف هذا النهر كما اعتنى سكان **إقليم الأزواد** بتربية **الماشية** والإبل على أن سكان إقليم **توات** اشتهروا بغراسة **النخيل**.

أما **الفصل الثالث** فتناولت فيه الحرف والتبادل التجاري وهذا ما أدى بالإنسان ليتكيف مع واقعه وأن يطوع المواد الأولية سواء كانت زراعية **كسعف النخيل** أو **الليف** أو **الجريد** أو **المادة الطينية** أو المعادن الثمينة **كالذهب والفضة** فعرف كيف يجعل منها أدوات تلبي متطلباته اليومية فصنع من سعف النخيل أدوات مترلية عديدة ومن الطين صنع القلال والصحون ومن المعادن صنع أدوات الزينة هذه الصناعات شارك بها في تبادل تجاري مابين الإقليمين من جهة وما بين غرب إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط من جهة ثانية كما ارتبطت هذه الأقاليم مع بعضها عن طريق القوافل التجارية الموسمية وقد كانت حاضرة تيميمون تمثل نقطة البداية لقوافل الجنوب الغربي الوهراني وقوافل الشعانبة.

أما منطقة **تيديكلت** فتمثل **أولف** منها أول نقطة لقوافل **الأزواد**، بهاتين الحاضرتين: **أولف وتيميمون** حيث تقام أسواق موسمية يستعمل فيها الكيل والميزان وتساهم في بعث الحركة التجارية لما نسميه بالمقايضة بحسب السلع المقدمة للعرض فبأولف يقايض **التواتيون** التمر والتبغ

بالمواشي واللحوم الجافة والسمن والعبيد أما **بتيميمون** فيقايضون التمـــر بالحبوب والمواد ذات الإستهلاك الواسع.

أما **الفصل الرابع** فتناولت فيه الحياة الروحية بالإقليمين والتي كان لها الفضل في تربية الكبار بالتفاف المريدين حول المقـــدم فقـــد عـــرف الإقليمان عدداً من الطرق الصوفية بعضها ظهـــر بالمـــشرق **كالطريقـــة القادرية** ثم انتشر بإقليم **توات والأزواد** عن طريق علماء **كنتيين** وهنـــاك طرق محلية **كالطريقة التيجانية** التي ظهرت على يد مؤسسها **سيدي أحمد التيجاني** ثم انتشرت باتجاه **المغرب** ومنه انحـــدرت إلى **الأزواد وغـــرب إفريقيا** وهناك طريقتان اقتصر وجودهما على إقليم توات وهما: **الطريقـــة الموساوية** التي ظهرت على يد **الشيخ سيدي أحمد بن موسى بن خليفـــة** بمنطقة **كرزاز** بإقليم **واد الساورة** ثم انتشرت بإقليم تـــوات ثم **الطريقـــة الشيخية** التي ترجع إلى **سيدي عبد القادر بن محمد**، التي ظهرت بمنطقة (**فقيق**) ثم انتشرت بشمال إقليم **تينجورارين** ثم باقي إقليم **توات**.

أما **الفصل الخامس** فتناولت فيه زوايا **توات والأزواد** من حيـــث نشاطُهَا ودَورُهَا التربوي والتعليمي والتي كان لها الفضل في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية وقد كان بالإقليمين عدد كبير من الزوايا أشهرها زاوية **أبي الأنوار بتديكلت** وزاوية **بدريان بتيميمون** والزاوية **الكنتيـــة** بزاوية **كنتة** هذه الزواية التي كان لها فروع في **الأزواد** وقد ســـارت في

تعليمها على مناهج تربوية وتعليمية ترتكز على تحفيظ القــرآن الكــريم ودراسة الفقه المالكي.

أما **الفصل السادس** فتناولت فيه أسماء العلماء وإسهاماتهم العلميــة ومن الملاحظ أن الحياة العلمية ظهرت بإقليم **تينجــوراريين والأزواد** في القرن **السابع عشر** على يد عدد من العلماء نذكر منهم **الشيخ ســيدي محمد دفين تبلكوزة** والشيخ **سيدي محمد عبد الله الجوزي دفــين أولاد سعيد** والشيخ **أحمد بتمبكتو** ثم ظهرت جماعة من العلماء بإقليم **تــوات وتيديكلت** خلفوا وراءهم عدة مؤلفات علمية وهذا يعود لبعد المنطقة عن الصراعات السياسية التي شهدها حوض البحر الأبــيض المتوســط مــن احتلال عسكري **للجزائر** أدى إلى هجرة العلماء لهذه المناطق.

أما **الفصل السابع** فقد تعرضت فيه إلى مظاهر الحياة الثقافية **بتوات والأزواد** وذلك بدراسة ثلاث مسائل لارتباطها وتأثيرها علــى الوضــع الثقافي متمثلة في القضاء وما خلفه مجلس الشورى الذي كان يتــصدى للإجابة عن النوازل التي تحل بالإقليم عن طريق القضاء إما بطريقة فردية أو جماعية وقد خلف مجلس الشورى عدة نوازل جمعت بعد وفاة أصحابها وأشهرها **نوازل الغنية بتمنطيط** ونوازل **الزجلاوي بزاجلو المــرابطين ونوازل الجنتوري بجنتور** ونوازل **الشيخ باي الكنتي بالأزواد** إضافة إلى الأوقاف كمصدر تموين تصرف عائداته على الطلبة وعابري السبيل وعلى مستحقيها من فقراء ومساكين.

أما **الفصل الثامن** فتناولت فيه التراث الشعبي **بتوات والأزواد** والذي يظهر في المناسبات الدينية والاجتماعية وقد عكس هذا التراث في جوانبه المختلفة التقاطع **العربي** من حيث الكلمة مع الإيقاع **الإفريقي** وهذا ما تولد عنه تزاوج في التراث الاجتماعي وقد انعكس ذلك في المظاهر الفلكلورية العديدة **كالبارود وقرقابوا** إضافة إلى مظاهر أخرى (**كالحضرة**) و(**صارة**) أما في أوقات الفراغ فقد اختار السكان ألعاباً نابعة من الوسط الاجتماعي تستخدم فيها وسائل محلية (**كالتشكوم**) أو (**السيق**) أو ألعاب أخرى ونفس الخاصية تميز بها المأكل والملبس وبصفة عامة فإن الحياة الاجتماعية بإقليم توات والأزواد هي مزيج ما بين الحضارة العربية الإسلامية وحضارة **غرب إفريقيا** ساهم في تفعيلها ركب الحجيج الذي كان ينطلق مشتركاً ما بين حجاج **توات والأزواد**.

أما **الفصل التاسع** فتناولت فيه دراسة لنماذج من القصور والقصبات والأضرحة مع وصف تاريخي وعرض أثري للهندسة المعمارية النابعة من مجتمع صحراوي تراعى فيه المادة الأولية المحلية والهندسة العربية الإسلامية التي تتماشى وعادات وتقاليد أهلها من حيث توزيع البيوت وتكتلها مكونةً في مجملها قصبة محصنة بسور وأمامه خندق مهمته دفاعية وقد اخترنا كنماذج منها **قصبة ايغزر بتنجوراريين وقصبة تـايلوت بتمنطيط** أما **تمبكتو** باعتبارها حاضرة من حواضر العالم الإسلامي فقد امتزجت فيها الحضارة العربية الإسلامية الأصيلة بهندسة **غرب إفريقيا** إلى

جانب الأضرحة التي سنلقي الضوء على نماذج منها لأهميتها الهندسية ومكانة أوليائها **كضريح مولاي سيد الونقالي بأولاد أونقال وضريح مولاي سليمان بن علي بأولاد أوشن بإقليم توات.**

أما **الفصل العاشر** فتناولت فيه **توات والأزواد** في مواجهة المخطط الاستعماري وأهم ما تناولت فيه النظرة الاستعمارية للإقليمين برغم بعدهما عن المجال الحيوي للسياسة **الفرنسية** التي كانت ترتكز على **البحر الأبيض المتوسط** و**المحيط الأطلسي** في **غرب إفريقيا** ومع هذا فكانت لها أطماع بعيدة المدى تمثلت في بعثات الرحالة **الأوروبيين** الذين زاروا المنطقة وهم كثيرون إضافة إلى المشاريع **الفرنسية** التي كانت تهدف من ورائها إلى ربط **البحر الأبيض المتوسط بغرب إفريقيا** عن طريق السكة الحديدية هذه السياسة الهادفة إلى احتواء الإقليمين.

أما **الخاتمة** فقد تعرضت فيها لمجمل النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

من خلال تلك الفصول التي تناولت فيها الأحداث التي عاشها سكان الإقليمين حاولت أن أبرز صورة صادقة **لتوات والأزواد** من منظور تاريخي اعتمدت على هويته العربية الإسلامية وذلك من خلال مادون من المصادر الأصلية كالمخطوطات التي تزخر بها المنطقة والمراجع العلمية المدونة من قبل العلماء والفقهاء هذه المصادر يمكن أن نميز من بينها عدة أصناف تكون مادة تاريخية مهمة ظلت بعيدة عن القراء

والباحثين ومن خلال هذه الدراسة سنعمل على ربط التاريخ الوطني ببعضه، الذي يدخل في كتابة تاريخ الأمة العربية والإسلامية وقد رجعنا من خلال هذه الدراسة إلى مخطوطات عديدة فهي متفاوتة من حيث أهميتها ومختلفة في مواضيعها ومن هذه المخطوطات التي اعتمدتها في دراستي مخطوط (**جوهرة المعاني**) لمؤلفه **سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي** ومخطوط (**درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**) **للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي** ومخطوط (**الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد**) **لسيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي** ومخطوط (**نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين العاملين الثقات**) **للشيخ مولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي بن أحمد** ومخطوط (**سلوة الأحزان في مناقب سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان البكري**) ومخطوط (**نظم الياقوتة والحضرة**) **لسيدي عبد القادر بن محمد**.

وهناك العديد من الوصايا في غالبها عبارة عن أجوبة لأسئلة شرعية أو فقهية جلّها يتضمن أجوبة وردوداً عن أسئلة لحكم من الأحكام الشرعية كالوقف والتركة.

وهناك البعض من الأشعار المتنوعة في الأغراض المختلفة يغلب عليها الزهد والتشوق والمدح والرثاء والحكمة هذا دون أن ننسى الدراسات

الغربية التي كتبها الأوروبيون خلال تلك الحقبة والتي عكست واقعاً اجتماعياً بمنظور غربي وكتبت عن الإقليمين لأغراض استعمارية وتناولت في مجملها قضايا اجتماعية واقتصادية بأسلوب سطحي لا يرقى إلى عمق وروح المجتمع الإسلامي ومن أشهر ما كتب خلال هذه الفترة كتاب بول مارتي (**دراسة عن الاسلام وقبائل السودان**) بالإضافة إلى كتابات للرحالة مثل **هنري بارث وجيرارد روهلفس**.

انطلاقا من هذه المراجع والمصادر حاولت أن أكوّن ملاحق وبيبلوغرفيا عامة لاسيما ما يوجد منها بالخزائن المحلية مثل خزانة **بن عبد الكبير بالمطارفة** وخزانة **شاري الطيب بكوسام** وخزانة **البكري بتمنطيط** وخزانة **الرقادي الحاج أمحمد بزاوية كنتة** وخزانة **الشيخ باي بأولف** وخزانة **العقباوي بأقبلي** وخزانة **الصوفي عبد المالك ببدريان تيميمون** ومركز **أحمد بابا بتمبكتو**.

وقد واجهتني أثناء تحضيري هذه الدراسة عدة صعوبات ومنها إقامتي بمنطقة **توات** التي أعمل بها وصعوبة الانتقال منها إلى المكتبات التي تتوفر على مصادر البحث وقد وجدت صعوبات عديدة في التنقل إلى خارج الوطن لزيارة مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالقاهرة وجامعة الأزهر (**قسم الدعوة والتاريخ الإسلامي**) و**متحف الجهاد الليبي** و**كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس** بالإضافة إلى **مركز الأرشيف** و**مكتبة الآباء البيض بوهران وبغرداية** بالإضافة إلى اللقاءات المحلية مع شيوخ المنطقة

الذين يحملون روايات شفوية عديدة تتعلق بمختلف الأغراض وأتمنى أن يتبلور ما عجزت عنه في هذه الرسالة ويكون بداية لبحوث أخرى ولدارسين آخرين في جوانب مختلفة من تاريخ الصحراء.

هذا ولا يسعني في الأخير إلا أن أتوجه بالشكر إلى **الدكتور ناصر الدين سعيدوني، السيد الطيب الشاري بكوسام وعائلة ابن عبد الكبير بالمطارفة وأقرابو عبد الله بأوقروت وعائلة الصوفي عبد المالك ببدريان تيميمون، والسيد سليماني عمر وبايشي عبد الله بأدرار والسيد دروغ نبيل وبن يوسف تلمساني بالجزائر.**

الفصل الأول:

البيئة والسكان بإقليمي توات والأزاود

سنتعرض في **الفصل الأول** للإطار الجغرافي لمنطقة **توات والأزواد** وذلك من حيث التسمية والموقع والتضاريس والمناخ والغطاء النباتي دون أن ننسى الوسط البشري وما يتعلق بسكان المنطقة وأنسابهم وتشكيل البنية القبلية وتوزيع السكان وتحديد أماكن الاستقرار.

إن أصل تسمية توات والأزواد وامتدادهما في نطاق المنطقة الصحراوية من الناحية الجغرافية أدى بهما إلى أن يكونا ضمن نطاق المناخ الصحراوي وقد أنعكس ذلك على النبات والحيوان والمياه هذه العوامل الطبيعية كان لها تأثيرها على الجانب السكاني من حيث العدد وتوزيع السكان على قصور توات وحواضر الأزواد وما انجر عن ذلك من تقسيم طبقي داخل المجتمع من شرفاء ومرابطين وعرب وموالي وما نتج عن هذا من نسيج اجتماعي في هذه المناطق كل هذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

- **الإطار الجغرافي: التسمية والموقع.**
- **التضاريس والمناخ والغطاء النباتي.**
- **الوسط البشري: التعريف بسكان المنطقة.**
- **الأنساب وتشكيل البنية القبلية.**
- **توزيع السكان ومناطق الاستقرار.**

التسمية والموقع

إقليم توات[01] مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات وتقع المنطقة بين خطي طول **4**°غرباً إلى **1**° شرقاً وبين خطي عرض **26**°-**30**° شمالاً ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين وتوات وتيدكلت.

1- منطقة تينجورارين: تقع شمال توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والشمال الشرقي، ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة، ويوجد الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافياً باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور والتي تقع في شمال الإقليم ويوجد بالإقليم سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي أمقيدن ووادي صالح.

---

[01] كلمة توات ورد ذكرها في بعض المصادر العربية فذكرها السعدي بقوله: (وعلى موطن توات تخلف هناك كثير من أصحابه) راجع عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان، مطبعة بردين 1898م، صفحة 07 وأشار إليها ابن بطوطة في رحلته بقوله: (وصلنا إلى بودة وهي من أكبر قرى توات وأراضيها رمال وسباخ) راجع ابن بطوطة محمد بن عبد الله تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التجارية بمصر ج2 ص. 210.

ومن أهم قصور[01] تينجورارين[02].

- **قصور أوقروت**: تقع في منخفض وادي أمقيدن على خط واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب وتضم أربعة عشر قصراً نذكر منها: أولاد محمود - كبرتن - قصور تنركوك تقع جنوب العرق الغربي وسط الكثبان الرملية وتتكون من خمسة عشر قصراً وتنقسم إلى مجموعتين تبتعدان عن بعضهما البعض حوالي ثلاثين كيلو متراً.

- **القصور الشرقية والغربية**: هي مجموعة قصور تقع على طريق الجزائر ووهران فالشرقية منها تتألف من عشرة قصور أهمها قصر تبلكوزا أما القصور الغربية فهي تشمل خمسة قصور أهمها قصر سيدي منصور.

- **قصور تبلكوزة**: لا يوجد بها نظام الفقارات تتميز بقرب مياهها الجوفية من السطح حيث توجد المياه على عمق أربعة أمتار وهذا ما شجع على حفر العديد من الآبار.

- **قصور أجريفت**: تقع في سبخة تينجورارين وتضم خمسة عشر قصراً متقاربة المسافة فيما بينها ويمثل قصر الحاج قلمان أهم قصورها من حيث

---

[01] القصور عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه في ما بينه من ناحية القرابة أو المصالح المشتركة وتجمع بينهم علاقات اجتماعية أدت بهم إلى السكن الجماعي داخل القصر.

[02] أنظر:

DEPORTER. La question du Touat au Sahara algérien. Alger: Fontana, 1891, p.16.

عدد السكان والنشاط التجاري ويقع على بعد ستة وثلاثين كيلو متراً جنوب غرب تبلكوزة[01].

- **قصور تيميمون:** تظهر في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون وهي أهم مجموعة من قصور تينجورارين تضم سبعة وعشرين قصراً متقاربة فيما بينها تبعد عن تيميمون بأربعة وعشرين كيلو متراً وهي جنوب قصر الحاج قلمان وتنطلق منها العديد من المسالك باتجاه المنيعة تبلكوزة، أولاد سعيد، تيديكلت، توات الحنة، تسابيت.

- **قصور أولاد سعيد:** ضم ثلاثة قصور أهمها القصر الكبير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلومترات عن قصر الحاج قلمان ولهذه القصور أهمية من الناحية الاقتصادية بحيث تتكامل مع قصور تيميمون.

- **قصور تقانت:** تقع في الضفة الشمالية لسبخة تينجورارين وتضم سبعة قصور أهمها طلمين وهي فقيرة من ناحية النخيل مياهها قريبة وتقع بحوالى ثمانية وأربعين كيلومتراً غرب أولاد سعيد.

- **قصور حيحة:** تقع على الضفة الشمالية للسبخة وتضم خمسة قصور أهمها قصر الحيحة الذي يقع وسط الكثبان الرملية.

- **قصور شروين:** تقع على الضفة الغربية لسبخة الإقليم وتضم أربعة قصور متقاربة المسافة فيما بينها أهمها قصر شروين الذي تنعدم به زراعة النخيل.

---

(01) **Deporter, op. cit. p. 18.**

- **قصور الزوى ودلدول**: تقع في الجنوب الشرقي من السبخة وجنوب مقاطعة شروين ودلدول وتتألف من سبعة قصور قريبة من بعضها البعض أهمها: قصر دلدول المتميز بكثرة نخيله.

- **قصور الدرامشة**: تقع غرب دلدول بحوالي خمسة وعشرين كيلـــومتراً وتضم أربعة قصور أهمها: قصر المطارفة الذي به عدد كبير من النخيل.

- **قصور تسابيت**:[01] تقع على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب غرب مقاطعة الدرامشة وتبعد عن وادي مسعود بأربعين كيلوا متر وتـــشتمل قصور تسابيت على إحد عشر قصراً أهمها برينكان والمعيز.

- **قصور السبع**:[02] تظهر على بعد خمسين كيلومتراً جنوب قصر الهبلـــة وتضم قصرين هما السبع والقرارة.

---

[01] ذكرها العياشي في رحلته بقوله: ((ثم دخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت وبعناها خيلنا ومـــا ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر وبها أنواع كثيرة ووجد التمر فيها رخيصاً)) أنظر أبو سالم محمد العياشي رحلة العياشي طبعة فاس الحجرية ص20.

[02] اعتمدت في التعريف بهذه القصور على المراجع التالية فرج محمود فرج إقليم توات خلال القـــرنين الثامن عشر والتاسع عشر –الجزائر– ديوان المطبوعات الجامعية 1984م.

ECHALLIER J.C. <u>Villages désertes et structures agraires anciennes du. Touat, Gourara, Sahara algérien</u>. Paris: Arts et métiers graphiques, 1972

2- منطقة توات الأصلية أو تسوات*:

تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تكون الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية وأهم قصورها ما يلي:

- **قصور بودة:**(01) تتركز هذه القصور في واد مواز لواد مسعود تبعد بحوالي أربعين كيلومتراً شرق قصور تيمي وهي تقع في أقصى قصور توات تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية (**العليا**) وبودة التحتانية (**السفلى**) وتبعد المقاطعتان عن بعضهما بحوالي ثماني كيلومترات ومجمل قصور المقاطعة اثنا عشر قصراً سبعة منها في بودة الفوقانية وخمسة في بودة التحتانية.

---

* يرجع أصل التسمية إلى سيدي سليمان بن علي الذي قدم من فاس على سبع وعندما حل بالمنطقة اصبحت تحمل هذه التسمية انظر:

A. Selka. «Notice sur le Touat: population, çofs, ksours, légendes Commerce, industrie, agriculture, élevage mœurs et coutumes». - Bulletin de la Société de géographie d'Alger, 1922.

(01) ذكرها ابن بطوطة بقوله: (وهي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثيرة ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة) أنظر ابن بطوطة المصدر السابق ج2 ص 210-211.

- **قصور تيمي:**[01] تقع جنوب مقاطعة بودة وتتمركز في اتجاه مواز لواد مسعود.

بها كثافة سكانية كبيرة مقارنة بقصور توات وتتألف من تسعة وثلاثين قصراً أهمها: قصر تيمي الذي تلتقي فيه معظم الطرق القادمة من الشمال والشرق والغرب.

- **قصور تمنطيط:**[02] تقع جنوب قصر تيمي وتبعد عنها بحوالي إثنا عشر كيلو متر تفصل بينها سبخة تبعد عن واد مسعود بحوالي خمسة وثلاثين كيلوا متر وتضم خمسة قصور ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها.

- **قصور بوفادي أو أولاد الحاج:** تقع جنوب تمنطيط بحوالي اثنا عشر كيلومتر وهي منخفض موازٍ لواد مسعود تبعد عنه بحوالي ثلاثين كيلومتر تضم هذه المجموعة أربعة قصور أهمها: **القصر الكبير**.

---

(01) ذكرها الشيخ سيدي أحمد البكاي فقال: ((أما صلح أهل تيدكلت فيقبلونه بمجرد الملاقاة وأما صلح أهل سالي وأهل تيمي فإلى أن ينتف أحدهم جدراً آخر)) انظر الشيخ البكاي نفس المصدر الصفحة الأولى.

(02) تمنطيط ذكرها الحاج عبد الرحيم محمد الطيب بقوله ((فاعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع)) القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج تا بع لأقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص. 13-14.

- **قصور تسفاوت أو فنوغيل:** تقع غرب بوفادي وتنتشر في منخفض واسع مواز لواد مسعود تضم سبعة عشر قصراً أهمها قصر تسفاوت في الشمال والمنصور في الجنوب.

- **قصور تامست**[01]: نشأت جنوب فنوغيل في منخفض بموازاة واد مسعود الذي لا يبعد عنها إلا بحوالي عشرين كيلومتر تضم هذه المجموعة أربعة عشر قصراً أهمها من حيث التجارة والسكان لحمر تيطاف.

- **قصور أنزجمير:** تلقب بتوات الحنة لإنتاجها الوفير لهذه المادة وتتواجد في المنخفض الأيسر لواد مسعود تفصلها عنها السبخة وتضم هذه المقاطعة ثلاثة عشر قصراً أهمها قصر أنزجمير.

- **قصور سالي:** تظهر جنوب أنزجمير على بعد أربعة عشر كيلومتر وتقع في المنخفض الأيسر لواد مسعود تضم هذه المجموعة ثلاثة عشرة قصراً أهمها قصر المحارزة أو القصر الكبير.

- **قصور زاوية كنتة أو أولاد سيدي حمو بلحاج:** تقع جنوب قصور تامست الحافة اليسرى لواد مسعود تضم هذه المجموعة ستة عشرة قصراً أهمها زاوية كنتة، زاوية الشيخ سيدي عبد الكريم.

- **قصور رقان:** تقع في أقصى جنوب توات وجنوب سالي: تتألف من خمسة عشرة قصراً أهمها تيمادانين.

---

[01] **Deporter, op. cit. p. 33.**

3- إقليم تيدكلت[01]:

توجد تيدكلت بين توات الأصل غرباً وهضبة تادمايت شمالاً وهضبة مويدر جنوباً يخترقها وادي (**أقراباً**) الذي يصب في واد مسعود نحو الجنوب الغربي أهم قصور منطقة تيدكلت:

- **قصور أولف**: تقع في نهاية منخفض تادمايت وتبعد بحوالي ثمانين كيلومتراً شمال شرق رقان تنقسم إلى قسمين أولف الشرفة وأولف العرب.

- هذه الأخيرة بها عشرة قصور عرفت بهذا الاسم لكونها موطناً للعرب وأهم قصور أولف قصر زاوية حينون الذي يقطنه أولاد زنان.

- **قصور أقبلي**[02]: تقع هذه القصور جنوب تيدكلت وتبعد عنها بحوالي خمسة وثلاثين كيلومتراً توجد بسهل منبسط وأشهر قصورها قصر بونعامة.

---

[01] **G. ROHLFS. Résumé historique et géographique en Touat et à In Salah, publié par les soins du Dr Auguste Peterman. Paris: s.n, 1866.**
A. G .P. MARTIN. Quatre Siècles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1904 au Maroc de 1894 à 1912. - Paris: Félix Alcan, 1923 .

[02] أقبلي (ومما نقطر عليكم من خير مع أهل توات أننا وصلنا إلى أقبلي ....) أنظر الشيخ البكاي نفس المصدر ص01.

- **قصر تيط:** يقع بجانب سلسلة من المرتفعات بحافة الهضبة السفلية لتادمايت على بعد تسعة عشرة كيلومتر شمال شرق أقبلي وهي تضم قصراً واحداً.

- **قصور أينغر:** توجد في منحدرات هضبة تادمايت وتبعد بحوالي ثلاثين كيلو متر عن قصر تيط وتضم سبعة قصور أهمها قصر الخال.

- **قصور عين صالح:** تقع في منحدرات هضبة تادمايت على بعد خمسين كيلومتر شرق أينغر وثلاثمئة وثمانين كيلومتر جنوب غرب المنيعة وستمئة وثلاثين كيلومتر من ورجلان وهذه المسافات مقدرة بحسب مسالك الإبل.

تنتشر قصور عين صالح من الشمال نحو الجنوب وهي تضم اثنا عشر قصراً أهمها قصر العرب أو القصر الكبير الذي يقطنه أولاد باحمو.

ومجمل قصور توات تزيد عن ثلاثمئة قصر[01] تؤلف سلسلة من القصور تنفتح على الشمال وتنغلق باتجاه صحراء تتروفت.

---

[01] ذكر ابو فارس عبد العزيز الفشتالي في كتابه (مناهل الصفا في مآثر مولنا الشرفا) تحقيق د عبد الكريم كريم مطبوعات وزارة الأوقاف–الرباط–د–ت ص73 ان ابن خلدون قدر قصور إقليم توات بحوالي ثلاثمائة قصر وتذكر مصادر فرنسية أن عدد واحات إقليم توات بفروعه الثلاثة (قورارة، توات الأصل، تيدكلت) كانت تصل إلى ثلاثمائة وأربعون قصراً انظر:

Frisch. Le Maroc géographie organisation politique. Paris: s.n.,1895, p. 355-358

أما اسم توا فقد جاء في بعض التعاريف أنه بربري الأصل معنـــاه الواحات[01] وقد ذهب بعض الدارسين الفرنسيين إلى ربطـــه بالأصـــل الإغريقي فزعموا أن الفرنسيين يطلقون على الواحات اســـم (**وازيـــس OASIS**) ووازيس مصطلح إغريقي الأصل مركب من مقطعـــين الأول (**وا OA**) وقد توصل علماء الاشتقاق اللغـــوي إلى أن (**وا.OA**) هـــذا يتطابق مع المصطلح البربري (**وا OUA**) الذي هو تعبير عن الجمع مفرده توات (**Touat**) مثل تواتن عبو (**Touat'n ebbou**) ومعناه واحة المـــاء وهو يطلق باللفظ والدلالة عند الجغرافيين على منطقة الواحات التي تحمل هذا الاسم بالحوض الشرقي لواد الساورة[02] وذكر الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي أصلاً آخر للتسمية قال: ((**حكي عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طلبهم المهـــدي ملـــك الموحـــدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطـــب والعنـــب وسائر الثمار والكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو والنـــازلين قـــرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العـــام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزناً علـــى حـــسب**

---

(01) انظر:

Élisée Reclus. Nouvelle géographie universelle., T. XI. (L'Afrique septentrionale). Paris : Hachette, 1886, p. 845.

(02) **A.G.P. Martin. Quatre siècles..., op. cit., p.1-2**

التخريص فعرف أهل هذه الأرض بأهل الأتوات لأن السلطان قبلـها منهم في المغرم)) وهذه الرواية أصح[01].

ولهذا اللفظ مستنـد في العـربية قـال فـي المصباح التوت هو الفواكه الفاكهة والجمع أتوات فعرفت هذه الـبلاد بأهـل الأتـوات بـحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه قال ابن مالك: وحذف الـ في أن تنادي أو تضف أوجبا، فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف فإن قيل كيف يحذف التعريف مع حذف المضاف مع أن الإضافة سـبب حذف التعريف أجيب بقول ابن مالك وفي غيرهما قد يحذف على رواية بعض النحويين، فصار هذا الاسم علماً على هذا القطر الصحراوي مـن تبلكوزة إلى عين صالح[02].

أما منطقة الأزواد[03] فهي تشمل على المناطق الواقعة إلى الجنـوب وراء الحدود الجزائرية فيما يعرف اليوم بدولة مالي ويحدها شمالاً صحراء تنزروفت الخالية من جميع مظاهر الحياة والتي تنتهي عندها جنوباً منطقـة

---

(01) سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي. مخطوط درق الأقلام في أخبار المغـرب بعـد الإسلام خزانة بن عبد الكبير المطارفة ص03.

(02) سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي، المصدر السابق ص03/ب .

(03) أزواد كلمة من لغة طوارق كلنتصر مشتقة من "أزوا" وهو المسقى الدائري مـن الخـشب مؤنثـه ومصغره تزوا وهو عبارة عن كرنيب أصغر من الأزواد ويستعمل كإناء للحليب أنظر:

P. POUSSIBET. "Notes sur L'Azaoued". Bulletin de l'Institut français d'Afrique noire, t .23, juillet-octobre 1961, p. 589.

توات السالف ذكرها، هذا وقد تعددت الآراء حول حدود منطقة الأزواد فالبنسبة للسكان المحليين وهم عشائر كلنتصر (**Antasar Kel**) وقسم كبير من البرابيش (**Berabich**) يعتبرون الحدود الجنوبية للأزواد تمتد إلى النهر بينما القبائل التي تشتهر بتربية الجمال كأهل الكوري (**Ahl Kori**) وأولاد يش (**Ouled Yich**) وأولاد غيلان (**Ouled Ghailen**) وأهل بوجبيه (**Ahl Boujbih**) والنواجي (**Nouaji**) وأهل أروان (**Ahl Araouan**) وبعض أولاد غنام (**Ouled Ghename**) وكنتة الرقاقدة[01] يذهبون إلى أن حدود الأزواد لا تتجاوز المناطق الصحراوية البعيدة عن نهر النيجر والواقعة إلى الشمال من أروان وهذا ما دفع الشيخ سيدي المختار الكبير إلى تعريف مواطن الأزواد بقوله هي الأرض الكبيرة مما يلي أروان[02].

وهذا يجعلنا نعتبر أن منطقة الأزواد هي مجال انتقال بين الصحراء الكبرى ومناطق السودان[03]، هذا وإن ظلت حدود الأزواد في نظر السكان المحليين غير محددة ولعل هذا ما جعل الأروبيون المكتشفون مثل بوسيبه (**Poussibet**) وبرييه (**Perrier**) وكورتييه (**Cortier**) ولاجي باري (**E.J.Paris**) وجوفر (**Joffre**) يربطون منطقة الأزواد بخطوط

---

(01) **POUSSIBET, op. cit., p. 576**

(02) أحمد ابن الأمين الشنقيطي. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. القاهرة : مؤسسة الخانجي، 958، 1958، ص، 458.

(03) **POUSSIBET, Op cit., p.578.**

الطول فحدودها شمالاً بكثبان عرق بورقبة والستلة ومناجم تاودني ما بين **18°و15°و20°** شمال خط الإستواء[01]، وهناك من اعتمد تحديد الأزواد على بعض النباتات الصحراوية مثل نبات كرام كرام (**Kram Kram**) وسبوط (**Sbot**) والتيجاوة (**Tijaoua**)، أما من ناحية الشرق والغرب فهي غير واضحة بدقة وإن أجمع غاليبية المكتشفين على جعل آبار أبلبود (**Abelbod**) وانشاق (**Anechag**) ألول (**Alloul**) حداً شرقياً عند العكلة غرباً[02].

أهم حواضرالأزواد ما يلي:

1- تمبكتو (**Tombouctou**)[03]: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر ويعود تأسيسها إلى قبائل الطوارق إلى حوالي **948هـ** الموافق (لـ**1087**م) فقد اختاروها محطة في فصل الصيف ويغادرونها في الخريف ليتجهوا إلى المناطق الشمالية، وتحتل تمبكتو موقعاً استراتيجياً من الناحية الجغرافية حيث تقع على عرق رملي وتطل على

---

[01] **POUSSIBET, Op cit., p. 586-587.**

[02] **Joseph JOFFRE. «L'occupation de Tombouctou» .Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1896, p.50.**

[03] تذكر الروايات أن اسم تمبكتو كان لإمرأة سكنت هذا المكان وكان الرحالة ينزلون عندها فتحرض لهم متاعهم ويساعدونها وتساعدهم انظر: أحمد فتوح عابدين الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الإفريقية قسم التاريخ **1989** ص **107**.وكذا عبد القادر صالح نور الدين. – "مدينة تمبكتو حاضرة الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا". مجلة الدراسات الإفريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، ع. **5**، ص **56**.

سهل زراعي يحيط بها من كل الجهات تبعد عن نهر النيجر باثني عشر ميلاً وعند فيضانه تسقى سهولها من مياهه وفي المنخفضات الجنوبية والغربية منها توجد مستنقعات تمول تنبكتوا بالمياه الصالحة للشرب وتتجدد مياهها عند فيضان نهر النيجر، أما إذا كانت الفيضانات ضعيفة فعادة ما يستعمل سكان تمبكتو المياه الراكدة.

وأثناء حكم التكرور قاموا بحفر قناة تصل ما بين تمبكتو ونهر النيجر تسمح بدخول الزوارق الصغيرة إلى تمبكتو.

بالقرب منها توجد بحيرة فاقبين **(Lac Faguibine)** التي يبلغ طولها أكثر من مئة وثلاثين كيلومتراً وإلى شمالها تظهر الكثبان الرملية[01].

جني (Djene): تعتبر ثاني أهم حواضر السودان الغربي بعد تمبكتو وتقع إلى الجنوب الغربي من تمبكتو على أحد روافد نهر النيجر يمتد إقليم جني من مدينة ساي حتى بحيرة ديبو على مساحة سبعة عشر ألف كيلومتراً مربع أما المدينة نفسها فدائرتها الحضرية بلغت في العهد المغربي ما يقرب من ميل ونصف.

ويعود الفضل في بناء جني إلى برابرة صنهاجة فقد اختطوها لتكون ملتقى لتجار الملح والذهب و لم يلبث تجار الونجار القادمون من الجنوب الغربي أن أقاموا بها وساكنوا صنهاجة.

---

[01] **P. BARY. A l'Assaut de L'Afrique. Tours: Mame, 1988, p. 175.**

وكانت المدينة على شكل بيضاوي تبعاً لخط سير النهر وبني السور عند الضفة اليمنى أما الأحياء فقد تزاحمت في الداخل واتخذت الشكل الدائري حول المسجد في الوسط ثم امتدت نحو الشرق ثم نحو الغرب[01].

جاو (**Gao**): ذكرها الجغرافي الأندلسي البكري أنها أسست حوالي سنة **1068هـ**(**1657م**) وقال عنها أهلها مسلمون ويحط بها المشركون وأكثر ما يتجهز بها الملح والودع والنحاس والمسبوك وحولها معادن من الحجر وهي أكثر بلاد السودان ذهباً[02].

تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد أربعمائة وأربعين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من تمبكتو ويقول عنها فليكس ديبوا(**Dubois.Félix**) مدينة جاو جوهرة وادي نهر النيجر وأنها مدينة عظيمة مثل سيجو ونيامي[03]. **أروان** (**Araouan**): هي مركز عمراني يقع في واد تحيط به كثبان من الرمال تتكون من حوالي مئة مسكن لها سقوف من سيقان القصب وأبواب مطلية باللون الأصفروقد أخذت أهميتها منذ قديم الزمان وذلك لوقوعها في طريق قوافل الملح والتجارة

---

(01) أحمد فتوح أحمد عابدين. الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا، ص. 294 .

(02) أبو عبد الله البكري. المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، نشره دبيسلان ط. الجزائر 1857 ص193.

(03) – أنظر:

Félix Dubois. L'Islam noir. Paris: s.n., 1911, p 81.

وازدادت أهميتها في أوائل القرن السابع عشر حيث تحولت إلى نقطة للعبور نحو المغرب[01].

التضاريس والمناخ والغطاء النباتي:

حسب المميزات الجيولوجية يمكن أن نلاحظ أن منطقة توات لها رواسب فيضية ترجع للزمن الرابع[02] والتي تتسع في الجهة الغربية وجنوب هضبة تادمايت ذات الصخور الكرتياسية بينما تحدها من جهة الشمال كثبان العرق الغربي ويحدها من الغرب كثبان عرق إيقيدن أما من جهة الجنوب فإن هضبة مويدير تكون الحدود الطبيعية لسهول توات[03].

وإذا لاحظنا الخريطة الجيولوجية التي وضعها قوتي **(Gautier)** وجدنا أن البنية الصخرية تمتد لمجموع أجزاء منطقة توات من بنية متنوعة الصخور يمكن تصنيفها إلى الشكل التالي:

---

(01) René Caillié. Voyage à Tombouctou, t.2. Paris: François Maspero, 1979, p. 262.

(02) قسم الجيولوجيون، عمر الكرة الأرضية حسب نوع الصخور وتفاوت أعمارها إلى أزمنة جيولوجية هي:

ما قبل الزمن الأول وحدوده غير معروفة بالضبط.

ثم الزمن الأول والثاني والثالث والزمن الرابع الذي ما يزال مستمراً إلى الآن وكل زمن من هذه الأزمنة مقسم إلى عصور كل عصر مقسم إلى فترات كل فترة تمتد ملايين السنين.

(03) Emile-Félix Gautier. Le Sahara Oranais. Paris : A. Colin, [1903], p.235

صخور قديمة ترجع إلى ما قبل الزمن الأول وهي التي تكـون القاعـدة السفلى للطبقات

الرسوبية التي تكونت عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلت الـزمن الأول، وتظهر هذه القاعدة أحياناً على السطح خصوصاً بمنطقة الخطوط الانكسارية مثل الخط الانكساري الغربي الممتد على حوض واد الساورة والخط الانكساري الشرقي الذي يمتد جنوب شرق العرق الكبير الـذي يظهر جنوب توات[01].

صخور الزمن الثاني: أوما يسمى بالعصر الكريتاسي الأوسـط، الـذي يظهر بشكل واسع على الجانب الـشمالي والـشمالي الغـربي للخـط الانكساري الشرقي ما بين تينجوراين غرباً إلى شمال شرق منطقة لحمر.

صخور الزمن الرابع: التي تظهر بالسبخة الواقعة شرق تاسفاوت وشرق شروين وفي بعض النقاط المحدودة جداً[02]. هذه معظـم صـخور البنيـة السطحية التي تتكون منها منطقة توات والتي تعطي تضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية أهمها العرق الذي يمتد بشكل واسع بالقسم الـشمالي لتوات من الغرب إلى الشرق إضافة إلى بعض أجزاء تـضاريس الحمـادة ذات الشكل المتحجر التي تظهر بالمنطقة من حين لآخر.

---

(01) **E. Fischer-Piette. «Note sur le terrain carboniferien de la région d' Igli». Bull. soc. géog., lll série, XXVlll,1900, p. 915.**

(02) **Emile-Félix Gautier, op. cit., p. 235 – 259.**

كما توجد سلاسل جبلية ذات ارتفاع بسيط مثل سلسلة كـــرزاز التي تمتد غرب حوض الساورة مع عدد من السلاسل والكتل المتنـــاثرة في القسم الشرقي من توات والتي تتخلها عدداً من الأحـــواض والـــسهول وتظهر حول السبخات وأحواض توات إلى جانب مناطق الكثبان الرملية التي تحتل جانباً مهماً في الشكل العام للتضاريس[01].

- أما المناخ تدخل المنطقة ضمن نطاق المناخ الـــصحراوي الـــذي يتميز بارتفاع
- درجة الحرارة صيفاً والبرودة شتاءً إذ تكون نسبة تساقط الأمطار سنوياً لا تزيد عن خمسة وعشرين ملم.

وهذا ما يجعل السنة تتكون من فصلين أحدهما بارد من ديسمبر إلى فيفري وباقي شهور السنة تتميز بارتفاع درجة الحرارة وتصل إلى خمسين درجة مئوية[02].

وبتمبكتو لا تقل الحرارة عن أربعين درجة وهذا ما جعل الرحالـــة الألماني جيرار رولف (**Gerard Rohlfs**) يصف المنطقة بقوله: (**فالحرارة مرتفعة في فصل الصيف وتصل إلى أربعين درجة مئوية تحت الظل مـــن**

---

[01] **Ibid, p. 245-247.**

[02] **Devors. le Touat étude géographique et médicale. Alger: Institut Pasteur, 1947, p 230.**

الساعة التاسعة صباحاً إلى الرابعة مساءاً بينما يسود الليل اعتـــدال في الطقس)[01].

- أما الرياح الجافة فتهب بالإقليمين باتجاه شمال شرقي وشـــرقي، فهـــي خفيفة تتحول إلى زوابع تدفع أمامها الرمال وتنقلها من مكان إلى آخـــر فتمحوا معالم الطريق وتغطي بساتين النخيل وتزحف على المساكن.

- وقد ترتب على هذا النوع من المناخ ظهور حياة نباتية فقيرة تتكون في مجملها من أنواع يمكنها أن تتحمل الجفاف الشديد فمن هذه النباتات ما هو قصير العمر حيث لا تزيد دورة حياته عن الشهر فهو ينمـــو عقـــب سقوط الأمطار مباشرة ثم يجف ويترك بذوره في الأرض حـــتى تـــسقط الأمطار مرة أخرى فينموا من جديد ومنها ما له جذور يغوص في الأرض ليستفيد من رطوبتها ويصل إلى مستوى الماء الباطني[02].

وأفضل الأماكن لنمو النباتات في الصحراء هـــي الأمـــاكن الـــتي ينخفض مستوى سطحها نسبياً عما حولها حيث تنحـــدر إليهـــا ميـــاه الأمطار القليلة وتكون تربتها غالباً مكونة من المواد الطينيـــة والرمليـــة الناعمة التي تجلبها المياه المنحدرة من الأعالي، ومن أهم هذه النباتات:

× السبط نبات شوكي ينموا غالباً على منحدرات العرق وياكلـــه الغنم والجمال والحمير.

---

(01) **Victor-Adolphe Malte-Brun. <u>Résumé historique et géographique de L'exploration de Gérard Rohlfs.</u> Paris: Challamel, 1866, p. 102.**

(02) عبد العزيز طريح شرف. <u>الجغرافيا المناخية والنباتية</u> ج **01**. د.م. : د.ن. **1971**، ص.**357**.

× الفرسيق: شجرة متوسطة الطول تنموا بجانب السباخ والمناطق الرطبة تأكلها الجمال بكمية قليلة وتستعمل للتسخين ويستخرج منها القطران إضافة إلى أنواع أخرى منها الدمران –دراق النوم- أوراش – تبلكوصت – العقاية – النخيل[01].

أما ابتداء من خط عرض عشرة درجة شمالاً فتظهر حشائش السفانا وهي في جملتها من الأنواع الخشنة ذات الأوراق النصلية الطويلة تبدأ في النمو بمجرد حلول فصل المطر بداية من شهر سبتمبر يتراوح ارتفاعها ما بين مترين أو أربعة أمتار[02].

الوسط البشري:

حسب المصادر الفرنسية[03] فإن مجموع سكان إقليم توات بفروعه الثلاثة كان يصل إلى حوالي مئتي ألف نسمة خلال القرن التاسع عشر لكن هذا الرقم بني على تكهنات وتقديرات سطحية فعندما احتلت فرنسا قصور عين صالح خلال شهر يناير سنة ألف وتسعمائة (**1900**) عقد اجتماع بين الضباط الفرنسيين في الجزائر وفي هذا الاجتماع قدم الضابط فلاماند (**Flamand**) عرضاً عن حالة الواحات التواتية التي تم احتلالها وقدم في هذا العرض تقديراً جديداً لسكان الإقليم اعتبر فيه أن عددهم

---

(01) **Louis Voinot. «Le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire et les mœurs du pays». Bulletin de société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, t. 29, 1909 p. 204-206.**

(02) عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق ص **346-347**.

(03) **Frisch, op. cit. p. 373.**

يصل إلى مئة وخمسة وخمسين ألف نسمة ولكن بعد حوالي سنتين فقط حيث كانت فرنسا قد سيطرت على مجموع الواحات التواتية تقريباً إضطرت أن تقوم بإحصاء جديد لا يقوم على ضبط تام ولكنه الضبط وقد ذكر كويتي[01] أن التقدير الذي ذكره فلاماند يجب أن ينقص منه ثلثان حسب الإحصاء الجديد والذي أعطى عدداً لمجموع سكان إقليم توات لا يتجاوز خمسين ألف نسمة.

وقد تحدثت المصادر الفرنسية المختلفة عن نوعية السكان وعناصرهم المختلفة وتدخل هذه العناصر في بنية اجتماعية مكونة من الأحرار والعبيد والنصف أحرار، يمثل الشرفاء العلويون ربع سكان الإقليم[02].

ونقدم لائحة بعدد سكان الواحات حسب التقديرات التي أعطاها لها الرحالة الأوروبيون وفي طليعتهم كوين وورولف الذين وصلوا إلى هذه الواحات خلال القرن التاسع عشر[03]:

- شروين (تينجورارين) .... **500** مسكن.
- الشارف وزاوية سيدي عمور......... **400** مسكن
- برينكان (تسابيت) .... **600** مسكن

---

[01] **E.F. Gautier. <u>Sahara oranais</u>, op cit. p. 256**

[02] **A.G.P. Martin. <u>Les Oasis sahariennes</u>: Gourara, Touat, Tidikelt. - Paris: Challamel, 1908., p. 109.**

[03] **Elisée Reclus, op. cit., p. 856.**

- أدرار .... 500 مسكن

- تمنطيط .... 600 مسكن

- تاوريرت .... 600 مسكن

- تيلولين .... 600 مسكن

- قصر العرب (عين صالح) .... 600 مسكن

كما يضاف إلى هذه الاحصائية لسكان توات رقم آخر من الرحلة الذين كانوا يتواجدون بواحات إقليم توات في إطارترابط اجتماعي بينهم وبين والسكان الأصليين[01].

وأهم ما يلفت انتباهنا في البيئة السكانية لإقليمي تـــوات والأزواد خلال هذه الفترة هو ظهور النزعة القبلية في الحياة الـــسكانية وانعـــدام السلطة الفعلية التي تضبط الأمن بالإقليميين هذا ما أشاع روح التنـــافس بين القصور المتناثرة في إقليم توات ونفس الظاهرة نلاحظها بإقليم الأزواد فقد كثرت التحالفات بين القبائل لتستعين قبيلة بقبيلة أخـــرى أو تغـــزو قبيلة قصرًا معيناً وهذا ما أكثر الغزو ما بين القصور وتدخل العلمـــاء في إصلاح ذات البين وقد وردت أسماء عديدة كان لها الفضل في إيجاد حلول لمشاكل مختلفة إلا أن هذه الجهود لم تحقق هدفها وقد ظهر في مجال الحياة الاجتماعية عدة حروب نذكر منها:

---

(01) أحمد العماري. توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب. رسالة ماجستير من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. د.م.: د.ن.، 1988، ص34.

1- حرب أحمد وسفيان بإقليم توات:

أخذت هذه التسمية من الحرب التي دارت بين أحمد وسفيان قبل إسلامه هذا لإظهار درجة العداوة الواقعة بين هاتين القبيلتين العربيتين باعتبار أن أحمد يمثل رأس المسلمين وسفيان يمثل قريش وبذلك أصبحت تعرف هذه الحروب بيحمد وسفيان وقيل يحمد تحريف لكلمة يحي وسفيان هي قبيلة من البربر حاربت يحي فصارت عداوة بين يحمد وسفيان[01] وقيل لما نزلت زناتة بأرض الصحراء قالوا أنها تواتي للسكن واستعان بعض زناتة بالعرب على بعضهم البعض واشتعلت نار الفتنة بينهم

واستخفوا بعامل السلطان الذي أخبره أن أهل الصحراء اشتدت الحرب بينهم كتلك التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان فصار التعصب للقبيلة هو الروح السائدة في ذلك العصر[02] وبأقصى إقليم توات نجد الروح العصبية هي السائدة فكانت قبيلة أكدوع من رقان تمثل قوة فعندما تمر على أي قصر من القصور ولا يقدم لها الضيافة الواجبة لهم أو يقصرون في ذلك فيكون جزاؤهم نهب أموالهم والتعدي عليهم وهتك حرماتهم وأعراضهم وقد مروا في إحدى رحلاتهم على زاوية سيدي عبد القادر فلم يجدوا أباهم فقام أولاد سيدي عبد القادر باستضافتهم فعندما لم يرضوا بما قدم لهم من الضيافة نهبوا القصر

---

(01) أنظر سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص 03.

(02) سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص 03.

وأخذوا أدواتهم الخاصة بنشاطهم الفلاحي من ملابس وحيوانات كغنيمة لهم وتوجهوا بها إلى تمنطيط التي نزلوا بها عندها علم الأخوان سيدي محمد الصالح وسيدي عبد الكريم ابناء عبد الحق التمنطيطي بما جرى بزاوية • سيدي عبد القادر وما لحق بها من نهب وسطوا فتدخلا لصالح أبناء سيدي عبد القادر وأصلحا ذات البين بين قبيلة أكدوع وأبناء سيدي عبد القادر[01].

ومن مظاهر النزاعات القبيلة والتي تعتمد على القوة والغزو الذي كان مألوفاً ومتعارفاً عليه بالأزواد هي تلك الحروب المريرة التي لم تنته وبقيت مشتعلة بين سكان تمبكتو والطوارق وما بين الطوارق والبرابيش وسائر قبائل الأزواد نجد الكنتيين كانوا بمثابة صمام الأمان لهذه الأقاليم ومن مظاهر تلك الحروب ما حدث بين الرماة القاطنين بتمبكتو فقد غادر الرماة بابتيت من طوارق تادمكت وقتلوه فتعرضوا لغزو الطوارق الذين حاصروا الرماة في ديارهم وحالوا بينهم وبين تجارتهم فماتوا من الجوع وأيقنوا بهلاكهم عن أخرهم بعد ما سلبوهم أهم أسباب معيشتهم فلم يجد سكانها أي شيء يأكلوه فكثرت الأمراض وعم الوباء وأشرف سكانها على الهلاك وعندها تدخل الشيخ سيد مختار الكنتي وتوصل إلى صلح بينهم وبين الطوارق ومما نص عليه:

---

[01] نفس المصدر، ص. ص. 13-14.

تقديم ألف ثوب وعشرة خيول كل عام لقبيلة تدمكت من الطوارق.

يكف الطوارق عن الرماة ويرفع عنهم الحصار.

وقد كانوا عازمين على إلغاء ذلك الصلح لكن وجدوا من غير المجدي التخلي عنه لأنه يمس بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية وهذا بعدما أدركوا حجج الشيخ سيد المختار التي قالها لهم وقد قبلوا بها "....... **فقدمت عليكم وقد أشرفتم على الهلكة فألجمت الطوارق عنكم وأرضيتهم بل حملتهم على أخذ ما تبذلون بأيديكم عن موتاهم الذين لا يأخذون عليهم الدية في عرفهم**"[01] وهذا ما يدل على السياسة الحكيمة للشيخ المختار التي أنتهجها في حفظ التوازن بين قبائل الأزواد وكثير ما كان يكرر قول الشاعر عندما تحل النائبات والمكاره:

الدهر لا يبقى على حالة * لكنه يقبل أو يدبر**

فإن تلقاك بمكروه * فاصبر فإن الدهر لا يصبر**

وبوفاة والد خيمك المسمى بن عومر أراد أن ينقض الصلح الموقع بين قبيلة تدمكت من الطوارق وقبيلة الرماة[02] وجاء بجيشه لمحاصرت

---

(01) أنظر الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي. مخطوط الطرائف والتلائد. مكتبة الحاج أحمد الكنتي، زاوية كنتة، ص.222

(02) الرماة أصولهم مغربية ويمثلون بقايا حملة المنصور وهم طبقة المولدين الذين كانوا يحمكون تمبكتو وينحدرون من المقاتلين المغاربة الذين قدموا مع جنودرباشا للاستيلاء على تمبكتو، أنظر:

Paul Marty. Etudes sur l'islam et les tribus du Soudan, t. 2. Paris: s.n., 1920, p. 67.

تمبكتو ثانية وقد خرج إليه الشيخ سيد المختار وأخبره بالصلح الواقع بين الطوارق والرماة وأهانه لما ينوي فعله من نقض للعهد وذلك بقوله "**أركبتك سرجاً لا يصلح لك ولا تصلح له**" وأعطى الولاية إلى غيره فولاها إلى باش بن انتيقاد وأعطاه الطبل وتولى سلطنة تدمكت إلا أنه لم يحسن السير في سياسة هذه القبيلة و لم ينتهج سيرة ابتيت وأبيه محمد المختار الذين كانوا في غاية الأدب مع الشيخ ونظراً لكبره –باش بن أشيقاد– وتجبره وزهوه بالسلطة قرر الشيخ عزله بمساعدة أم بن آك فقد نزع منه الطبل وسائر مظاهر السلطة من باش ابن انتيقاد وأرجعاها إلى حميك فتولاها وحسنت سيرته كسيرة آبائه ومن الهدايا التي قدمت للشيخ سيد المختار ألف مثقال ذهباً أربعين خادماً ما بين أمة وعبد وأربع مئة بقرة وعدة كلل والفِرى.

وقد ثار الغميري على حميك الذي التجأ إلى قبيلة أولمدن فكانت واقعة إيران تكيفت وقد انتهت هذه المعارك بمعركة، أركون بانتصار الغميري وقد قتل عدد كبير من قبيلة أولمدن وصل إلى المائة وقد أخرجوهم من بلادهم ونزلوا بيمبارا وقاو وهنا أرسلوا برسائل إلى الشيخ سيد المختار يطلبون منه التدخل ليصلح ذات بينهم وقد عبروا على ذلك بالهدايا والرسائل والمجيء إلى قبائل أولمدن وقد طلب من الغميري أن يكون بجانبه حتى يفد به إلى أهله وقد أصلح ذات بينهم نظراً لاعتراف

الغميري بما وقع من الخطأ أمام قبيلة أولمدن وما للشيخ سيدي المختار من مكانه في هذه القبائل[01].

ومن الخلافات أيضاً التي وقعت بإقليم الأزواد الخلاف الذي قام بين أولاد الناصر وأولاد بل وهذا بعدما أغار فرد من أولاد بل على شول أعمر بن موسى بن أشبيشب من قبيلة أولاد الناصر وقد انهزام أولاد بل بعدما قتِل عدد منهم ونهبت أموالهم وأرزاقهم وسبي أولادهم.

وقد وقع نزاع بين فرعين رئيسيين من قبلتي أولاد أبي سيف وقبيلة المعزوز وهذا بعدما قتل الدليمي فتى ينتمي لقبيلة أولاد أبي سيف ولم تستطع أية قبيلة أن تضع حداً لهذا التزاع وفي النهاية قام بوضع حد لهذا التزاع الشيخ سيد المختار الذي أمر ببناء خيمة وأمر أن يضرب على الطبل حتى يسمعه السكان فيجتمعوا حوله وجاء بناقة وأوقفها إلى جوار الخيمة وطلب من قبيلة المعزوز أن يأتي كل واحد بناقة مثلها أو أفضل منها فانصرفوا ثم رجع كل واحد منهم يسوق ناقة ماخض تدفع بضرعها ثم جمع على تلك النكبة مائة وعشرين ناقة ما بين لفحاء وماخض وتوجه إلى أهل القتيل فأعطاهم مائة ناقة وطلب منهم العفو عن الجاني أما العشرون الأخرى فتوجه بها إلى أحميمد ليترك الولاية وزعامتها بأخذ العشرين ناقة فتخلى عن الزعامة وقبل النياق وسكنت الفتنة[02].

---

[01] أنظر: الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق ص. 441-451.

[02] أنظر الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق، ص. 285-286.

ومما ظهر من الخلافات بين سكان الأزواد ما حدث بين قبائل البرابيش الذين كانوا يتولون المكوس عن التبغ القادم من توات والمتوجه إلى السودان فكانوا يأمنون الطريق ويتقاضون مقابل ذلك مكوس على القبائل التي تقطع أراضيها وكان يتولى ذلك محمد رحال وتساعده قبائل أدنان وبوفاة قائد البرابيش تولى ابنه علي بن محمد بن رحال هذه المهمة إلا أنه لم يكن في مكانة أبيه لضعفه وجبنه وقلة خبرته فأرادت جماعة من قبيلته الخروج عليه ولم يستطع توحيد عشيرته على السمع والطاعة فاستنجد بالشيخ سيد المختار الذي ثبته وأعطاه بعض المميزات التي لم تكن لآبائه وهي: يتولى أمر البرابيش فيما يتعلق بالحكم وسائر الشؤون الاجتماعية.

يتولى أمر قبيلة بني غيلان في الولاية وإدارة الأحوال الاجتماعية.يُشْرِفُ على تبغ (**الشمة**) توات بتسويقها والإشراف على تجارتها بالأزواد. كسب ود الطوارق وذلك بعدم الاعتداء، عرب القبيلة يدينون بالولاء والطاعة ويقدمون فحول خيلهم وكرائم إبلهم كهدايا[01].

ومن أمثلة الخلافات التي كانت سائدة بإقليم الأزواد الخلاف الذي وقع ما بين البرابيش والذي تزعمه محمد بن رحال مع قبيلة الرقاقدة التي كان يُغِير عليها وسبب لها عدة مشاكل مما جعلها تفكر في الجلاء إلى إقليم توات وبعد أخذ ورد بعثوا إلى سيدي المختار الكنتي للتدخل وكف

---

(01) أنظر الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق، ص. **451-452**.

شر محمد بن رحال وهذا بإبعاده عن سدة حكم البرابيش فأجابهم إلى ذلك وطلب من محمد بن رحال بالاعتراف عما صدر منه والعفو ويبين ذلك بخروجه إلى الرقاقدة ويطلب الصفح محملاً بالهدايا تطييباً لخواطرهم[01].

من خلال ما مر علينا نستنتج أن منطقة الأزواد اتسمت بانعدام السلطان السياسي، وقد عوض بالشخصيات الدينية التي كانت تمثل العنصر المحوري في هذه المناطق.

الشيخ سيدي المختار الكبير مثل حلقة ربط بين العرب والطوارق بمنطقة الأزواد، فنجده يتدخل دوما لفك الحروب والتراعات القبلية، التي كانت بين القبائل وأحيانا بين القبيلة الواحدة، إلا أن هذه المعاهدات والإتفاقيات المتوصل إليها كانت لا تعمر طويلا، فأحيانا تنتهي بوفاة الشيخ الذي أبرمها، وأحيانا أخرى تنقض من أحد الأطراف.

وإن الذي كان وراء هذه الأسباب هي الروح القبلية التي كانت سائدة في المجتمع الصحراوي، وعليه فلابد لنا من معرفة أنساب وتشكيل البنية القبلية بين إقليمي توات والأزواد.

---

[01] الشيخ سيدي أحمد البكاي، المصدر السابق، ص. 233.

الأنساب وتشكيل البنية القبلية:

ويقدم لنا الشيخ محمد الطاهري مخطوط نسيم النفحات[01] وصف عام لسكان توات فيقول (**الفصل الأول ذكر سكان توات وهم أربعة أقسام الشرفاء والعرب والمرابطون والموالي ولغتهم العربية والدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الإشعرية ومذهبهم مالكي وطريقتهم جنيدية، ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا يرجع لأشعة الشمس**) وعلى وجه التفصيل فذكر الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي[02]، أنساب أهل تيمى وهي:

- **واينة**: عوامهم ينسبون لأهل برينكان وشرفائهم من الهبلة ويرجع نسبهم تافيلالت.
- **ميمون**: ينسبون لمولاي يعقوب بن منصور بفاس.
- **ملوكة**: ينسبون لبلبالة وأبناء عمهم بكوسام.
- **بربع**: عوامهم ينسبون لأولاد باحم إخوانهم بعين صالح وشرفائهم بتافيلالت أولاد مولاي محمد.
- **أوقديم**: هم شرفاء من تافلالت بلغيتيين.
- **أدغا**: وأن عوامهم من أبناء الحاج العباس دوي منيع، والعبوبين

---

[01] أحمد الطاهري نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء العاملين التقات. مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بسالي أدرار ص24.

[02] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي. مخطوط جريدة مختصرة في أنساب أهل تيمي. خزانة كوسام ص 1-2.

من تونس، وأولاد سيدي حم من غات.

- **أولاد اونقال:** وأنهم أعراب ينسبون إلى الهقار.
- **أولاد اوشن:** وأن عوامهم ينسب بعضهم لسيد الحاج محمد الوهراني وبعضهم ينسب إلى غنوم وشرفائهم أحفاد لمولاي سليمان بن علي.
- **أولاد علي:** هم ينسبون لمولاي سليمان الحوت بتلسمان إخوانهم أهل تاله وقتنور وكالي تينجورارين.
- **أولاد أحمد:** هم عرب باكدال الآن.
- **تاريدالت:**هم شرفاء من تافيلالت بلفيتيين نزلوا على الشيخ علي قنتور ثم اندثروا.
- **أولاد إبراهيم:** ينتمون إلى أولاد دليم إخوانهم أولاد يحفص وأولاد بن أب من الساحل.
- **أولاد أعروسة:** ينسبون لسيدي أحمد العروسي مع سكان أولاد عيسى.
- **أولاد عيسى** بعضهم شرفاء ينحدرون من سيدي سليمان بن عمر من فاس وبعضهم أولاد سيدي أحمد العروسي من الساقية الحمراء من الساحل.
- **بني تامرت:** ينسبون للشيخ موسى الأقبوري والبعض لبني محمد ولأولاد باحم.

- **زاوية سيدي محمد بن البكري:** ينسبون لبني آمـر وإخـوانهم بتوقرت من عمالة الجريد وولاتة من أرض التكرور وهم شرفاء مرنيين.
- **المنصورية:** ينسبون للشيخ موسى الذي عمّر أقبور وهـم مـن الساحل[01].

ويذكر صاحب نسيم النفحات أنساب بعض أهل توات الـسفلى وملخصه فيما يلي:

- **تيلولين:** ينحدرون من ذرية عبد الله بن جعفر بـن أبي طالـب رضي الله عنه وجدهم محمد بن أبي زيان وكل أهل هذه القرية من أصل واحد إلا جماعة قليلة من شرفاء سـالي يقـال لهـم الذهبيون نسبة إلى جدهم مولاي محمد الذهبي.
- **تيطاوين:** تيطاوين العرب أهلها من العرب الكرماء وتيطـاوين الشرفة المنتمين إلى شرفاء زاوية كنتة
- **زاوية بلال:** وهم مرابطون.
- **وعزين:** وهم جعفريون.
- **أنزجمير:** وهما قصران: قصر يسكنه العـرب وقـصر يـسكنه المرابطون من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري البخاري[02].

---

[01] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي، المصدر السابق، ص. 02.

[02] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص 104- 105.

- **بوانجي:** سكانها مرابطون من ذرية سيدنا محمد بن الحنيفة بـــن سيدنا علي كرم الله وجهه.
- **أظوا:** سكانها الأولون من عرب بلال وسكانها اليوم من شرفاء المحمديون من زاوية كنتة.
- **بوعلي:** ينتمي سكانها إلى البرامكة.
- **زاوية كنتة:** مرابطون يرجع نسبهم إلى بني فهر.
- **أولاد الحاج:** سكانه من أجواد العرب.
- **زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني:** ينتسب ســكانها إلى أبي أيوب الأنصاري
- **أبو حامد:** سكانها من أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[01].
- **تيوريرين:** سكانها شرفاء محمديون علويون.
- **أيكيس:** ينتمون إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي صـــلى الله عليه وسلم.
- **با عمور:** وهم من قبيلة أولاد دليم.
- **سيدي يوسف:** وأهلها مرابطون.
- **زاوية سيدي عبد القادر:** يرجع نسبهم إلى بني فهر.
- **المنصور:** سكانه من الشرفاء.
- **ودغا:** يسكنها أبناء الشريف الصالح سيدي مولاي الزوين.

---

(01) نفس المصدر، ص. 106.

- **عزي:** سكانها الأولون ينسبون إلى سيدي محمد بن الحنيفة.
- **تمنطيط:** وبها أولاد سيد البكري وأولاد بن موسى قيل أن نسبهم يرجع إلى سيدنا إدريس.
- **الهبلة:** وسكانها شرفاء علويون وجدهم يقال له مولاي علي بن بوبكر.
- **تسابيت:** يسكنها عرب أفاضل كرماء ومرابطون وبها الشرفاء والموالي[01].
- **أوقروت:** وهي عبارة عن مجموعة من القصور الكثيرة يسكنها مزيج من الناس من عائلات وجماعات من شرفاء ومرابطين وعرب وموال[02].

إضافة إلى ذلك يذكر سلكة عبد الرحمان صاحب (**ملاحظات حول توات**) أنساب سكان القصور التالية:

- **تينيلان:** سكانها من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- **مهدية:** سكانها من أبناء سيدي أحمد بن يوسف من مليانة.
- **مراقن:** ينسب سكانها إلى عبد الله بن جعفر.
- **بوفادي، توكي، وابنكور:** ينحدرون من أولاد الحاج، أجدادهم

---

[01] أحمد الطاهري، المصدر السابق ، ص. 122.

[02] نفس المصدر، ص. 104-120.

قاموا بأولف ومقيدن ثم استقروا ببوفادي.

- **بنهمي:** شرفاء علويون.
- **العلوشية وعباني:** من أصول عربية.
- **نومناس:** من أصول عربية وينحدرون من أولاد الحاج[01].
- وأما إقليم تينجورارين فلم نعثر على نسب مفصل لسكانه إلا أن صاحب نسيم النفحات ذكر أصول بعضهم ومن ذلك قوله ومنهم ((**أبناء الحاج قاسم...سكناهم الأصلي كان متليلي وانتقل الحاج محمد إلى تيميمون وأقام بها ... وقد أدرك في عصره من أبناء هذا الشيخ سيدي الحاج محمد عبد الكريم**))[02].

ثم يقول: (**ومن جملة التجار الأخيار الكرماء الأبرار الذين هم بتيميمون الحاج محمد بن الطالب السوسي**) إلى أن قال: (**ولقد كان في هذه الزاوية شيخ يقال له الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الذي كان حبه للشرفاء لا يكاد يوجد ولا يملك مع الشرفاء شيئاً ولا يدخر عنهم شيئاً ... ونسب هذا الشيخ يرجع إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانوا قبل أن يسكنوا هذه الزاوية يقطنون بتدالت بالمغرب ويعرفون بالشرقيين والشيخ سيدي الحاج بلقاسم هذا كان**

---

[01] **Abderahmane Selka. Notice sur le Touat..., op. cit. p. 540.**

[02] أحمد الطاهري. نسيم النفحات، المصدر السابق، ص. 133.

يقرأ بتدالت ومن نسبهم الولي الصالح سيدي المعطـي بـن الـصالح صاحب الزخيرة المتوفي سنة 1180هـ-1766م)[01].

وعلى الجملة فأهل تينجورارين خليط من الأشـراف والمـرابطين والعرب وأكثرهم قبائل مختلفة الأنساب منهم الزناتة ومنهم العرب.

وأما إقليم تيدكلت فنجد عند لويس فولنوى (Louis Voinot)[02] عرضاً مفصلا للعشائر القاطنة به مما يعطينا فكرة إجمالية بتوزيع القبائل في قصور تديكلت في نهاية القرن التاسع عشر نجملها في الجدول التالي الذي يتضمن أسماء القصور والجماعات التي كانت تقطن إقليم تيدكلت:

المنطقة	إسم القصر	سكان القصر
فقارة الزوي	فقارة الكبيرة	زوى أولاد لعموش
	مولاي هيبة	الزوى
	سلافن	أولاد طالب علي-أولاد بيازيد
	قصر حينون	الزوى
فقارة لعرب	فقارة لعرب	أولاد المختار
أقسطن	عسون – تاغست	أولاد الطالب علي
	القصبة الفوقانية	أولاد حسون – أولاد دحان
حاسي لحجار	حاسي لحجار	أولاد دحان

(01) نفس المصدر، ص 133-134

(02) في كتابه: Le Tidikelt, op. cit., p 364.

الساهلة الفوقانية	قصر الفوقاني قصر سلافن	أهل عزي – أولاد سيدي عبد الله الزوى
الساهلة التحتانية	سهالة لمطارفة	أولاد بودحان أولاد أشميان
مليانة	مليانة	زوى – أهل عزي

أما بالنسبة لإقليم الأزواد فيضم ثلاثة مجموعات عرقية متمايزة: الطوارق (**كلنتصر**)، الكنتيون، البرابيش.

1- الطوارق: إهتم عبد الرحمان بن خلدون بدراسة أجداد الطوارق من الصنهاجين الذين ردهم إلى أصول عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية فيقول: ((**ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم (الطوارق) كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نسابة العرب خلاف والمشهور أنهم من اليمنية، وأن أفريقش لما غزا إفريقيا، أنزلهم بها...**))[01].

وقال الكلبي ((**إن كتامة وصنهاجة ليست من قبائل البربر وإنما هي من شعوب اليمانية تركها أفريقش بن صيفي بإفريقيا مع من نزل بها من الحامية**))[02].

أما عن البربر ومعنى هذا اللفظ فيقول ابن خلدون البربر: قبائل شتى من حمير ومضر ولقيط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا

---

(01) ابن خلدون. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، المجلد السادس. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1958.، ص192

(02) نفس المصدر، ص. 177.

فسماهم أفريقش البرر لكثرة كلامهم وسبب خروجهم عند المسعودي والطبري والسهيلي، أن أفريقش استجاشهم لفتح إفريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره:

بربرت كنعان لما سقتها من أراضي الضنك بالعيش الخصيب

وفي سبب خروجهم خلاف لسنا نذكره في هذا المقام[01] وكثير من كبار السن من الطوارق ينسبون أنفسهم إلى العرب ويقولون أهم من حمير جاءوا إلى منطقة الشمال الأفريقي بعد خراب سد مأرب والطوارق الذين بمنطقة الأزواد ينتمون إلى قبيلة كلنتصر المقيمة، بتمبكتو شمال مالي وهذه القبيلة تنتمي في أصولها كما يقول بول مارتي **(Paul Marty)** نقلاً عن بعض شيوخها إلى قبيلة الأنصار المتواجدة بالمدينة المنورة و"**كل**" عند الطوارق معناها أهل و"**أنصار**" تعني الأنصار وبالتحديد من يعقوب الأنصاري الذي غادر المشرق مع زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه بعد أن هزم الأمويون بني هاشم حيث استقروا أولاً في فاس ومراكش والشجرة العائلية لكلنتصر هي يعقوب الذي خلف بوبكر الذي خلف أصليح الذي خلف لمتنون الذي خلف إسحاق الذي خلف عبد نافع الذي خلف لمزاف الذي غادر فاس وتوجه إلى الهقار عند طوارق إدنان الذين كانوا قادة البلاد ومن تلك الفترة أرخت بداية البربرية في قبيلة كلنتصر وفي الوقت الذي تم الانشقاق فيه بين الأدنانين ولمزاف

---

(01) نفس المصدر، ص. **184- 185**.

توجه إلى ناحية نهر النيجر الذي أوصله إلى أقيتشان الواقع بين بمباوبورام ويحكى أن كلنتصر من الشرفاء يعيشون بسلام تحت إشراف السنغي وفي هذه المنطقة توفي زعيم كلتنصر ودفن بمنطقة افيتاو وابنه المزمل خلف انقع الذي امتد نفوذه الروحي على قبيلته وقبائل البمبارا وتزوج بامرأة طارقية من أدنان ومن هنا بدأت عادات الطوارق تظهر فيهم، الشيء الذي جعل أبناءهم ينسون اللغة العربية وتظهر عندهم العادات الطارقية المتمثلة في لباسهم المحلي وعادات أخوالهم فأصبح أولادهم يلحقون لأمهاتهم[01].

2- **قبيلة الكنتيين:** أصل قبيلة كنتة حسب الروايات الشفوية والمصادر المحلية يرجع إلى عقبة بن نافع فاتح شمال إفريقيا الذي استشهد في معركة تهود سنة **64**هـ - **683**م فقد خلف ابناً يسمى العاقب ومنه تفرق نسله في الشمال الإفريقي حسب ما ذهب إلى ذلك سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير[02].

وهذا ما أشار إليه الشيخ سيدي محمد بن بادي في هاذين البيتين:

كنتة اتت من الاتفاق الشائع — للمستجاب عقبة بن نافع

جد قريش كلها الأصح — وقيل من نضر جميعها وصح[03]

---

(01) **Paul Marty. Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan, op. cit.**

(02) الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير. الرسالة الغلاوية، أقبلي، المخزانة العقباوية ص 03.

(03) الشيخ سيدي محمد بن بادي بن باي قصيدة في أصل كنتة بحوزة الشيخ سيدي عمر بن علي، باحث بمركز أحمد بابا تنبكتوا.

هذا وتذهب بعض الروايات المحلية غير المؤكدة إلى انتشار أحفاد عقبة بن نافع في مختلف مناطق بلاد المغرب، فشاكر بن يعقوب ضريحه بالقيروان، أما عبد الله الملقب بيهس فتوجه إلى تلمسان وبقي بها زمن السلطان المريني بوعنان **749**هـ **760**هـ - **1348**م **1358**م وبعد وفاة السلطان بوعنان توجه إلى مستغانم(01) ومن هنا بدأت الهجرة نحو الجنوب فحسب هذه الروايات الشفوية والأقوال المتناقلة أن القبيلة الكنتية استقرت بالصحراء بعد أن اصبحت الأوضاع غير ملائمة في المناطق الشمالية ببلاد المغرب خلال القرنيين **13**م-**14**م فارتبط تاريخ الكنتيين بإقليم توات البعيد عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية وإعطاء التكرورنفس روحي كانوا في حاجة إليه من أجل الاستمرار في نشر الدعوة وتعليم القرآن الكريم.

ومن الروايات المتواترة أن جماعة كنتة استقرت منذ قدومها إلى توات بموطن يعرف بعزي(02) إلى جانب قصر تمنطيط الذي كان مركز لليهود يتحكمون منه في التجارة الصحراوية وأثناء ذلك عرف كل من عثمان بن دومان وسيدي يحي بتحفيظ القرآن الكريم للصبيان ونشر الطريقة القادرية بين الناس ثم خلفهم سيدي علي الذي كان يخرج

---

(01) L. HAMET."Les Kounta".Revue de Monde musulman, t.12, 1911, p. 306.

(02) قصر عزي يتبع حالياً لبلدية فنوغيل ويبعد عن مقر الولاية بحوالي **25** كلم.

للمرابطين ليأخذوا عنه الأوراد[01] بعد ذلك انتشرت كنتة بمختلف قصور توات، وارتبط تاريخها بالأحداث التي عرفتها الأقاليم الصحراوية هذا وقد اشتهر أمر كنتة مع نهاية القرن الخامس عشرعندما ظهر الشيخ سيدي علي بن أحمد الذي عاصر الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي فوافقه في أفكاره ونشأت بين الشيخين روابط وصلات وثيقة فقد رافق الشيخ سيدي علي بن أحمد الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي للبقاع المقدسة لأداء مناسك الحج ولازمه في كل المحطات التي مر بها وهنا نرجح أن الشيخ سيدي علي بن أحمد قد وافق المغيلي في الفتوى التي أصدرها بإعلان الجهاد على الجماعة اليهودية بقصر تمنطيط بسبب استبدادها وتحكمها في مصالح المسلمين وخروجها عن ذمتهم وهو في ذلك يختلف مع قاضي توات الشيخ أبو بكر العصنوني الذي أقر إقامة البيع مع عدم وجود عقد الجزية الذي ينظم لليهود معيشتهم بإقليم توات وقد كان للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي السبق في الدعوة الإسلامية بغرب إفريقية وارتبط بقادة وعلماء هذه المناطق وانتهت حركته بوفاته، أما الكنتيون فقد وصلوا إلى غرب إفريقية في فترة لاحقة الأمر الذي سمح لهم بتعميق حركتهم التي كان لها تأثير كبير في البوادي والأرياف وهذا ما ساعدهم على الهجرة نحو الجنوب والاتصال المباشر بمراكز السودان الغربي لاسيما بعد أن أصبح سيدي علي بن أحمد الرئيس

[01] الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، المصدر السابق، ص. 03.

الأعلى للطريقة القادرية في ما وراء الصحراء بعد وفاة المغيلي **915**هـ-**1509**م ولقد وافت المنية الشيخ سيدي على بن أحمد بسوس بالمغرب عام **961** هـ-**1553**م هذا وكانت فترة استقرار كنتة نهائياً بالصحراء خصيصاً بعد ارتباطها بالأحداث التي عرفتها منطقة السودان وتوجه أبناء سيدي أبي بكر وسيدي عمر الشيخ باتجاه الأزواد عبر الطرق التجارية الصحراوية الرابطة ما بين توات وغرب إفريقيا ولقد وصلوا إلى إقليم الأزواد حاملين معهم لواء الدعوة الإسلامية، وبتواجدهم بالأزواد اختلطوا بالأفارقة فأثروا وتأثروا بالعادات الزنجية وزاد تأصيلهم بالإقليم وظلوا مرتبطين بمواطنهم الأولى بإقليم توات.

هذا ومما يلاحظ أن نزوح كنتة إلى إقليم الأزواد ارتباط بارتفاع عدد أفراد القبيلة وتفرعها إلى بطون عدة عرفت باسم قبائل الرقاقدة وأولاد سيدي المختار والهمال وأولاد الوافي وقد شكلت هذه القبائل فروعا من القبيلة الكنتية المتألفة من مجموعة من الخيم ترتبط مع بعضها بروابط النسب الواحد والأصل المشترك ومما يلاحظ أن الخيمة الكنتية يتراوح عدد أفرادها من ستة إلى أربعة عشر فرداً ويتفرعون إلى عدة خيام نذكر منها: الرقاقدة، أولاد سيدي المختار، الهمال، أولاد الوافي. بالإضافة إلى قبائل إقليم توات التي تتمثل في:

الزناتة:

يسكنون في منطقة تينجورارين منذ أقدم العصور فكانوا ينتقلون بين جبال الزاب ومنطقة بسكرة ووادي ريغ كما كانت لهم علاقة مع سكان صحراويين ثم نزحوا نحو الجنوب فاستقروا بواد أمقيـــدن ثم نزلـــوا إلى تينجورارين، وعند سقوط دولة العبيدين في القرن العاشر ميلادي استقروا نهائيا بها وأسسوا قصورا نذكر منها: بني ملوك بني هلال وأولاد راشد[01].

المحارزة:

ارتبطت هذه القبيلة باسم علي بن مسعود الذي قدم من الجزائر من بلاد تونس رفقة الشيخ معمر بن سليمان المعراج أبي العالية الذي اســـتقر بآربا خلال القرن السابع أو الثامن الهجريين، أما علي بن مسعود المحرزي استقر بمنطقة تينركوك بعد ما أمره شيخه بذالك وكلفه بنشر التعلـــيم في المنطقة وقد تزامن ذلك مع وجود الشيخ أحمد المرفوع الذي التقى به في منطقة تينركوك.

---

[01] **Jean BISSON. <u>Le Gourara: étude de géographie humaine</u> Alger: Impr. d'Imbert, 1953, p. 93**

تعتبر منطقة تينركوك مكان تمركز هذه القبيلة بالإضافة إلى قصر حمو وتزليزة وزاوية الدباغ وفاتيس[01]. وقد أسسوا هذه القصور سنة 1012هـ[02].

كما تنتشر هذه القبيلة بالقصور الأخرى بسالي وتسابيت، وقد تفرعت هذه القبيلة إلى أولاد بدواية وزراري ومعزوزي وأولاد الطالب وأولاد حمادي وبن كادي وجبّار وعوماري ولزرق.

الخنافسة:

ينتشرون في المنطقة الممتدة مابين أوقروت وكبرتن منذ القرن الثاني عشر الميلادي ويتواجدون بضبط بقصر تبلكوزة وتعنطاس وزاوية الدباغ وأغيات والحاج قلمان وأولاد عايش[03].

الزوى:

ارتبط الزوى بمنطقة تينجورارين بسيدي سليمان بن أبي أسماحة وذلك سنة 897هـ-1477م وهي التي توفي بها سيدي سليمان في تبو بتينجورارين ومنذ هذا التاريخ ارتبط بالمنطقة نذكر منهم:
سيدي عبد القادر بن محمد الذي ارتبط بمنطقة أولاد سعيد وتبلكوزة وزاوية الدباغ ثم تبعه الحاج أبي حفص الذي درس عند الشيخ الحاج أبي محمد وتنقل بين أوقروت وعين صالح حيث أنشأ زاوية له وتوجه إلى

---

[01] تبعد هذه القصور حوالي 300 كلم شمال مقر ولاية أدرار.

[02] مقابلة مع محمد الهاشمي بتنركوك بتاريخ 2003/11/19م.

[03] Jean BISSON, op. cit., p. 94.

البقاع المقدسة وبعد رجوعه من الحج سنة**1133**هـ - **1720**م أنهى مهمته ابنه محمد بن بحوص الذي استقر بالمنطقة وأسس

قصر الزاوي وانتشر أبناؤه الأربعة: بحوص وزيان ودحمان والطالب بالقصور المجاورة وأعادوا بناء قصر مولاي هيبة بأولف[01]، وفي أثناء ثورة أولاد سيد الشيخ كثر ترددهم إلى تينجورارين فنزلوا بفاتيس وزاوية الدباغ ثم بعدها نزلوا إلى إقليم توات[02].

الشعانبة:

نزلوا بإقليم متليلي سنة **751**هـ - **1350**م وينتمون إلى ثامر بن تلال وتعتبر الصحراء الرملية إمتدادا لنفوذهم. ولقد انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم توجه إلى ورجلان واستقلوا بها تحت قيادة بوربة.

والقسم الثاني توجه إلى المنيعة واستقر بها تحت قيادة المحادة وأولاد يش.

أما الذين استقروا بمتليلي يطلق عليهم إسم البرازقة وقد جاءوا إلى إقليم تينجورارين وتيدكلت عن طريق القوافل التجارية التي كانوا يقودونها إلى هذه المناطق[03].

---

[01] **VOINOT, p. 345.**

[02] **مقابلة مع الطواهرية عبد الله أدرار يوم 2002/03/30م**

[03] **Yves REQUIER. Les Chaamba, sous le régime français. Paris : Ed. Douerait, 1958, p.10.**

وتذكر الرواية التاريخية إن الشعانبة ارتبطوا بتينجورارين عن طريق أحد أعيانهم الملقب بحروز الذي أعان سيدي عثمان[01] إما في حفر فقارته المغير أو أنه ساعده في إعادة مياهها بعد ما سقطت حجرة أوقفت مـــاء فقارة المغير عن جريانها فأعانه على تكسيرالحجرة وجلب مياهها دون أن يأخذ نصيبه من الماء فدعا له بالخير وأعطى له الأمان له ولقبيلتـــه بـــأن يسكن بجواره[02]، ويتركز الشعانبة في تينجورارين بزاوية الدباغ وتيميمون والعرق والمطارفة. أما بإقليم توات فيتركزون بتسابيت وبوعلي[03] ونفيس برقان، أما بتيدكلت فيتواجدون بأولف وعين صالح.

---

[01] سيدي عثمان يعتبر من علماء القرن السابع الهجري إشتغل بمهنة التدريس بمنطقة الـــشام ثم اســـتقر بمنطقة تينجورارين التي حفر بها عدة فقاقير فأسس القصر القديم والمسجد العتيق وإشتغل بالتدريس وبعد وفاته خلف خمسة أولاد أمحمد بن عثمان الذي دفن بإقلي والسعيد الذي دفن بمكناس وأحمـــد الذي دفن بتدمايت. أنظر: نتف خطية بن خالد عبد الرحمان تيميمون.

[02] مقابلة تمام جلول بتيميمون 2003/04/21م.

[03] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. 106.

توزيع السكان وأماكن الاستقرار:

هناك مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة على توزيع واستقرار السكان بالإقليمين، فواحات توات تقع فوق بحيرة من المياه وتمتد على طول واد مسعود وسبخة تيميمون بتينجورارين.

فوادي الساورة الذي يجري إلى فم الخنق تمتد مياهه إلى إقليم توات ويغذي هذا الوادي طبقات الماء الباطنية التي تمول الفقارات والتي يعتمد عليها السكان في السقي وتأتي قصور توات بمحاذاة وادي مسعود.

ومن الملاحظ أن الضفة اليسرى لوادي مسعود والضفة الشرقية لسبخة تينجورارين هي أماكن تكثر بها العيون وتتمركز حولها الحياة البشرية التي نشأت عنها الواحات يسود الوادي وشطوط السبخة رطوبة مرتفعة، ويعتبر عامل المياه والرطوبة أهم العوامل الجاذبة للاستقرار البشري[01].

هذا إلى جانب ميل الطبقات الرسوبية، نحو السبخة توجد كتل تضاريسية مرتفعة تتكون من طبقات صخرية تحتوي الطبقات الوسطى على الماء لذلك فإن ميل الطبقات الصخرية له دور مهم في توجيه جريان المياه الباطنية (**الفقارات**) فحول السبخات تميل الطبقات الصخرية للكتل التضاريسية المرتفعة في اتجاه الشمال الغربي وتمثله هضبة تادمايت وهذا الميل يساعد على تدفق المياه الباطنية المتمركزة في الجهات العليا نحو قاعدة

[01] **Emile–Félix Gautier, op. cit., p. 250.**

الكتل التضاريسية حيث تنتشر الواحات التي تمثل مركز استقرار السكان[01] هذا وباستثناء بعض الواحات التي توجد متطرفة نحو الشمال مثل تاملين والحايحة فإن جميع واحات تينجورارين تتواجد تقريباً في موقع جغرافي متشابه:

أ- شط الظهراني (**الشمالي**).

ب- الشط الشرقي.

جـ- الشط القبلي (**الجنوبي**)[02].

1- فعلى وادي صالح بشط الظهراني (الشمالي): توجد المجموعة الأولى من واحات أقصى شمال قورارة أهمها:

- تبلكوزة، فتيس، ودغاغ، زاوية الدباغ، عين حمو

2- وفي منطقة المبروك شرق شط الظهراني (الشمالي): تمتد سلسلة قصور الخنافسة وعلى الواجهة الغربية للشط الشرقي توجد واحات أولاد سعيد.

3- أما بالنسبة للشط القبلي (الجنوبي): فتنتشر سلسلة من الواحات البعض منها تابع لواحات أولاد سعيد وبعضها يتبع منطقة تيميمون.

- أما منطقة توات فتبتدئ عند نهاية وادي الساورة وبداية وادي مسعود ابتداء من واحة بودة وتنتشر على الضفة اليسرى لوادي مسعود بقية

---

(01) **A.G.P. Martin, op. cit., p. 2.**

(02) **A.G.P. Martin, op. cit., p. 4.**

قصور توات تنتهي عند قصر رقان ويقوم نشاطها الرئيسي على الفلاحة والسقي من مياه الفقارات التي تموِن من المياه السطحية لوادي مسعود.

ويقع إقليم تيدكلت بين الأصل غرباً وهضبة تادمايت شمالاً وهضبة مويدير جنوباً يخترقها وادي أقربه الذي يصب في وادي مسعود نحو الجنوب الغربي بينما يتفرع من جهته الشرقية والشمالية الشرقية إلى عدد كبير من الروافد والشعب والأودية وقد كون نحت السيول شبكة معقدة من الفروع ساهمت بقيام واحات كثيرة بهذه الأودية تعتمد على المياه الأرتوازية في الحياة الرعوية الزراعية.

أما في إقليم الأزواد فيعتبر نهر النيجر العامل الرئيسي في توزيع السكان إضافة إلى المراعي ومنابع الماء المنتشرة بالمنطقة فبدو الطوارق والبرابيش إضافة إلى بعض البطون الكنتية يتنقلون في مناطق مختلفة من الأزواد حسب تواجد المراعي والمياه فمثلاً كان الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي يصل في ترحاله إلى الأطراف إلى الصحراء وانتهى في بعض المرات إلى موضع يشرف على نخيل درعة[01] وذكر (**F. POUSSIBET**) أن بدو البرابيش يقومون في أغلب الأحيان بدورة سنوية حول الآبار الموجودة بالمنطقة وتنقلات قصيرة بالقرب من النهر[02].

أما أهل المدن الرئيسية فهم مرتبطون مباشرة بنهر النيجر حيث أن (**جني**) تقع على أحد روافد مدينة تمبكتو إلى الجنوب الغربي، من تمبكتو،

---

[01] الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، المصدر السابق، ص. **206**.

[02] **P. POUSSIBET, op. cit.**

كما أنها تقع على منحنى نهر النيجر الذي تسقي سهولها من مياهه، كما توجد قناة تصل ما بين تمبكتو ونهر النيجر تسمح بدخول الزوارق الصغيرة إلى مدينة تمبكتو في موسم تساقط الأمطار[01].

يتبين من خلال ما سبق أن إقليمي توات والأزواد رغم تواجدهما في نطاق الموقع الصحراوي المتميز بالحرارة صيفاً والبرودة شتاءً إلا أن الإنسان الصحراوي استطاع أن يتكيف مع هذه العوامل الطبيعية القاسية فأسس عدة أقاليم اجتماعية كتنجورارين الملامسة لإقليم البيض والتي تتميز بتنوعها الحضاري وبنيتها الاجتماعية المختلفة من محارزة والذين يقطنون بتبلكوزة وفاتيس وعين حمو وخنافسة الساكنين بأولاد سعيد وشعانبة وزوى وزناتة كل هذه القبائل نجدها قد اندمجت مع بعضها البعض وأظهرت شكلية إجتماعية جديدة تسمى سكان تينجوراريين ونفس هذه الظاهرة نجدها بتوات والأزواد وتيديكلت والأزواد فالمجتمع الصحراوي يتميز بحياته القبلية التي هي جزء من شخصيته تجعله يأخذ منها امتداده الروحي ليتعايش مع سائر القبائل الأخرى.

فهذا النمط السكاني أنجر عنه ظهور ما يسمى بالقصور بتوات والتي يزيد عددها عن ثلاثمائة قصر موزعة بين تينجوراريين وتوات وتيديكلت أما بالأزواد أفرز التوزيع السكاني ما يسمى بالحواضر كتمبكتو وقاو

---

[01] **René Caillié, op. cit., p. 264.**

وأروان وخارج هذه الحواضر أسس السكان ما يسمى بالحلة التي هي نظام خاص بإقليم الأزواد.

ويرجع عامل الاستقرار السكاني بتوات والطابع البدوي بالأزواد إلى عنصر الماء باعتباره أداة أساسية في الحياة اليومية سواء في البادية الأزوادية التي يعتمد سكانها على مياه الأمطار والآبار أو في القصور التواتية التي يستفيد سكانها من مياه الفقارة أو الخطارة كل هذا سنتعرض له في الفصل الموالي.

الفصل الثاني:

المياه والنشاط الزراعي بتوات والأزواد

تمهيد:

ساعد موقع إقليمي **توات والأزواد** الطبوغرافي المتميز ونهاية بعض الأودية به كوادي مسعود الذي تكون نهايته برقان ومنخفضات هضبة تدمايت ومنخفض وادي مقيدن كونت بحيرة مائية بأسفل إقليم توات تعتبر من أغنى البحيرات الباطنية في العالم سواء السطحية منها أو العميقة.

فالمناطق التي تكون المياه فيها على أعماق بعيدة من سطح الأرض فقد ابتكر سكان إقليم توات نموذجاً فريداً من نوعه لاستغلال المياه يسمى نظام الفقارة استطاعوا أن يستغلوا العناصر الطبوغرافية للأرض ويستخرجوا المياه ويجعلوها دائمة الجريان معتمدين في ذلك على جر المياه بوسائل تقليدية تحكمت فيها المهارة الفنية للمهندس المحلي والأدوات التقليدية والروح الجماعية في استغلال المياه وقد انتشر نموذج الفقارة في كامل أنحاء إقليم توات.

وأحيانا تكون المياه جد قريبة من سطح الأرض فتستغل بطرق بدائية كنظام الخطارة الموجود في المنطقة الشمالية لإقليم توات وبالضبط

في الأماكن القريبة من واد الناموس كتبلكوزة وزاوية الـدباغ. أمـا في أقصى الجنوب وبالضبط في الأزواد فقد استغل سكانه نظـام تـساقط الأمطار

والآبار الارتوازية وفيضان نهر النيجر كل هذا سنتطرق إليه في هذا الفصل.

- عنصر الماء ومكانته في الحياة الاقتصادية.

تقوم الحياة الفلاحية بوسط إقليم توات على استغلال المياه الجوفية وفق نظام سقي معقد يعرف بالفقارة[01] تتم بواسطته اسـتخراج الميـاه الجوفية وتوزيعها على المساهمين وفق الحصص وذلك لجفاف المنطقة التي تعتبر أكثر المناطق الصحراوية جفافاً وأكثرها حرارة فهي مميزة بمناخ قاري جاف حار صيفاً وبارد شتاءً أمطاره قليلة يزيد معدل التساقط بـعشرين ملم سنوياً هذا المناخ السائد بالمناطق الثلاث جعل الحاجة إلى المياه جـد ضرورية لإنعدام مصادر مياه سطحية معتبرة وإن كان بإقليم توات يتوفر على ثلاث أودية هامة هي:

01- واد أمقيدن: وهو عبارة عن امتداد لوادي سقور الذي ينبع مـن المنيعة ثم يتحول إلى وادي شيدون ويستمر في سيره غرباً لينتهي بمنطقـة قورارة مكوناً السبخة.

---

[01] حول الفقارة أنظر:

René Arrus. – L'eau en Algérie de l'impérialisme au développement 1830-1962. - Alger: Office des publications universitaires, 1985.

02- وادي مسعود: وهو عبارة عن تلاقي لـــوادي قـــير مـــع وادي زوزسفانة بمنطقة فقيق ويتجه جنوباً ليطلق عليه اســـم وادي الـــساورة ويتجه غرباً ثم جنوباً ليسمى وادي مسعود ويكـــون ســـبخة بمنطقـــة تسفاوت ويتجه بعد ذلك إلى رقان لتغور مياهـــه بعـــدها في صـــحراء تترروفت.

03- وادي قارية: ويأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تيدكلت ويتجه نحو الجهة الجنوب الغربية ليكون رافداً لواد مسعود[01].

وبسبب قلة التساقط وبعد الأودية عن منابعها، إضافة إلى الطبيعـــة الرملية للتربة في كثير من المناطق التي تمر عليها، لم يكن لهذه الأودية دور في النشاط الزراعي بصفة مباشرة، غير أنها ساهمت في تكوين طبقات من المياه الجوفية المعروفة الآن بالحوض الألبي (**ALBIEN**)[02] الذي يمتد على مساحة شاسعة تقدر بحوالي مليون كيلومتر مربع يصل إلى ليبيا وتونس.

وتنحصر مياهه في التكوينات الطينية القريبة من الـــسطح بتـــوات والمناطق المجاورة له وتظهر مياهه على السطح في بعض مناطق تيميمون. ويعتبر هذا الحوض المائي المنبع الأساسي لمياه الفقارات والذي يـــستخرج

---

[01] **Lo (Capitaine). «Les foggaras du Tidikelt». Travaux de l'IRS, T.X 1953 et T.XI 1954.**

[02] يصل عمقه في الشمال إلى **300**م ويصل بنواحي توقرت **1300**م أمـــا ببـــسكرة فـــ **2600**م ويتواجد قريباً من السطح بتوات.

وفق طريقة خاصة تعرف بنظام الفقارات التي تشكل النمط التقليدي للإنتفاع من المياه الجوفية في المنطقة وهذا ما يتطلب منا تعريف

بالفقارات فمن حيث المدلول اللغوي تطلق الفقارة على القنوات الباطنية بمناطق تنجورارين توات وتيدكلت –ولا يختلف العامة في إطلاق هذه التسمية على هذا الأسلوب من السقي لأنه عرف منذ القديم ولا زالت الفقارة حتى الآن وإذا أردنا البحث في أصل هذه التسمية ولماذا أطلق عليها هذا الاسم فإننا نجد عدة تفاسير حول ذلك:

- **فقارة:** وهو الاسم الذي ينطق به اللسان المحلي للدلالة على هذا النظام مفرده فقارة، جمعها فقاقير[01]. وبذلك يتضح أن كلمة الفقارة[02] ما هي إلا نطق تحول مع مرور الزمن عن أصله العربي وتدرج للفظه العامي.

---

[01] وعند رجوعنا لأصل هذه التسمية من الناحية اللغوية نجد كلمة:

فقأ: بمعنى شق ويقال تفقأ بمعنى تشقق للمبالغة وفقأ البثرة أي شقها لإخراج ما فيها فقرة: جمع فقرات مصدرها فَقُرَ، فَقارَةٌ، فَقَارٌ واحدة من عظام السلسلة العظيمة الظهرية الممتدة من الرأس إلى العصعص.

راجع: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. المعجم العربي الأساسي. تونس: المنظمة، **1989**، ص**945**.

[02] الفجارة: جمع فجارات وهي من التفجر (فَجَّرَ يُفَجِرُ تَفْجيراً) جعل الشيء يتفجر، الماء شق له طريقاً ومنه قوله تعالى ﴿فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾ وقوله ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ وقوله ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾ ويقال مفاجر الواد أي روافده وفجرت الماء أفجره أخرجته من العيون.

ونحن بصدد هذه المصطلحات يتضح لنا أن جميع هذه المصطلحات تفيد معانٍ ذات دلالة متصلة بالفقارة.

فالفعل فقأ يدل على الشق وهو معنى موجود في شق قنوات الفقارة كما أنه يدل على الشق الناتج عنه خروج شيء سائل يقال فقأ عينه وفقأ البثرة وغيرها.=

وقد أصبح هذا اللفظ يدل أساسا على نفق ضيق وشكل ثقب في الأرض يربط سلسلة من الآبار يجمع هذا الثقب المياه من ينابيع تقع في مستويات مختلفة حسب تضاريس الأرض وتحفر في منحدر بسيط بحيث يكون بعضها فوق بعض وتفصل بين البئر والأخرى مسافة معينة كما يتميز البئر الأعلى عن الأدنى بانحدار بسيط يسمح بجريان الماء من خلال الأروقة الباطنية تتصل تلك الآبار ببعضها ويجري الماء من الآبار العليا إلى الآبار السفلى وتتدفق المياه من بئر إلى آخر لتنتهي بعدها في حوض استقبال يقوم بتوزيعها للسقي والاستعمال المختلف[01] ويسمى بالعامية بالقصرية.

- مصدر الفقارة وتاريخ إنشائها:

هناك عدة نظريات طرحت بشكل أو بآخر في معظم الدراسات السابقة حول أصل ومصدر وتاريخ إنشاء الفقارة بتنجورارين توات وتيدكلت وما هي العوامل الأولى سواء الطبيعية أو البشرية التي ساعدت أول إنسان خطرت على فكره فكرة الري بالفقارة.

إن البعض من الفرضيات تقول أنه في فترة قديمة **(في بداية الألف الأولى ميلادي)** كانت الكتلة المائية الجوفية للحوض الألبي ذات مستوى

= وكلمة فقرة الدالة على الواحدة من السلسلة العظيمة المعروفة لها مشابهة شكلية حيث أن التجويف الباطني للفقارة يشابه إلى حد كبير التجويف الباطني الذي يمر به النخاع الشوكي.

أما فعل فَجّرَ فظاهر الدلالة على الشق إضافة إلى معنى المبالغة فيه.

[01] - بن سويسي محمد- بحث حول الفقارة بإقليم توات،. - د.م.: جمعية البحوث والدراسات التاريخية، 1997، ص3.

مائي أعلى مما هي عليه في فترة لاحقة وقد ساعدت طبقات الماء الموجودة قرب السطح في بعض المناطق من استخراج الماء بكل سهولة وخاصة في بعض الأماكن كانت تظهر بها العيون على حواف الجروف، ولكن في فترة تالية (**تحدد بالقرن العاشر ميلادي**) حدث انخفاض للمستوى المائي للكتلة الجوفية ويذكر أنه في قصر تمنطيط وعلى حافة الانحدار الذي بني عليه القصر كانت هناك عيون تجري بمياه معتبرة في فترة قديمة ثم مع مرور الزمن اختفت العيون المائية ومن ثم حاول السكان حفر آبار أخرى وثقوب مائية لجلب المياه من جديد وقد استمر مستوى الماء في الانخفاض تدريجياً فاتجه سكان تمنطيط للبحث عن المياه في الاتجاه الذي يوجد فيه مخزون الماء بوفرة وذلك في الجيوب المائية الألبية بالخصوص في اتجاه هضبة تادمايت حيث طبقات الحوض الألبي كبيرة ومنها تتزود معظم فقاقير المنطقة، وإذا كان هذا هو التفسير الذي أعطاه فالي (**VALIE**) حول مصدر الفقارة فإن هناك خلافاً بين الدارسين والمهتمين بالمنطقة حول أصل نشأة الفقارة.

فهناك دراسة النقيب لو (**LO**) الذي أورد آراء حول من أدخلها إلى منطقة توات منها رأي يعود إلى ما أورد السيوطي في النوازل العشر إلى أنصاف الميسور لمولاي حسن القيلاوي والتي مفادها أن أحد الأشخاص كان مطارداً من طرف أحد ملوك المغرب في نهاية القرن الأول

الهجري فترل بقصر تمنطيط وحفر بها أول فقارة والمسماة حاليـــاً بــــ (هنو)[01].

ومنها رأي أ.ج.ب. مارتن (A.G.P.MARTIN) الذي يــذهب إلى القول بأنه بعد سقوط دولة العبديين بمصر هاجر عدد من العبديين إلى إقليم توات وتمبكتو وأقاموا قصوراً ونظموا السقي بأسلوب حفر التــرع تحت الأرض فأخرجوا المياه من باطن الأرض إلى سطحها فسموا هــذه الطريقة بالفقارة.

ورأي آخر يتلخص في أن إحداث الفقارة يعود إلى فرار جماعة من البرامكة من بغداد بعد نكبتهم على يد الرشيد الذين قدم بعضهم حسب الرواية الشعبية إلى قصور توات السفلى وواحة سالي فنقلوا طريقة حفر الفقاقير التي كانت مشابهة في هندستها ما كان جاريـــاً بـــه العمـــل في إيران[02].

وذكر محمد باي بالعالم نقلاً عن مخطوط المهـــداوي **"أن الجاليـــة اليهودية التي نزحت إلى توات في وقت بعيد هم الذين اختطوا الفقارة ويستدل على ذلك بأن اليهود الذين ابعدوا من المدينة المنورة قـــاموا بحفر فقاقير بإقليم توات مشابهة لما يعرف بالشراج بالمدينة المنورة"**[03].

---

[01] **Lo (capitaine). "Les foggaras du Tidikelt", op. cit., p. 142.**
[02] **Ibid p. 143.**
[03] محمد باي بلعالم: إمام مدرس بالمدرسة القرآنية بأولف: مقال في أعمال المهرجان الثقافي الأول بأدرار 1986.

وهناك رأي أخر يقول أن البربر من قبيلة زناتة الذين استوطنوا المنطقة في وقت مبكر قد يكونون هم من اختطوا وحفروا الفقارة وبنوا القصور بمعظم نواحي توات وخاصة أن معظم أسماء تلك الفقاقير هي بربرية[01] وهذا بعد نزوح زناتة إلى المنطقة خلال القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي عندما سقطت دولتهم فترلوا بأرض بودة فوجدوا مياه وادي قير قد جفت فبدأوا بالحفر والبحث عن الماء حتى تمكنوا من استخراج الماء واتخذوا من مجرى الوادي بساتين وجنات وحفروا الفقاقير وبنوا القصور[02].

وإذا رجعنا إلى الفرضيات التي وردت عن بعض الكتاب والمهتمين وخاصة الفرنسيين الذين عملوا بالمنطقة في النصف الأول من القرن العشرين على أن أغلبهم يذهب إلى أن الدافع الرئيسي الذي أدى بإنسان المنطقة إلى حفر الفقارة هو تراجع كميات مياه الينابيع التي كانت متوفرة في زمن قديم، حيث جفت تلك الينابيع في القرن العاشر ميلادي أي الرابع هجري ومنذ ذلك التاريخ بدأ سكان المنطقة في البحث عن الماء تحت الأرض وبطرق شتى لجلب المياه الجوفية المتوفرة وخاصة على حواف الجروف والهضبات إلى أن اهتدى السكان إلى طريقة السقي بالفقارة.

---

(01) محمد بن عبد الكريم البكراوي. درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد الإسلام. خزانة ابن عبد الكبير المطارفة.

(02) محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص. 10.

- **مرحلة إنجاز الفقارة:**

إن الطريقة التي تذكرها بعض المصادر والمراجع عن إنجاز الفقارة قديماً ليست بالطريقة التي يمكن اعتبارها بسيطة وفي متناول أي مجموعة بشرية فهي تتطلب تحضيراً لمختلف مراحل الإنجاز انطلاقاً من التخطيط الأولي لمسلك الفقارة ثم معرفة طبيعة الأرض التي ستمر بها ويصف عبد الرحمان بن خلدون، صعوبة حفر الفقاقير عند التواتيين ويقول في ذلك **"وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعداً فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً ويزعمون أن الماء أعجل بسرعته عن كل شيء، وهذه الطريقة الغريبة موجودة في قصور توات وتينجورارين ورغلة وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العظيم"**[01].

إن تخطيط الأرضية أو الممر الذي ستقام عليه الفقارة من أول الأعمال التي يبادر بها أهل الفقارة وتكون عادة الاستعانة بأحد الخبراء الكبار من القصر أو من قصر مجاور تكون به فقاقير ويعتمد العاملون بالفقارة على حسابات تقليدية بسيطة تمكن في الأخير من إنجاز فقارة.

---

[01] ابن خلدون. – المقدمة ج.07 ، ص119.

وتبدأ العملية أولاً بحفر البئر الأول من نقطة مرتفعة تحدد مسبقاً بعد التأكد من وجود الماء في طبقاتها الباطنية ويكون عمق البئر محسوباً بدقة ويصل عمقه أحياناً إلى أكثر من أربعين قدماً وبعد أن يتم ذلك تشق من البئر الأول قناة باطنية تتصل بمختلف الأبار تحفر على طول المسلك باتجاه مصب تتخللها أبار للتهوية والصيانة تفصل مابين البئر والأخرى بمسافة تقدر بخمسة عشر إلى عشرين متراً، مع مراعاة ميل القناة الباطنية التدريجي لتسهيل عملية جريان الماء وانحداره ببطئ إلى غاية المنفذ النهائي وفي نهاية هذا النفق الذي يطلق عليه إسم (**أنفاذ**) تتجمع المياه في مصب واسع يسمى (**القصري الكبير**) لتخرج منه عبر فتحات متفاوتة تحدد نصيب الأفراد من الماء لينتهي مصب الماء بمجامع فردية تعرف بالماجن يقوم الشخص باستغلال نصيبه من الماء في السقي وفي مجالات أخرى.

- كيفية توزيع مياه الفقارة:

يرتبط توزيع مياه الفقارة بتنظيم الحصص المائية حسب نظام:

1- التكييل: يعتمد على تقنين كمية المياه بوحدتين قياسيتين الأولى تعرف **بالماجن** ويتم بواسطتها كل العمليات من بيع وكراء وتمليك وتقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً والقيراط يجزأ هو الآخر إلى أربعة وعشرون جزءاً يسمى كل جزء منه قيراط القيراط تسمية هذه الوحدة تختلف من منطقة إلى أخرى.

والثانية يطلق عليها **قيراط النحاس:** وهـــي الوحـــدة الأساســـية الموجودة على آلة القياس التي تسمى بالحلافة أو الشقفة وهي عبارة عـــن قطعة من النحاس مستطيلة الشكل توجد بها ثقوب تمثل الوحدة التي يقاس بها الماء وتتجزأ هذه الوحدة إلى **(النصف، الربع والثمن)** ويوجـــد بهـــا ثقوب تعتبر مضاعفات لهذه الوحدة عشرون قيراط، خمسون قيراط، مئـــة قيراط....إلخ. والقيراط في منطقة تيمي يعطى واحد فاصل سبعة لتـــر في الدقيقة.

أما عملية التكييل في حد ذاتها فهي إجراء يتم بمقتضاه توزيع المياه بين الملاكين وهذه العملية تتم على القسري أو المصرف وهو المكان الذي يتم فيه توزيع المياه بين السواقي الفرعية ولإجراء عملية الكيل لا بد مـــن حضور الكيّال[01] وهو الذي يستعمل آلة التوزيع مع حضور الشاهد الذي يراقب العملية ويسجلها في زمام الفقارة الذي هو عبارة عن دفتر تتم فيه تسجيل كل عمليات التوزيع بحضور مجموعة من أهل الفقـــارة وكبـــار الملاكين الذين يتمتعون بثقة جميع سكان القصر.

---

[01] أنظر بالملحق ص.334.

- **طريقة سير عملية التكييل بالفقارة:**

يضع الكيال الحلافة في مكان ينحدر منه الماء بسرعة ويسد كل المنافذ الجانبية بحيث يتسرب الماء من ثقوبها ثم تفتح مجموعة من الثقوب حتى يستوي الماء مع أعلى الحلافة ثم يقوم الكيال بحساب الثقوب التي يخرج منها الماء فيتحصل على كمية ماء الفقارة، بواسطة الوحدة الأساسية وهي القيراط ثم تقسم هذه الكمية على عدد المواجن الموجودة في زمام الفقارة[01] فيعطى نصيب كل ماجن من القراريط وعند ضرب عدد مواجن كل ملاك في عدد القواريط نحصل على نصيب كل فرد من الماء وهنا يشرع في عملية التوزيع فتوضع الحلافة في مصرف المالك الأول بعد ترك كل المصارف الأخرى مفتوحة ثم يقوم الكيال بقياس كمية الماء الخارج من مصرفه فإن كان أقل من نصيبه قام بتوسيع المصرف لزيادته وإن كان أكثر قام بتوسيع المصارف الأخرى لإنقاص الماء حتى يكون الماء المتدفق من ثقوب الحلافة هو الكمية التي تناسب المالك وعندها ينتقل إلى غيره وهكذا ويمكن توضيح العملية بالمثال التالي:

فقارة بها ستة ملاكين بعد تركيب الحلافة فيها وجد أن الثقوب التي يخرج منها الماء هي ثقب مئة قيراط وثقب عشرة قواريط وثقب قيراط واحد وثقوب الربع والنصف والثمن ونصيب كل فرد موزع كالتالي:

الأول: أربع مواجن وثمانية قواريط.

---

(01) محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص. 14.

الثاني: ست مواجن وستة عشر قيراط.

الثالث: ثلاث مواجن.

الرابع: إثنى عشر ماجن وخمسة عشر قيراط.

الخامس: ثمانية مواجن وإثنى عشرة قيراط.

السادس: ماجن واحدة وثمانية عشر قيراط.

فمجموع المواجن: أربعة وثلاثون ماجن ومجموع القواريط تسعة وستون قيراطاً بعد تحويل القواريط إلى مواجن يصبح لدينا ستة وثلاثون ماجن (**ماجن واحدة=أربعة وعشرون قيراطاً**) وواحد وعشرون قيراطاً ويتقسم كمية القواريط النحاس على كمية المواجن نحصل على مئة وأحدى عشر قيراطاً وسبعة أثمان تقسيم ستة وثلاثون ماجن وواحد عشرون قيراطاً تكون النتيجة ثلاثة قراريط لكل ماجن.

وتبدأ العملية بضرب نصيب كل مالك من مواجن في ثلاثة لنحصل على ما نعطيه له من قواريط.

الأول: 3ق/ن نصيبه = 13قيراط نحاس.

الثاني: 3ق/ن " " =20ق/ن

الثالث 3ق/ن " " =9ق/ن

الرابع 3ق/ن " " =38 ق/ن وثمن.

الخامس 3ق/ن " " =25 ق/ن

السادس: 3ق/ن " " =5 ق/ن وربع.

بعد معرفة ما عند كل واحد نضع الحلافة ويعطى لكل واحد ما يستحق حسب الطريقة المذكورة سابقاً في تقنية عملية تكييل الفقارة.

نفس الفقارة أهملت مدة من الزمن فأعيد كيلها، فوجد أن الثقوب التي يخرج منها الماء ثقب خمسون ق/ن وثقبان بعشرون ق/ن وثقبان أساسيان لكل واحد واحد ق/ن وثقب الثمن.

فيعاد التوزيع فيكون كالتالي إثنان وتسعون ق/ن وثمن ق/ن/ستة وثلاثون ماجن وواحد وعشرون قيراطاً= قيراطان ونصف ماجن.

الملاحظ هنا أن وحدة القياس قد نقصت بنسب إهمال الفقارة لكن وحدة التمليك تبقى ثابتة وتجري نفس العملية السابقة لإيجاد نصيب كل واحد من الملاكين.

الأول: 10 قواريط وثلاثة أرباع

الثاني: 16 قيراطاً وثلاثة أرباع

الثالث: سبعة قواريط ونصف.

الرابع: 31 قيراطاً وثلاثة أخماس.

الخامس: 21 قيراطاً وربع.

السادس: 4 قواريط وثلاثة أثمان[01].

ونخلص من المثالين السابقين إلى نتيجة وهي أن ماء الفقارة يزيد بالعمل الدؤوب بصفة مستمرة خاصة عند موسم الحرث فمن بدأ عمله

(01) محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص.17.

في نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف فإن مجموع المالكين يستفيدون من المياه الزائدة والتي ستسمح له بالزراعة أكثر، وإذا أهملت صيانتها فإن نصيب كل فرد من المالكين من الماء سينقص وهذا مايضطره إلى تقليص المساحة المزروعة الخاصة بكل مالك.

- **نماذج من نوازل حول الفقارة:** ترد النوازل المتعلقة بالفقارة في شكل أسئلة وأجوبة تضمنت غنية المقتصد العديد منها في صيغة الغائب منها على سبيل المثال

فهذه بعض من الأسئلة والأجوبة التي وردت في غنية المقتصد:

- يسأل عن جماعة أعطوا فقارة لمن يخدمها بقسمة ما طلع وقدم الكيّال وأراد الكيل فمَن أجرة الكيل؟

فأجاب: وبعد فالأجرة على جميع أهل الفقارة بحسب ما لهم من الماء الزائد والله أعلم.

- وسئل أهل زاوية ملوكة أعطوا فقارتهم لمن يخدمها بثلث ما طلع من الماء وشرطوا عليه خدمتها إلى تشنغيت فلما خدموا و لم يستكملوا أرادوا الكيل لياخذوا ما طلع لهم الآن وامتنع أهل الفقارة وطلبوا إتمام الخدمة المشروطة وفي الفقارة ما هو للزاوية وغيرها من الأحباس[01].

فأجاب: الحمد لله وبعد فالعقدة المذكورة إنما تجوز على قول خارج

[01] لمحمد عبد العزيز البلبالي. غنية المقتصد للسائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل- من باب النكاح إلى آخر باب الجعالة- تحقيق محمد دياغ، كلية العلوم الإجتماعية والإسلامية بأدرار، ص471 - 472.

المذهب ولكن ماجرى به العمل في هذه البلاد واستمر عليه الناس فلا ينبغي التعرض لهم فيها فالخادمون لهم ثلث ما زاد من الماء في الفقارة يأخذوه متى أرادوا لأن تأخير أخذه فيه أكل أموال الناس بالباطل ولأهل الفقارة مطالبتهم بالشرط وهو الخدمة إلى تشنغيت والله أعلم بعد ذلك بإتمام.

وسئل عن حبتين اشتراهما رجل بأمر الشرع و لم يشترط عليه أحد خدمة على الحبتين المذكورتين اللتين اشتراهما بأمر الشرع فامتنع عن الخدمة لكونه يخدم على الحبتين المذكورتين ولا يكون له زائد في أصل الفقارة إلا حبتين لا غير فهل نلزمه الخدمة ليخدم على ما ذكر أم لا وهل يكون عليه النقص والزيادة مثلاً إذا عدم الماء أو إذا زيد أم لا يكون إلا حبتان كما كانتا عنده في عقد الشراء.

فأجاب: بما نصه وبعد: فيتبع العرف في الزائد وكأنه لا يكون إلا لمن اشترى الأصل عندنا وأما الخدمة فإذا انقطع الماء بالكلية ونقص عن معتاده نقصاً فإن الخدمة تلزمه وإذا كان الماء جارياً على معتاده و لم ينقص نصيبه على الحبتين فلا تلزمه الخدمة كيف يخدم على ما لا ينتفع به وهذا ماظهر لنا[01].

وكتب محمد عبد الكريم التواتي في جوابه:

---

[01] محمد عبد العزيز البلبالي، نفس المصدر السابق، ص. 474.

يستنبط منه فائدتان العرف عنده والعمل به وتقديمه وحرمان الحبة من الإرث.

جواب محمد بن أمحمد الزجلاوي[01] منصوص فيما يلي:

فحاصل السؤال فيما جرى به العرف قديماً من بيع بعض ماء الفقارة المعلوم النسبة من أجزاء الفقارة في أصلها مقتضى الجواب يدل على جوازه لإنه لم يسقط الخدمة فيه على المشتري في نقصان الفقارة وانقطاعها بل أوجبها عليه إلى أن ترجع إلى معتادها في حين شراء ثم لا يلزمه من الزائد من الخدمة ولا شيئ من زائد الماء فيها وهذا محظور فيه ولا يتطرق إليه المنع مسجلة المجهل لو أنه معلوم المقدار والنسبة، فلما آلت إليه الفقارة زيادة أو نقصان وإن كان لا يخلوا من الإستحسان فبنى كثيراً من الباعات عليه وهو عمدة مذهب مالك في عموم المسائل عنها إحتياطاً ومراعات للمقاصد الشرعية.

وما حدث وراءه من العرف في نواحي وقصور بوعلي من بيع مقدار من ماء فقارة بدون أصله وزيادة الفقارة ونقصانها على البائع وحدد عليه ما قل من الخدمة أو كثر ولايشترطون ذلك حيث يكون إستثناؤوها بشفقة معيشته عندهم من بأخذ المشتري منها ما شرطه في صلب البيع ثم يكون للبائع ما فضل عنه من قليل أو كثير بمظاهر الشريعة منعه وفساده لوجوه عديدة كونه كراء مجهول.

---

[01] أبو الحسن محمد ابن محمد العالم ابن احمد الزجلاوي. – مخطوط نوازل الزجلاوي خزانة سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، ص52.

وأما إعطاء الفقارة لجزء عن مايصلح فيها من الماء ويزيد فقواعد المذهب تقتضي منعه كما أفتى به الفقيه سيدي عومر بن عبد القادر رحمه الله[01].

وسئل عن من قطع أبياراً فوق فقارة قديمة الجري أو في بعض جوانبها وجرى ماءً عرف قدره وجزئه على مواجن الفقارة ثم باع منه أجزاء معلومة لأناس هل يجوز ذلك؟.

فأجاب: إذا كان البيع على الوصف المذكور فهو جائز وإنما يمنع لو إشترى الماء على أن يكون مضموناً في ذمة بائعه[02].

وحتى نأخذ فكرة عن منسوب التدفق لمياه الفقاقير وما تقدمه من كميات ارتأينا أن نثبت حصيلة لهذا المنسوب وبها يمكن تقسيم فقاقير إقليم توات إلى أربعة أقسام من حيث تدفق المياه:

عدد الفقاقير	كمية التدفق في الثانية	الملاحظة
797	0 – 10 ل/ثا	معظم الفقاقير بتوات
48	10 – 20 ل/ثا	معظم فقاقير توات
7	20 – 30 ل/ثا	فقاقير منطقة أوقروت
3	30 – 40 ل/ثا	أولف – تمقطن[03]

[01] أحمد الزجلاوي، المصدر السابق، ص53.

[02] أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمان البلبالي ومحمد عبد العزيز البلبالي. مخطوط جريدة مختصرة في أنساب أهل تيمي. – خزانة كوسام.

[03] **AGENCE NATIONALE DES RESSOURCES HYDRAULIQUE (ALGERIE). Direction régionale sud ouest=**

من خلال تحليلنا لهذا الجدول يتبين لنا أن المنـــاطق أكثـــر تعـــدادا للفقارات هي الأكثر تعدادا للسكان، أما فقاقير أوقروت وأولف وتمقطن تمثل نموذج الفقارة من حيث تدفق المياه، وهناك عوامل أخرى ســـاعدت السكان على حفر الفقاقير وتتمثل في وفرة المياه الباطنية وقربها من السطح وسهولة استغلالها هذا ماأدى إلى وجود عدد كبير من القصور من رقان إلى بلدية اسبع ومع هذا فتعاني الفقارة من مشاكل تتمثـــل في الـــصيانة الدائمة التي تتم بوسائل تقليدية.

- الخطارة أو طريقة السقي بالدلو:

تتمثل طريقة استعمال المياه بنظام الخطارة باستعمال عمود مهيأ من جذع النخلة وأحياناً يكون من خشبتين بحيث تكون في مستوى تـــسمح لجر المياه وفي آخر العمود يربط بمادة ثقيلة الوزن وفي أوله يعلق الدلو من الجلد أو دلو مصنوع بسعف النخيل وهذا النظام يتم بطريقة يدوية يساهم فيها رجل واحد يقوم بعملية جذب الدلو من البئر ويوجد هذا النظام في واد الساورة وقد يكون في البئر الواحد أحياناً من إثنين إلى ثلاثـــة دلاء الشيء الذي يقوي مردود المياه[01]، ويسمى هذا الإستغلال للمياه بأسماء مختلفة فكل منطقة تسميه باسم مغاير للمنطقة الأخرى في الزيبان وسوف

= (Adrar). - Etude d'approche sur le captage = traditionnel (Foggaras). – Adrar: A.N.R.H D.R.S.O, 2000 p.154

(01) SAIDI. Les systèmes de captage traditionnel dans les Oasis Sahariens. Alger: Institut national des ressources hydraulique, 1983, p. 27

وأوقروت بورقلة وكرزاز والمنيعة والهقار وهذه الطريقة معروفة بالصحراء بالأماكن التي توجد بها مستوى المياه قريبة وهي طريقة يستفيد منها بصفة خاصة فقراء المزارعين كما أن إقليم الأزواد قد أستغل هذه الطريقة فهي تسمى (**سكوكدوف**) ويرى بعض الباحثين أن هذه الطريقة أصلها مستمد من أثوبيا وهي موجودة في العديد من البلدان الأوربية والأسيوية، ولصعوبة السقي بهذه الكيفية فقد كان العبيد هم الأداة التي تستغل في هذه العلمية[01]، علماً وأن وجود اليد العاملة الرخيصة المتمثلة في العبيد حال دون دخول الآلآت الحديثة للواحات وهذا ما أثر على المساحة المزروعة[02].

ومما سبق يتضح لنا أن عنصر الماء يعتبر أساس كل زراعة وخاصة بالإقليمين الصحراويين لهذا فقد استغل السكان كل قطرة من المياه الجوفية والسطحية التي كانوا يتحصلون عليها بجهد عضلي سواء بواسطة الفقارة أو الخطارة أو الآبار الارتوازية أو بجر المياه من حوض نهر النيجر فالجهد البشري هو الوسيلة الوحيدة لاستغلال المياه الجوفية فاستغلال الأرض يكمن فيما يصل إليها من المياه وإلا تصبح جرداء لا فائدة منها ولكل منطقة من مناطق الإقليمين طريقة خاصة في استغلال المياه الجوفية بما يتلاءم وطبيعة المنطقة الجغرافية وكلما قل عنصر الماء بهذه المنطقة إلا

---

(01) **Ibid p. 28**

(02) **Jean Bisson. <u>Le Gourara étude de géographie humaine.</u> Alger: Impr. d'Imbert, 1958, p. 81.82.**

ويقوم السكان بعمل إضافي للحصول على الماء الكافي إما بزيادة الآبار أو حفر فقاقير جديدة أو شق ترع على حواف نهر النيجر.

لهذا فقد عمل سكان المناطق الصحراوية على التحكم في المياه من حيث توزيعها توزيعاً عادلاً بين الملاك دون إهمال الفقراء ومنعهم من الانتفاع من مياه الفقارات في السقي والغسل بالإضافة إلى ترميم الفقارات وصيانة السواقي خاصة وأن النشاط الزراعي قائم على توفر المياه الذي لم يكن بالأمر السهل في المنطقة لقساوة الطبيعة وتبخر المياه وملوحة التربة وندرة المياه كل هذه العوامل تقف عائقاً أمام النشاط الزراعي وإلى جانب ذلك يرتبط بالماء تربية الحيوانات التي كانت منتشرة بإقليم الأزواد بما فيه الكفاية سواء الإبل أو البقر أو الغنم ففي فصل الشتاء تستغني الحيوانات عن المياه أما في فصل الصيف فنجد الرعاة يقيمون بقرب الآبار ليسقوا أغنامهم على الأقل مرة في كل يوم نتيجة لعامل الحرارة.

ولأهمية المياه ابتكر سكان إقليم توات نمطاً جماعياً للتعاون **(التويزة)**[01] هدفه إيجاد حل لمشكل انهيار فقارة وتوقف تدفق المياه لذلك فإن كل السكان يجدون أنفسهم مجبرين على العمل ليلاً ونهاراً أطفالاً وشيوخاً ونساء أحراراً وعبيداً من أجل إعادة المياه إلى مجريها وبذلك فإن مياه الفقارة بإقليم توات ساهمت في ربط أواصر الإخوة والتعاون بين

---

(01) أنظر الملحق ص.335.

جماعة القصر والقصور المجاورة بالإضافة إلى كونها مكسباً محلياً ميّز إقليم توات بميزة خاصة تمثلت في تحديه للطبيعة القاسية نتيجة للروح الجماعيــة التي يتصف بها سكان الإقليم.

الزراعة والرعي:

منذ زمن بعيد زرعت بــإقليمي تــوات والأزواد كافــة أنــواع المزروعات التي تتحمل قساوة المناخ واتساع دائرة المدى الحراري بــين الليل والنهار الى جانب تذبذب الأمطار ومن أهم الأنواع الزراعية الــتي عرفتها المنطقة وتعتبر أول زراعة بإقليم توات والمناطق الصحراوية هــي زراعة النخيل نظراً لإعتماد السكان عليها كمصدر رزق ومورد غــذائي هام ولأهمية النخيل بإقليم توات سوف نتعرض الى التعريف بالنخلة مــن حيث زراعتها وتقليمها وطرق رعايتها ومراحل انتاجها وأنواعها.

زراعة النخيل: وتتم زراعة النخيل بأخذ الفسيل ووضعه في الماء عدة أيام ثم يقوم الفلاح بزراعته كما هو بعدها تبدأ الفسائل بالنمو بطريقة طبيعية تمتد جذورها لتتغذى من الجيوب المغروسة المحيطة بها الشي الذي يضمن لها استمرارية الحياة ويلقح النخيل بواسطة شماريخ خاصة وتتم العملية في منتصف شهر فبراير وتمتد لمدة شهرين حيث تكون الظــروف المناخيــة ملائمة وهذا لمساعدة الرياح في عملية التلقيح فإذا لم تلقح النخلة فــإن ذلك يكون سببا في فساد الإنتاج وتصبح غلة النخلة عبارة عن تمر رديء (**حشف**) وفي شهر جوان يقطع الفلاح بعض العراجين من النخلة الــتي

لازالت بلح وهذا للتخفيف من حمولة النخلة وما يقطع منـــها يكـــون علفـــاً للحيوانات وفي شهر جويلية تجنى التمور الأولى ويستمر موســـم الجني إلى نهاية أكتوبر حيث تتم عملية قطع العراجـــين من كل النخيـــل لينتهي الموسم الفلاحي وتبدأ عملية نشر التمور في الأماكن البعيدة مـــن التقلبات المناخية فبعضها يوضع فوق سطوح المـــنازل حتى تجف والبعض الآخر يخزن بطرق تقليدية في الجلود ووسائل أخرى[01] وبحلول فـــصل الشتاء يقومون بتنظيف النخيل وهذا بقطع العراجين المتبقيةبالإضـــافة إلى الجريد المنخفض والكرناف الذي يستغل كوقود لطهي الطعام أما الجريد فيستعمل كحواجز طبيعية للبساتين لوقف زحف الرمـــــال[02]. هـــــذا وتحتاج النخلة لتربة مميزة في السنوات الأولى حيث تعطيها فرصة لتنمـــو قوية ولهذا يجب أن تنمو منفردة طول خمس سنوات الأولى مـــن حياتهـــا حيث لا يترك حولها أي خلفة[03] تشاركها في الغذاء ولهذا السبب تقطع كل الفسائل التي تظهر حولها وتزرع في أماكن منفردة.

---

(01) معلومات استوفيناها من مقابلة مـــع الفـــلاح كرومـــي عبـــد القـــادر أدرار ســـاحة الـــشهداء بتاريخ1999/09/20م.

انظر:

.J. C ECHALLIER. Villages désertés et structures agraires anciennes du Touat –Gourara (Sahara – algérien). Paris: Arts et métiers graphiques, 1972

(02) A.G. P. MARTIN. Les Oasis Sahariennes : Gourara, Touat, Tidikelt. op. cit., p. 29

(03) خلفة معناها الشتلة تنموا بجانب النخلة.

وعندما تتجاوز النخلة مرحلة الخمس سنوات الأولى يترك إلى جوارها عدد من الخلفات لكي تتكاثر. بعض الفلاحين يتركون الخلفة في الجهة الجنوبية الشرقية حتى تكون دعامة للنخلة ضد الرياح التي تهب عليها[01].

أما عملية تقليم الجريد فيكتفي فيها الفلاح بترع السعف الجاف ولا يقلم السعف الأخضر حتى تتمكن النخلة من امتصاص الماء الموجود بالسعف الأخضر قبل أن تجف ولهذا يتسع قطر الساق ويغلظ فالسعف أثناء الجفاف ينتقل ما كان به من ماء إلى جذع النخلة أما الكرناف فلا يزال إلا بعد أن يبلغ ارتفاع النخلة مترين أو أكثر وهنا يشرع بقطع الجريد الذي بدأ لونه يميل إلى الأصفرار وبدأ ينحني حول الساق أما الجريد المرتفع فلا يقطع حتى يتدلى وبعد أول إثمار للنخلة يكون التقليم كما يلي:

يترك صفان أو ثلاثة صفوف من جريد النخلة تحت العراجين الجديدة حتى تحملهاحين يثقل وزنها فلا ينكسر وكذلك لتسهيل عمليات التلقيح أو التطريح.

---

(01) رشدي أمين مراد. – بحوث في النخيل. الجزء الثاني – د.م.: المركز الوطني التربوي الفلاحي، 1990. ص200.

ويقطع من النخلة كل سنة من تسعة إلى اثنا عشر جريـــدة وهـــذا يشمل دورين أو ثلاثة من أدوار الجريد السفلىمن النخلة ويتوقف التقليم عند عراجين العام السابق.

وقد أثبتت التجارب والمشاهدة أن كل عرجون يحتاج لتغذيتــه إلى عشرة جرائد والكرانيف لا تزال من النخلة إلا ما كان جافاً تماماً أي تزال الجريدة في عام وكرنافها في العام التالي وهذا حتى تحفظ رأس النخلة من الرياح وبرودة الشتاء[01].

يقوم بالتقليم فلاحون متدربون على اتقان العملية فيكــون بقطــع الكرناف الجاف بآلة حادة (**كالفأس مثلاً**) على ارتفاع عشرة إلى اثناعشر من قاعدة الكرنافة،وتقطع الجريدة من منطقة بدء بروز الأشواك وتتــرك قاعدهّا وهي المسماة بالكرنافة ثم تزال العراجين الجافة المتبقية بالنخلــة، والهدف هو التخلص من الجريد الجاف الذي لا جدوى من بقائه تسهيل على الفلاح جني التمور ومنع انتشار الأمراض ومخلفات التقليم من سعف وليف يمكن الاستفادة منها في بعض الصناعات كما يمكن حرق الأجزاء التي لا فائدة منها وينثر رمادها على تربة البستان لتكون مواد عضوية[02].

وتحتاج زراعة النخيل القيام بعمليتين إزالة الأشواك والتكريب تجرى عملية إزالة الأشواك في بعض المناطــق دون الأخرى حيث يقوم الفلاحون بترع الأشواك وتتفاوت النخيل من حيث كثافة جريدها وحدة

---

[01] رشدي أمين مراد. نفس المرجع السابق، ص. **200**.

[02] رشدي أمين مراد، المرجع السابق، ص.**201**.

أشواكها مما يجعلها متفاوتة في سهولة أو صعوبة عملية الوصول لتلقيحها فالطلع يخرج قريباً من قمة النخلة بالقرب من وسطها ولهذا يلجأ الفلاح لإزالة الأشواك كي تسهل له عملية الوصول إلى الطلع دون أن تصيبه الاشوك وتجرى هذه العملية عند كل موسم للتلقيح.

أما التكريب يعمد إليه في بعض المناطق دون الأخرى حيث يزال الجريد مع الليف الذي يتخلله وتجرى هذه العملية في النخل الذي تصل دورة حياته إلى خمسة عشر أو أكثر عاماً والغرض من ذلك جعل جدع النخلة يشكل مدرجاً ليسهل ارتقاؤها عند إجراء التلقيح أو جني التمور، ويجب الحذر عند إجراء التكريب من جرح جدع النخلة حتى لا يتعفن الجرح فينحصر التكريب في الكرناف الجاف فقط وإستبقاء ما لا يقل عن ستة أو سبعة أدوار من الكرناف بعيداً عن الجريد الأخضر.

يقوم بعض الفلاحون بترع الليف من بين الكرناف وتجري هذه العملية في النخل الصغير الذي لم يكرنف ولا يزال ليفه طريا يستفاد منه[01].

وعندما يفصل الفسيل من النخلة يسمى بالغرسة وتحتفظ النخلة بهذا الاسم من أربعة إلى خمسة سنوات وبعد خمس سنوات تسمى بالعارضة عند انتاجها الأول للتمر وإنتاج النخلة يرتبط بمدى عرضها حيث يزداد الإنتاج شيئاً فشيئاً كلما ازداد نموها وإذا كانت النخلة مغروسة في شروط

---

(01) رشدي أمين مراد، نفس المرجع، ص. 202.

ملائمة فإنها تظهر ثلاثة صفوف من الجريد في نهاية السنة الثانية من غرسها وفي كل سنة بعد قطع التمور تُنقّى النخلة من الجريد القديم ويقص جريدها بطول ثلاثين إلى أربعين سم وتطلق كلمة نخلة مكرنفة على النخلة التي كرنفت من الكرناف والجريد ويكون مستوى طولها مساوياً لقامة الإنسان وعندما يصبح إنتاجها عادي تسمى بباكورة عندما يكون إنتاجها في مرحلة متقدمة أي تعطي غلة كاملة[01].

والنخلة العادية تتميز بجدعها الطويل والعترجون الواحد يصل وزنه إلى خمسة عشر كيلوغراماً أما دورة حياتها فتكون في المتوسط العام مابين ثلاثين إلى أربعين سنة حسب العناية التي تقدم لها وتتميز النخلة الكبيرة بانكماش جدعها ويبس جريدها ونقص إنتاجها إلى نصف ما كانت عليه وتسمى عندها بالنخلة الكبيرة[02].

وقيمة النخيل تحددها بعض المعطيات:

– المحيط المغروسة فيه الذي يحددها عامل الرطوبة أو الجفاف.

– حسب سنها إذا كانت في سن صغيرة أو كبيرة. أما أسعار الفصائل فتختلف من منطقة إلى أخرى تتحكم فيها نوعية الفسيلة والمكان الذي تتواجد به أغلاها فسائل لدلدول وهذا يرجع إلى جودة تمورها وتساوي نصف أسعار الفسائل في تينركوك ومنخفض قورارة وأولاد عيسى وأرخص الفسائل في زاوية كنتة وسالي وتوريرت برقان وفي

---

[01] **Ibid., p. 295.**

[02] رشدي أمين مراد، نفس المرجع، ص. 296.

تيديكلت فإن أسعارها تزيد عن أسعار توات قليلاً ونفس الظاهرة تمتد إلى تيط وإنغر وعين صالح وأقبلي[01].

أما أصناف التمور التي تنتج بإقليم تينجورارين وتيديكلت فتحدد أهميتها حسب قيمتها التجارية فهي: تينقور، تينهود، أحرطان، تيلمسو، تقربوش، هذه الأنواع تعتبر من التمور الجيدة والمتميزة سواء كانت رطبة أو جافة أما التمور ذات الإستهلاك الواسع التي تنتج في معظم واحات توات وهي مخصصة للتصديروتتمثل في:

تيلمسو. تيناصر، تقازة، تمليحة، تزرزايت، لدهم.

أما في منطقة تيديكلت فتوجد أصنافاً أخرى كالورقلية والدفلة والوداء ولفقير علي ولشدخ وبإقليم توات يوجد ستة عشر نوعا من التمر اشتهرت منها أصناف عيفش، عصيان، أدهم لعشت، أغراس، أدهم لحاج، أقازا، أغم، أغلول، أقيقن، أقرا، أجلمول، عيسى بن موسى، أقش، أقريش، أجروف، ليحاوي، بامخلوف، باmليك، باميمون، بيغل، تزي بلال، بن عيسى، بن شرقي، بن خليان، بن خليف، بن طالب، بن دوية سفوف، بو عريق، بجلطة، بجحيم، بحمام، يوكزين، يوسكري، بن ودال، الشيخ، الشيخ محمد، الشرقة، لقلات، مكن، بحلة نور، دجلة الصفراء، دجلة السواحاء، دجلن مولاي إدريس، دجلة الجدبة، دجلة الجدير، دهير، دجلة محمود، فقوس، فكاري[02]، قاز، حمدها، حمد حمو، الهامل، حمو

---

[01] **A.G.P. Martin, op. cit., p. 297**

[02] **Ibid., p. 299.**

ناجم، أنفاد أنقلو، أثيم، فجـل، كنتي، منـشار، مـسعودية، منتـات، النيوتي، أعياد، وقيش، ورقلية، وجيل، أولادل، أولاكر، أم الجلـود، أم الطيب، أزميت، وزان، صمط، سانسي، صـبع الـسلطان، تعلـوت، تينمهدية، تجار، تلمامت، تفلاحة، تقار، تخزي، تمدري، تملالت، تانوت، تركامت، تصلاح، تزريوط، تزيزواوت، تزرورت، تقرناف، تليقيـت، تنافت، تينقش، تنالم، تنعرابت، تنياتن، تدلنـدوا، تيزريـر، تينيوزيـد، تيتاكن، تيمجوهرت، تنسان، تيترّوا، تنحـارلن، تنيلـوا، تنكاسـرت، شفوقور، تيتقصر، تمدلول، تمليون، تنحمو، تينرقالي، تتودل، تتـوكلي، تنريد تتسدست، تنشلخ، تنتكوت، لورفات، بوغالت، مخلوف، روقتة.

ولإعطاء فكرة واضحة عن عدد النخيل بإقليم تيدكلت وعن تمور المنطقة بمختلف أصنافها فتعتبر تمور"**تنقور**" من أجود أنواع النخيل وتأتي بعـدها "**تقازة**" و"**وترزازي**" اللذان يعتبران في المستوى المتوسط من حيث النوعية والأعداد المقدمة تعطي فكرة واضحة عن عدد النخيل مع مطلع لقـرن العشرين:

المنطقة	عدد النخيل
فقارة الزوى	9600 نخلة
فقارة العرب	3000 نخلة
أقسطن	7950 نخلة
حاسي لحجاج	2759 نخلة
ساهلة الفوقانية	6752 نخلة
ساهلة التحتانية	3900 نخلة

ملياتة	809 نخلة
عين صالح	90000 نخلة
إنغر	31943 نخلة
تيط	14497 نخلة
أولف العرب	80166 نخلة
أولف الشرفا	29762 نخلة
تيمقطن	13060 نخلة
أقبلي	21375 نخلة
المجموع	315793 نخلة

أما من حيث جني غلة النخيل فيتم كل سنة ويتراوح الإنتاج كل سنة حسب الكمية وذلك لتذبذب الإنتاج من سنة إلى أخرى ويرتبط إنتاج النخلة بعمرها إذا كانت صغيرة جداً لا تعطي أي شيء بالإضافة إلى عوامل أخرى تتحكم في إنتاجها حسب طريقة ومكان غرسها فإذا كانت مغروسة في بستان مسقي طول السنة إنها تعطي من ستين إلى ثمانين كيلوغراماً وإذا كانت في منطقة البور[01] فإن نخلة واحدة مسقية تعادل عشرين نخلة في منطقة البور[02].

وتعتبر التمور غذاء وفاكهة معاً فهي فاكهة في مرحلة الخلال والرطب ومادة غذائية في مرحلة التمر والتمر غذاء متكامل فهو مصدر

---

[01] هي أراضي بها نخيل تخضع في تلقيحها إلى عوامل طبيعية ولا تخضع بعناية الفلاح ولكل قصر بوره وعادة ما يقوم إنتاجه كعلف للحيوانات لأن نوعية الثمار ذات جودة رديئة.

[02] A.G.P. Martin, op. cit., p. 294

للطاقة الحرارية بمحتواها السكري والكما تحتوي على كميات من الأملاح المعدنية والعناصر لها الأهمية الغذائية[01].

أما الحشف فإنه لا يدخل ضمن أصناف التمور لأنه مخصص كعلف للحيوانات، وبعد جردنا لهذا الكم الهائل من أصناف التمور فهناك أصناف منها تشترك فيها الأقاليم الثلاث تنجورارين، توات وتيديكلت وهي تناصر الحميرة تقربوش وغيرها.

أما باقي الأنواع فهو عبارة عن أصناف جديدة تحكمت فيها الظروف الطبيعية في ظهورها كنخيل مميزة عن باقي الاصناف الاخرى من حيث قلتها ونقص انتشارها بكل الأقاليم، وتزيد أصناف التمور عن ستين صنفا بإقليم تينجورارين وتوات وتيدكلت أما عن مردود النخلة فيشتهر إقليم تينجورارين بالمردود الوفير. وهذا يرجع إلى وفرة المياه والعوامل الطبيعية المساعدة على ذلك إضافة إلى اهتمام السكان بغرس النخيل.

أما مقدار ما تنتج النخيل من تمور فيمكن تقديره من خلال كمية ما يقدمه أصحاب البساتين من زكاة للفقراء والمتمثل في العشور وقدر في

---

(01) محمد إبراهيم عبد المجيد. آفات النخيل والتمور في العالم العربي . القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1996 ص. 25.

أنظر محمد إبراهيم عارف، محمد نظيف حجاج. نخلة التمر زراعتها، رعايتها، إنتاجها في الوطن العربي. الإسكندرية: دار المعارف، 1998

سنة 1212هـ - 1797م في منطقة قورارة قدر عشورها بحـوالي 10841 حمولة وفي سنة 1213هـ - 1798م قدّر بحوالي 58269 حمولة[01].

وفي سنة 1244هـ - 1828م قدر العشر بحوالي 959 حمولة بينمـا الإنتاج توصل إلى 9590 حمولة وهذه الأرقام تبين مـدى الفرقـات في الإنتاج من سنة إلى أخرى علماً وأن هذه الإحصائيات هي التي تخـضع للضرائب دون أن يدخل فيها إنتاج الشرفاء المرابطين وكذلك الإنتـاج الذي لا يصل إلى نصاب الزكاة.

وحسب المعلومات المتوفرة يمكن أن نقدم حصيلة عامـة لإنتـاج النخيل المتواجد بتنجورارين وتوات وتيديكلت وذلك حسب عمر النخلة

النخلة الكبيرة: تقدم خمسين كيلوغراماً في السنة وفي السنة المواليـة عشر كيلوغرامات بمعدل ثلاثين كيلوغرام كل عامين.

النخل المكرنف حوالي خمسة وعشرين كيلوغراماً.

النخل العارض ينتج حوالي خمسة كيلوغراماً.

النخل الشارف ينتج حوالي خمسة كيلوغرامات.

النخل الكبير ينتج حوالي عشرين كيلوغراماً.

أما النخيل في الأراضي الجافة فإن إنتاج أربعين نخلة يقدر بحـوالي ثمانين كيلوغراماً أي بمعدل 5 كلغ لكل نخلة[02] هذا ما سمح بتصدير ما لا يقل عن عشرين ألف قنطار سنويا.

---

[01] A.G.P. Martin, op. cit., p. 302.

[02] A.G.P. Martin, op. cit., p. 304.

هذا ويحد من الإنتاج بعض الأمراض التي تصيب النخيل أهمها مرض البيوض ويعتبر من أكثر الآفات خطورة على النخيل وتعتبر وباء حقيقياً يهدد النخيل بإقليم تينجورارين توات وتيدكيلت والأقطار القريبة منه. فقد ساهم في تدهور البساتين وأدى إلى هجرة الفلاحين للبحث عن وسائل عيش أخرى.

ومن المحتمل أن يكون وادي درعا بالمغرب الموطن الأصلي للمرض في بؤر قليلة قبل عام **1287** هـ - **1870**م في وادي درعا بالمغرب ثم انتقل إلى سباسين الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية[01].

وقد تسرب مرض البيوض إلى إقليم توات في نهاية القرن **19** وقد أصاب منطقة فاتيس بالشمال بإقليم تينجورارين ثم تسرب هذا المرض عبر القوافل التجارية إلى سائر إقليم توات وهذا نتيجة لقرب الواحات بعضها وعدم اتخاذ وسائل وقائية تحد من انتشار هذا المرض بفقارة الزوى لكون هذه الجماعات ترتبط بعشائر تنتمي لنفس العائلة بمنطقة بودنيب بالمغرب[02].

ولمرض البيوض أعراض تظهر أول أعراض مرض البيوض التي يلاحظها الفلاحون على سعفة أو أكثر في المنتصف من رأس النخلة[03]

---

[01] محمد رشدي أمين، المرجع السابق، ص. **20**.

[02] محمد الحربي. أمراض النخيل أو التمور في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا – المشروع الإقليمي لمكافحة مرض البيوض**PNUD**، ص. **21**.

[03] أنظر صورة لنخلة مصابة بمرض البيوض في اللوحات.

تأخد السعفة المصابة اللون الرمادي البني ومن ثم تذبل حتى يصبح بعض الخوص أو الأشواك على جهة واحدة من الجريد وبعدها يتقدم المرض من القاعدة إلى الأعلى حتى قمة السعفة وبعدها يبدأ الذبول على الجهة الأخرى متقدماً بالاتجاه المعاكس.

تستغرق هذه العملية عدة أيام قليلة وقد تصل إلى عدة أسابيع، بعدها تبدأ الأعراض تتابع بالظهور وعلى السعف المجاور ويتقدم المرض في كل الحالات وتموت النخلة عندما يكتسحها المرض مابين ستة أشهر إلى سنتين وحتى يتسنى لنا معرفة تطور المرض فالنخلة الواحدة من بداية المرض إلى أن يقضي عليها نبين هذا في الجدول التالي:

متوسط الزمن بين ظهور الأعراض وموت النخل يبينه الجدول.

بداية المرض	انتشار المرض
خلال ستة أشهر	تصاب بنسبة 23%
عند سنة واحدة	46%
عند سنة ونصف	69%
عند سنتين	83%
عند سنتين ونصف	93%
خلال ثلاث سنوات	تموت النخلة 98-100%[01]

بالإضافة إلى أمراض أخرى تصيب النخيـــل مثـــل الخـــامج **EL Khamadj** ومرض تعفن **الثمـــار Les Pourritures des fruits** وأمراض أخرى[02].

القمح:

تحتل زراعة القمح في المرتبة الثانية بعد غرس النخيل ويزرع في جميع الأماكن ما بين النخيل في فصل الشتاء والمنـــاطق الـــتي تعطـــي أهميـــة تينجورارين بالإضافة إلى تسابيت وتوات العليا وأولف وعين صالح، أما المناطق الغنية بالحبوب فهي بودة، توات السفلى وعموماً توجد الحبـــوب في جميع المناطق لأن كل الفلاحين يريدون تحقيق إكتفاء ذاتي من هـــذه

[01] محمد الحربي، المرجع السابق، ص. 28.

[02] محمد الحربي، المرجع السابق، ص. 56.

المادة المزروعة خاصة في فصل الشتاء وأما فصل الصيف فتزرع الذرة والدخن[01].

وفي بداية القرن العشرين قدر إنتاج الحبوب والشعير بمقدارسبعة عشرألف قنطار في توات وفي إقليم تينجورارين فقدر الإنتاج بحوالي ثلاثة وعشرون ألف قنطار وفي تديكلت يقدر إنتاجها بحوالي ثمانية آلاف قنطار والباقي يأتي من توات.

- وبعد إجراء عملية حسابية نجمع بها إنتاج تينجورارين وتوات وتيديكلت فإن الناتج العام يقدر بحوالي ثمانية وأربعون ألف قنطار فهي توجه للاستهلاك المحلي

أما بإقليم الأزواد فقد أدخله المغاربة إلى السودان وزرعوه بالقرب من تمبكتو[02] ثم نقله بعض المزارعين إلى أراضي جني وجاوا وكان يزرع ببذره بعد ارتفاع المياه وراء السدود في شهر ديسمبر وتهيأ التربة عن طريق التقليب وتهيأ للزراعة ويبقى الماء في برك واسعة بنيت حولها حواجز من الطين وعند ظهور سيقان القمح في شهر فبراير يكسر أحد الحواجز الأربعة فيسيل الماء في القنوات ويصل إلى القمح وتعاد تلك العملية مرة أخرى في الأسبوع وعندما يدخل شهر أفريل يحبس الماء نهائياً في البرك حتى يحين وقت الحصاد وتعاد نفس العملية مع بداية شهر أوت حيث

---

[01] **A.G.P. Martin, op. cit., p. 306.**

[02] احمد فتوح عابدين، نفس المرجع، ص. 366.

تتناوب مياه البرك مع الأمطار في ري محصول القمح[01] وكـــان القمـــح يستهلك خاصة من قبل الطبقة المترفة.

الشعير: اقتصرت زراعته على الواحات الصحراوية وكان بـــدو الأزواد ينقلون أحماله إلى أسواق المدن السودانية، الصورغو: فحبته أصغر من حبة الحمص وقام عدد سكان الأزواد تقوم بزراعته حول حوض نهر النيجـــر وكان من المواد الأساسية التي تدخل في الوجبات الغذائية.

الأرز: عرفت المناطق الغربية (**سهول جني الفيضية**) بحوض نهر النيجـــر نوعين من الأرز أحدهما قصير منتفخ والأخر طويل ودقيق وقـــد ظـــل فلاحوا البهل متخصصين في زراعة الأرز في المزارع المروية ومنـــها الـــتي اشتراها المغاربة واستصلحوها وقد ظلت زراعة الأرز زراعـــة مفـــضلة بسبب وفرة الماء الذي كان الطعام الشعبي في الحواضر السودانية وبالأزواد وتتم زراعته بوضع حواجز ثم يغمر بالماء وكان الماء يندفع من النهر وقت الفيضان عبر الفتحات التي تحيط بالمزرعة ويمر في أقنية صغيرة متوازية تحفر على أشكال متقاطعة طولية وعرضية ويتم التحكم في الري حتى لا تغرق الشتلات وتتلف بعد ارتفاعها على الأرض ويتم حـــصد الأرز في نهايـــة شهر ديسمبر وقد عرفت مزارع تمبكتو هذا النوع من الري منذ أوائـــل القرن السابع عشر[02].

---

[01] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص. 284.

[02] أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. 364.

يبدأ جمع المحصول من شهر نوفمبر وينتـــهي في شـــهر ديـــسمبر ويستعمل قشور الأرز وقشه في صنع الطوب (**اللبِن**) بعد مزجه بالتراب التي تعد المادة الأساسية في العمران وقد يستعمل لتقوية أرصفة المـــوانئ العمران – الوسائل التقليدية.

الذرة: أما إنتاج الذرة والدخن فيقدر بـــاثنين وثلاثين ألف قنطار[01] وتوجه للاستهلاك المحلي ومع نهاية القرن التاسع عشر كان يقدر عدد سكان إقليم تينجورارين وتوات وتيديكيلت بحوالي تسعة وأربعين ألف مائة نسمة.

ويقدر إستهلاك الفرد الواحد مائة وثمانية وستون كيلو غراماً سنوياً أي أربع مائة وستون غراماً في اليوم للفرد الواحد في اليوم وإذا بيع نصيب من الحبوب للتوارق فإن معدل الإستهلاك يتناقص إلى ثلاثمائة غـــرام في اليوم الواحد لكل فرد، فتتم زراعته بإقليم توات في فصل الصيف[02]، أما بحوض نهر النيجر فهناك نوعان من الدخن الصغير والكبير.

أما المنتوجات التجارية بالإقليمين توات والأزواد فهي عديدة تتمثل في:

الحـــنـــا: تنتج في منطقة توات السفلى وبالظبط بمنطقة والـــتي تـــسمى بتوات الحنا أشجارها ترتفع من الأرض بحوالي أربعين إلى خمسين سنتمتراً

---

[01] **A.G.P. Martin, op. cit., p. 307**

[02] محمد يوسف مقلد. موريطانيا الحديثة. بيروت: د.ن.، **1960**، ص. **299**.

وتزرع على حواف السواقي جذعها وأوراقها صغيرة خضراء لامعة هذه الأوراق تحصد لاستعمالها كدواء أوللزينة مرتين في السنة.

تستعمل بعدما تسحق ويضاف لها الماء لتصبح في شـــكل عجينـــة وتوضع إما فوق الشعر لتزيينه أو كدواء للجروح، يطلبها تجار وقوافـــل الجزائر بكثرة ومادة الحنة تباع في أسواق تينجورارين[01]، لكن هذه المادة يبقى إنتاجها محدود في هذه المنطقة نظراً لكثرة الطلب عليها أما بمنطقـــة الأزواد فقد أدخلها التواتيون حيث زرعوها في الواحات وقـــد ازدادت أهميتها لاستعمالها في الزينة[02].

التبـــــغ: تزرع في عدة أماكن في توات ويبقى سوقها المركزي بزاويـــة كنتة إن هذه المادة تزرع مرة في السنة ثم تعاد زراعتها في عـــين المكـــان وتترك مسافة بين شجرة وأخرى تقدر بحوالي أربعين إلى خمسين وتـــزرع في شكل دائرة وفي شهر جوان عندما يصل طولها إلى **40**سم وتحـــصد في رزم يقدر وزن الرزمة الواحدة **800**غ لتباع في الأسواق ويتم استهلاكها بطريقة واحدة سواء بمنطقة توات أو إفريقيا وتستعمل بعـــد تجفيفهـــا ثم تسحق جذورها وأوراقها وساقها وعندها تصبح جاهزة للاستعمال عـــن طريق التدخين.

---

[01] **A.G.P. Martin, op. cit., p. 308.**

[02] محمد يوسف مقلد. موريطانيا الحديثة. بيروت : د.ن.، **1960**، ص. **299**.

أو تستعمل في الفم[01] ويتم استهلاكها في توات أو تسوق إلى غرب إفريقيا، أما بالأزواد فلا يعلم كيف وصل التبغ إلى السودان ولكن يبدو أن البرتغاليين لعبوا دورا هاما في إدخال بذوره إلى المزارع التي كانت تتبع مستعمراتها بشمال وجنوب السنغال وقد نقلت تلك البذور بطريقة أو بأخرى إلى حوض نهر النيجر وبقي التبغ من أهم الصادرات الإفريقية ومن المحاصيل التي كانت تزرع بجاو وبمبا وشرق تمبكتو[02].

القطن: أما بخصوص نهر النيجر فكانت زراعته في عهد السنغى وقد أجتهد المغاربة في تحسين أنواعه والاعتناء بشجرته حتى أصبح من أهم محاصيل التغذية، أما بإقليم توات فيزرع على حواف السواقي ويصل طول الشجرة إلى حوالي مترين لكن السكان لا يعطون له أهمية وهم يتركونه مهملاً ولهذا فإن إنتاجه لم يعط له أية عناية[03].

الخضر: عرف إقليم توات العديد من الخضر التي تزرع في فصل الشتاء وتبدأ زراعتها مع حلول فصل الخريف وتتمثل في اللفت والجزر والطماطم وكل أنواع البقوليات ويتوفر إنتاجها في فصل الشتاء فقد اعتمدت كل قصور توات على زراعة ما يستهلكونه من هذه الخضر في بساتينهم وتعتبر البقوليات من المزروعات التي تستهلك محليا قد نقلها معهم التواتيون إلى إقليم الأزواد وبالضبط إلى حاضرة حوض نهر النيجر

---

(01) A.G.P. Martin, op. cit., 309.

(02) أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. 368.

(03) A.G.P. Martin, op. cit., p. 309.

أغلبها البصل والثوم واللفت والفلفل وقد جلب التواتيون إلى تمبكتو وقاوا ما لم يكن معروفاً عندهم من فبل مثل القرع الصغير والمعدونس والنعناع والبقول أما البطيخ الأحمر فقد دخل السودان في القرن السادس عشر وأصبح الفاكهة الأكثر شعبية في تلك البلاد.

قصب السكر: يزرع بالأزواد في الأماكن المرتفعة الجافة المتوسطة الأمطار وبالقرب من نهر النيجر وكانت زراعته إحدى السمات المعروفة للمهاجرين من غرناطة[01] لكنهم لم يتمكنوا من معرفة استخراج مادة السكر من القصب فضلوا يستعملونه في شكله الطبيعي.

الصمغ: تنقسم هذه النبتة على شكلين ويستخرج الصمغ الأشقر من شجرة أكاسيس (**Acacic**) والصمغ البني من شجرة أكاسيس أدنقنال (**Acacic Adanganal**) يتواجد الصمغ في الصحراء وعلى الضفاف اليسرى لنهر النيجر ومن منطقة كوندام ويستخرج الصمغ من أشجاره بين شهري نوفمبر وماي ويسوق من العرب والفلانيين في أسواق تمبكتو وجني.

الأخشاب: تظهر غابات الأخشاب في الأماكن العليا جنوب نهر النيجر (**وخاصة جاو وهنبوري**) ولكن غابات السودان كانت متباعدة الأشجار وأهم الأصناف التي تقطع وتدخل في صناعة الأبواب والسفن، شجرة

---

[01] بن عبد الله بن عبد العزيز. مظاهر الحضارة المغربية، ج.. 1 الدار البيضاء: د.ن.، **1958**، ص **94**.

الياوبا والأكاسيا غير أن الغابات هي أماكن الرعي للمواشي وقد عَـــرف نهر النيجر عدة أصناف من الأشجار[01].

الثروة الحيوانية: تتمثل في الأغنام والجمال والأبقار.

الأغنام: الأزواد المكان الأمثل لتربية الأغنام باعتبار المنطقة تتوفر على أهم المناطق العالمية في تربية اللحوم باعتبارها امتدادا للمنطقة المدارية فالأغنام نوعان نوع سوداني أصيل قليل الصوف مرتفع القوام يتحمل قساوة المناخ الصحـــراوي[02].

ونوع مغربي صحراوي طويل الذيل كثيف الـــصوف ولكنــه لا يستطيع العيش في المناطق الرطبة إذ يعتريه الإسهال إذا هبت عليه ريـــاح ساخنة رطبة أو تعرض لسقوط المطر[03].

وقد اهتم أهل الأزواد من كنتيين وبرابيش وكلنتصر بتربية الأغنام وكانوا يقيسون ثروة كل عشيرة بما تمتلكه من رؤوس الغنم ويحرس أهلها أن تظل أغنامهم بالقرب من خيامهم فهم يرعونها كل صباح بـــالقرب منها ويوفرون لها الماء الضروري ولهم في هذا أقوال مأثورة كقولهم:

"يا وارد البحر بيع الإبل واشتري الغنم"[04].

---

[01] بن عبد الله بن عبد العزيز، نفس المرجع، ص. 371-372.

[02] أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. 374.

[03] نفس المرجع، ص. 374.

[04] سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي. الطرائف والتلائد، المصدر السابق، ص. 262.

ولعل هذا يعود إلى أنها كانت مطلوبة فيقبل على شرائها سكان مناطق توات ويطلقون عليها اسم سيداون **(نسبة إلى السودان)** أما الماعز فكان تكاثره ضعيفاً بالمقارنة بالأغنام باستثناء المنطقة الشمالية الغربية وخاصة ولاتة[01] أما بالنسبة للإقليم توات فقد اكتفى التواتيون باكتساب الشيء القليل منها وهذا بسبب ندرة المراعي والاعتماد على لحوم الأزواد

الجمال: وقد سميت الإبل عدة تسميات كما هو حال العرب فسموها حسب سنها فعندما تلد الناقة يسمون رضيعها بسلاح وعندما يبلغ السنة يسمونه الحوار وبعدما يتعدى السنة ينعت بالمخلول وعند بلوغه ثلاث سنوات يسمى بالحاشي وعندما يصل إلى أربع سنوات يوصف بالجمل[02] أما الإبل التي تستعمل للعمل فتسمى "**باكرزي**".

الجمل حيوان صحراوي أصيل عرفته الصحراء منذ العهد الروماني وهو بحكم خلقته لا يحتمل المناخ الرطب الماطر وقد أهمل السكان استعماله في المناطق القريبة من نهر النيجر لتعرضه للمطر وكانت مناطق تواجده أروان وولاتة[03].

---

[01] **Charles Monteil. Les Bambara du Kaorta. Paris: s.n., 1924, p. 219.**

[02] **الجمل من الحيوانات الدخيلة على الصحراء الإفريقية جاء في إحدى الروايات أن الهكسوس حينما غزو واد النيل وهزموا جيوش طيبة الفرعونية في عهد الأسرة الرابعة عشر وذلك في القرن السابع قبل الميلاد انظر: إسماعيل العربي. الصحراء الكبرى وشواطئها. الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص. 33-34.**

[03] **عبد القادر زبادية، المرجع السابق ص. 186.**

وكان السكان يسموها عند الولادة أو الشراء بعلامات مميزة وهذا بِكَيِّها بالنار حتى تعرف عند الضياع وتختص كل قبيلة بعلامة مميزة[01].

وعند الرعي يختارون لها المراعي التي تنمو فيها الأعشاب وتكثر بها المياه فإذا نضبت مياه الوديان ويبست الأعشاب غَيَّروا لها المراعي وقد كانوا يذهبون بها إلى الأماكن البعيدة التي يتوفر بها العشب والماء ويذكر الشيخ المختار الكبير الكنتي أنه وصل في ترحاله إحدى المرات إلى الأطراف الشمالية من الصحراء وانتهى إلى موضع يشرف على نخيل درعة[02].

وتكتسي تربية الجمال أهمية خاصة فهي وسيلة تنقل ومصدر تغذية فالناقة تعطي من أربع إلى ثمان لترات حليب في اليوم وينقص لبنه عند آخر الرضاعة من اثنين إلى ثلاث لترات وفضلاً على أن الإبل توفر الوبر اللازم لنسج الملابس وصنع الزرابي والخيام فمادة الوبر المتحصل عليها من الجمل الواحد قد تصل إلى أربع كيلو غرامات عند جزه في فصل الربيع[03] من كل سنة وقد عرفت الأزواد بطرقها الخاصة في تربية الإبل التي اكتسبها من التجارب، فيخصص لرعيها رعاة لهم معرفة بطبائع الإبل

---

(01) انظر: قائمة علامات الوسم بالملحق ص

(02) سيدي محمد بن المختار الكبير، مخطوط الطرائف والتلائد، المصدر السابق، ص. 260.

(03) عبد المجيد فورو. الوضع الحالي للإبل وأفاق تنميتها بالجزائر، ندوة حول الإبل، الجزائر 26 مارس 1990، ص. 16.

وأوقات الفطام لصغارها ودراية بمناطق الرعي في جهات الأزواد وعلى إطلاع بأماكن تواجد الماء وأفضل رعاة الأزواد هم من قبائل لادم وتماطت ومشظوف وأبد وكال.

فخلال شهر سبتمبر ومارس ينحازون بها إلى الأماكن التي توجد بها المياه ففي هذين الشهرين يكون الماء لها نافعاً فيجددون لها المراعي ويبتعدون بها عن الخيام لأنها تكون في غنى عن شرب الماء.

أما في فصل الصيف فيقتربون بها من مناطق تواجد الماء وقد يتوجهون بها إلى نهر النيجر نظراً لحاجتها الكبيرة للماء في هذا الفصل وعليه فقد كانوا يصنفون الإبل حسب سنها ليستفيدوا منها من الناحية الاقتصادية أقصى ما يمكن فجمال القافلة عادة ما كانت تختار صغيرة السن لتدخل ضمن قافلة توات أو تاوديني.

أما الجمال المخصصة للذّبح فعادة ما تكون كبيرة السن لا تستطيع مواكبة السير في القوافل التجارية فتوجه للذبح وتقدر بمنطقة الأزواد بالمئات حيث توجد أعداد كبيرة من الجمال بتوفر المراعي، فتربى بالجهات الشرقية بمواطن البرابيش وكلنتصرحيث تنتشر نباتات غنية مثل الملح **etamy** الرتم **Brocehia Cinerere** القرطوفة **Acacia raddiana** **raetm** والطرفة **Tamaris sénéylais** العقاية **Zygophyllum** [01]

---

[01] **H. Gauthier-Pitters. Le dromadaire et son élevage. S. l.: Institut d'élevage et de médecine vétérinaire des pays tropicaux, 1984, p.1306-1309**

الأبقار: فهي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية الاقتصادية فالأبقار السودانية صغيرة الحجم عموماً مع قرون طويلة ملتوية وتقتصر تربية الأبقار على القبائل السودانية وبعض الطوارق فهي قليلة جداً مقارنة بقطعان الإبل والأغنام فتوجد بجهات سردوم والميادية وأنفيس والروق لتوفر هذه المناطق على غطاء نباتي غني ولتساقط الأمطارالشبه المدارية بها مما جعلها من المراعي الغنية بالأعشاب المفيدة لتربية الأبقار والتي تعرف محلياً بازكن[01].

ويقدر وزن بقرة سنها ثلاث سنوات حوالي **160** كيلو غرام منها ستون كيلو غراماً من اللحم الخالص وقد أقبل السودانيون على شـــرب حليب الأبقار بينما يفضل التواتيون لبن الأغنام ويفضل بدو الأزوادالنوق وكان التواتييون يستخرجون السمن المملح من زبدة الأبقار أما الجبن فلم تُعرف صناعته بتلك البلاد[02].

يلحق بالثروة الحيوانية ما يربى من دواجن وأسماك فالدواجن يعتـــبر من مستلزمات البيوت التواتية والأزوادية والدجاج بـــالإقليمين صـــغير الحجم قليل البيض يميل طعمه إلى طعم السمك بحكم ما يتناوله من ديدان وأسماك نهرية، أما أعشاش الحمام فتوجد في البيوت وأشجار النخيل.

---

[01] محمد حوتية. قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد. رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر، معهد التاريخ، **1993**، ص. **48**.

[02] أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. **223**.

أما الأسماك فيقتصر صيدها في نهر النيجر لكبره وإتساعه وغناه بالأعشاب والديدان والحشرات التي تعيش على الأسماك النهرية وهذا ما سمح لنسبة كبيرة من السكان أن تعتمد في حياتها على الثروة السمكية وقد أحرزوا على قدر كبير من المهارة في الصيد والتجفيف وقد استفاد سكان الإقليم منذ القدم من لحم السمك في التغذية، ومن عظامه في الأدوات المنزلية وغيرها، ومن دهنه في تحضير الطعام كما كانت تستخرج مادة العنبر الغالية الثمن من رؤوس سمك العنبر الذي يلقى به التيار على الساحل عند تدفق منسوب مياهه[01].

و لم يكن نهر النيجر يقدم ذلك كله فقط بل إن النباتات العميقة الجذور والشديدة الحلاوة والمسماة (بورغو) كانت تنمو على ضفتيه فيقطعها الأهالي ويستعملونهافي تحلية طعامهم وشرابهم وفي تغذية أبقارهم ودواجنهم وقد عدت نبتة البورغو كمادة أساسية في التجارة الداخلية بالسودان.

وهناك أنواع عديدة من أسماك نهر النيجر أهمها الأسماك الكبيرة، التي يقبل الصيادون على صيدها خاصة نوع القطبان -ذو الألوان الزاهية الفضية- وسمك الصابر ذو الرأس الضخم والفم الواسع وسمك القوسية

---

[01] أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. 378.

والكيين والصوفا والسماني البوري[01] والكانبو[02] وتاكو يا مباح وديولي وبيبى[03] وفواكه البحر.

من خلال ماتقدم يمكننا القول أن الإنسان ابن بيئتـه فـالظروف الطبيعية التي مر بها الإنسان الصحراوي جعلته يتكيف مع الحياة الـصعبة فمن أجل إشباع حاجاته المائية فقد ابتكر الإنسان الـصحراوي نظـام الفقارة الذي هو بمثابة شريان لحياة المجتمع التواتي فالعدد الـضخم مـن الفقاقير التي شقها في باطن الأرض ليستخرج منها الماء علـى سـطحها وابتكر أساليب استطاع أن يحافظ بها على الماء من أول بئر إلى وصوله إلى سطح الأرض ثم توزيعه بطريقة عادلة ما بين السكان يكـون النـصيب الأكبر لمن ساهم أكثر من الناحية المالية أو البدنية ويتم التقسيم بطريقـة الكيل ويكون مكان توزيع الماء هو القسرية فغنى الأفراد بـإقليم تـوات يقاس بما يملكه الأفراد من حبات في مـاء الفقارة فالحبة الواحدة يمكن أن تقسم إلى **24** قيراطاً فالفقارة وبهذا الأسلوب تعتبر الفقارة هي لكل مجتمع القصر فكل شخص يستطيع أن يملك فيها ولو الشيء القليل أما الفقـراء فلهم حق الانتفاع وبهذا فإن الماء هو المال بإقليم توات وقد نوع التواتيون في استغلال المياه فهناك نظام الخطارة بشمال تينجورارين ويباع ويشترى ويقرض هذا النظام أدى من تقوية روح الجماعة بين العناصر المـستعملة

---

[01] تسمية أندلوسية تستعمل إلى اليوم.

[02] تعني بالإسبانية بالبليد.

[03] تعني الديك الرومي.

للفقارة كما أدى إلى تقوية الروح الجماعية بين السكان بالتضامن والتكامل ونفس الظاهرة نلاحظها في الآبار الارتوازية الموجودة بالأزواد التي تكون مراكز تتجمع حولها القبائل في موسم الجفاف، وعند فيضان نهر النيجر أدى استغلال المياه إلى وفرة المحصول الزراعي المتمثل في القمح والشعير أما الأزواد فيقاس ثراء الأفراد بما يملكه الفرد من رؤوس الغنم أو الإبل.

فالإبل كانت مصدر ثروة نظرا لما تدره من منافع اقتصادية على أصحابها سواء من حيث ألبانها أو وبرها أو باعتبارها كوسيلة ربط بين الاقليمين من الناحية الاقتصادية كل هذا ما سنحاول التعرف عليه في الفصل الموالي الخاص بالحرف والتبادل التجاري ما بين الاقليمين وسائر الاقاليم الاخرى.

الفصل الثالث:

الحرف والتبادل التجاري بتوات والأزواد

يرتبط بالإنتاج الحرفي والنشاط التجاري شبكة من المواصلات بمنطقتي **توات والأزواد** تحتل مكانة متميزة خاصة وأنهما بحكم موقعهما تعتبران مركز عبور بين حوض البحر الأبيض المتوسط إلى غرب افريقيا.

انعكس الإنتاج الزراعي والحيواني المتنوع بإقليمي توات والأزواد على واقع الحرف التقليدية التي تدخل ضمن نشاط السكان فقد استغل سكان الإقليمين المواد الأولية المحلية في عدة صناعات من أجل تلبية الحاجات الضرورية وقد تنوعت الصناعات التقليدية من صناعة فخارية إلى صناعة السعف والنجارة والحدادة ودبغ الجلود وسبك الذهب والفضة والنحاس.

هذه المنتوجات المحلية عملوا على تسويقها فقد ارتبط الإقليمان توات والأزواد وشكلوا شبكة من المواصلات تميزت بالتنظيم المحكم في الذهاب والإياب مع ضمان الإستمرارية للتجارة وبسبب بعد المسافة فقد جعلوا لتلاقيهم محطات عند الآبار تستريح فيها الإبل وهناك حواضر تنتهي عندها القوافل التجارية كتيميمون وأقبلي بتوات وتمبكتو وقاو

بالأزواد هذا بالإضافة إلى مسالك فرعية بالإقليم الواحد تـربط مـابين الحواضر والقصور المترامية حولها.

وقد اشتهرت خلال القرنين قوافل عديدة تتألف من مئات الجمال كقافلة المشرية وعين الصفراء التي تأتي من الغرب وقوافل الشعانبة الـتي تأتي من الوسط فبوصول هذه القوافل تظهر أسواق داخلية تتم فيها عملية التبادل التجاري بأسلوب المقايضة ومن ضمن هذه الأسواق جني، أروان، جاو، تمبكتو، تيميمون، ونظراً لحجم التبادل التجاري والمواد المـستوردة والمصدرة بتوات تتم العملية التجارية إما بالمقايضةأو بالعملة ويـستعمل المزود والغرارة في الكيل وفي القياس يستعمل الذراع.

كل هذا سنتعرف عليه في هذا الفصل.

اشتهرت منطقتا توات والأزواد بحرف تقليدية عديدة، عبّـرت في الأصل عن مهارة السكان وتأقلمهم مع الطبيعة التي فرضت عليهم العزلة في هذه المنطقتين البعيدتين وكما يقـول المثـل "**إن الحاجـة هـي أم الاختراع**" هذا ما دفعهم إلى ابتكار ما يحتاجونه في حياتهم اليومية مـن وسائل تقليدية تركوا فيها بصماتهم ومن هذه الحرف والأعمال التقليدية التي اشتهرت بها منطقتا توات والأزواد:

تعتمد الحرف والصناعة على ما يتوفر في المنطقتين من مواد أوليـة أهمها الذهب الذي يعتبر من أهم المنتجات السودانية ولعـل القـصص والخرافات التي نسجت حوله والجدل الذي دار حول استغلال المغاربة له

وتحويلهم لتجارته إلى المغرب وما قيل ويقال عن وصول الجيش المغـــربي إلى مناطق إنتاجه وعدم اهتدائهم إليه لسبب من الأسباب هــو الــذي أعطى الأهمية لهذا المعدن الإفريقي.

وكانت تمبكتو تدفع للخزينة بمراكش مئة وخمسون ألف جنيه ذهبا وتدفع جاو مئة وخمسة وسبعون ألف جنيه ذهباً.

و لم يكن الذهب هو المعدن الوحيد في بلاد السودان[01] فقد كـــان الصياغون يصنعون حلياً من جميع المواد إلا أن صناعة الذهب كانت قليلة بسبب عدم مقدرة الصاغة بإقليم توات على إذابة ذهب السكة وكـــانوا يصنعون من هذا المعدن أساور وأغمدة للسيوف كانوا يزينون بها ألبســة الحكام.

لم يكن الذهب هو المعدن الوحيد في إقليم الأزواد بل عرفت المنطقة منذ عهود قديمة معادن أخرى غير أنها لم تعط لها العناية الكافية و لم تلفت لها أنظار التجار ومن هذه المعادن:

والنحاس الذي تشتهر به منطقة أقادز وكان يهتم به السونغي ليباع في تمبكتو وجاو[02] كما كان يجلب من موسى والهوسا. وكذلك الحديد الذي كان يجلب من غينيا على شكل كرات تحتوي على نسبة كبيرة من

---

[01] **Capitaine Rig, L'artisanat A Tamentit. - Alger: Institut de Recherches sahariennes, 1961., p. 41.**

[02] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص. 192.

الأتريت وقد كان الصاغة يستغلون العلب الحديدية المستعملة فيحولونها إلى علب مختلفة تستعمل في المنازل.

النجارة: يصنع النجارون بالإقليمين أقفالاً **(أفكو)** ومهاريس مع أعمدتها أما المعالق الخشبية فهي تصنع بالأزواد ، وتعتبر جذوع النخيل هي المادة الأولية لهذه الصناعة بمنطقة توات أما في بالأزواد فالنجارون يصنعون النوافذ المخرومة ويدهونها باللون الأخضر والأصفر والأحمر كما يصنعون أبواباً ثقيلة وألواحاً لتسطيح المنازل أما أدوات عملهم فهي أدوات يدوية بسيطة حادة ومنحنية[01].

صناعة الجلود: وتشمل منتوجات مختلفة ذات صبغة محلية وصناعة الجلد يقوم به العرب من بدو رحل وهي قليلة جداً بالمقارنة مع الحرف التقليدية الأخرى فمهنتهم الأصلية هي الخرازة على الجلد وتطلق كلمة خراز على الشخص الذي يمارس هذه العملية ويجتمع هؤلاء الحرفين إلى جانب بعضهم البعض ويزاولون نشاطهم في شوارع رملية ضيقة وأثناء عملهم يتحدثون مع الجالسين معهم ويراقبون حركة المارة في الشارع وتبدأ فترة العمل بعد إنهاء نشاطهم في البساتين وهم يستعملون الجلود القادمة من السودان أو من الجلود التي تدبغ محليا بالإضافة إلى وبر الجمال وتدبغ هذه الجلود بواسطة الملح الممزوج بالورق الصلاح وهي نبتة تنمو بزاوية

---

[01] **Capitaine Rig, op. cit ., p. 166.**

سيدي عبد القادر بفنوغيل ويحضر الجلد بإبقائه في الماء لمدة ثلاثة أيام وبعدها يترع منه الصوف ثم يرجع ثانية إلى الماء لمدة ثمانية أيام ثم يخرج وتوضع عليه الدباغة المصنوعة من شجرة (**تلاية**) والإسكافي يصنع الدباغة من قشور الرمان التي يطلي بها الجلود وعادة عندما تكون جاهزة يكون لونها أحمر.

وتشتهر بصناعة الجلود منطقة أولف وبرج باجي مختار وتتمثل أهم المنتوجات في النعال والجزم والأكياس بأحجام مختلفة والراحلة للجمال[01] أما الاسكافيون فيصنعون مختلف أنواع الأحذية والأرائك والحقائب وأغمدة السيوف وعملهم يكون في الغالب تقليديا من حيث الشكل والزخرفة وهذه لبدائية ومحدودية الوسائل التي يستعملوها.

الحدادة: يرتكز نشاط الحدادين على الحديد المستورد من المغرب والموسى ويصنعون الفؤوس والمقاطع والسكاكين والرماح والسيوف والأقفال والمسامير وأدوات صغيرة مزخرفة بمادة نحاسية ويصلحون البنادق ويصنعون العصي المزخرفة بالبرونز والنحاس[02] وقد اشتهرت بهذه الصناعة فئة من التوارق تعرف بالمعلمين.

صناعة الحلي الفضية: وهي من الحرف التي اشتهر بها أهل تمنطيط فهم يصنعون حلياً من الفضة ويستعملون في صناعتهم تقنيات بسيطة وتكون

[01] Capitaine Rig, op. cit., p. 157.
[02] A. Hacquard, op. cit. p. 42.

منتوجاتهم متفاوتة الجودة والقيمة فهم يصنعون الأساور والخواتم والخلاخل والتمائم وللأساور ثلاثة أنواع:

أدبلز لحرش: وهو عبارة عن أنبوب مقعر ومقوس كالحلقة ومزين بخيوط عبارة عن مستطيلات مزخرفة وكريات صغيرة وهو المصنوع بكثرة نتيجة للطلب المتزايد عليه.

أدبلز الملس: يتميز بكونه ذا زخرفة مغايرة فخيوطه مزركشة باللون الأسود.

أنبل: يختلف تماماً على النوعين الأولين فهو عبارة عن قطعتين مشدودتين مزينتين بالفضة وهو أغلى الأساور ثمناً فالطلب عليه قليل.

الخاتم: عبارة عن شكل دائري توضع عليه قطعة مربّعة مزينة بخيوط من الفضة وكريات صغيرة.

محبس: حلقة بسيطة عريضة وضيقة وتوضع عليه قبة مزركشة ويعتبر من الصناعات القديمة بتمنطيط ويصنع بزاوية كنتة، أنجزمير، برج باجي المختار[01].

صناعة السعف: التواتيون منذ القدم سعوا لتلبية احتياجاتهم الضرورية وقاموا بمنطقة توات بتحويل مشتقات النخيل إلى مواد ولوازم ذات استعمال يومي فاستعملوا اللّيف "**الفدام**" لصناعة الحبال والخيوط كما استعملوه كغطاء لقلال الماء وتستعمل خيوط اللّيف كأيدي للقفف كما

---

(01) **Capitaine Rig, op. cit., p.148-149.**

تصنع منه الغرارة[01] في زاوية سيدي البكري والمنصورية ومن سعف النخل صنعوا القفاف والمظل أما النساء فقد تخصصن في صناعة التدارة والأطباق يقمن بإنتاجهن في فصل الربيع والصيف وبالضبط بداية من شهر أبريل هذه الفترة هي فترة راحة لهن بسبب انقضاء موسم حصاد القمح وجني التمور. وهم يستعملون أفضل أنواع سعف النخيل ليحصلوا على أجود منتوج[02].

صناعة الفخار: يتم تحضير الطين هذه المادة بمنطقة تنمطيط بعد استخراجها من الأرض فتنظف من الشوائب والحجارة والجذور العالقة بالتراب،و الحشيش والحصى وخاصة حجارة الكلس بعد ذلك يبلل الطين بالماء في نفس اليوم دون خلطه وفي اليوم الثاني تقوم الفخارجية بعجن الطين حتى تتمكن من تليينه ليبتعد عن أخطار الكسر أثناء عملية التجفيف بعد ذلك تضاف له مادة التفون وهو عبارة عن شقف صغيرة من الطين المحروق فيقدم للرحى التي تقوم بسحقه جيداً ثم تحصل على عجينة جاهزة قابلة للتشكيل.

تنشط صناعة الفخار في فصل الربيع وهو الفصل الأنسب لهذه الصناعة سواءً من حيث اعتدال الجو أو من حيث العمل نفسه فتبدأ النساء والرجال المشتغلين بهذا الفن بعجن كومة من الطين ثم توضع فوق

---

(01) الغرارة: كلمة محلية وهي عبارة عن وعاء غليظ مصنوع من ليف النخيل يستعمل لنقل الأتربة والدبال فوق ظهور الحمير.

(02) **Capitaine Rig, op. cit., p. 161.**

قطعة خشبية وتمدد العجينة بكف اليد وبعدها تـشكل حـسب الهيئـة المرغوب فيها ثم بعدها تعرض هذه الأشكال من الأواني والجرار والقلال لتجف مدة تتراوح ما بين ثلاثة أسابيع إلى الشهرين تحت الظل لأن هذه العملية يجب أن تتم بكل تأني لأنه إذا عرض مباشرة للتجفيـف تحـت حرارة الشمس تجف من الخارج فقط مما يجعلها سهلة للكسر.

وتتم عملية الحرق بحفر حفرة عمقها خمـسون سـنتمتر وتحـاط بالحجارة والعيدان القابلة للإشتعال وتوضع الأواني قطعة بعـد قطعـة ثم تغطى هذه الأواني بحطب من الديس والأوراق اليابسة ثم تستخرج الأواني بعد ذلك ساخنة وتترك حتى تبرد ثم تبدأ عملية الطلاء[01].

ويمتاز فخار تنجورارين بقاعدة مـستديرة ومقـابض مـسطحة ومفتوحة أما الزخرفة فتكون غالباً موضوعة بطريقة عفوية وهي عبارة عن خطوط منتشرة تارة فوق الفوهة وتارة فوق الجسم وأحيانـاً نلاحـظ خطوطاً عمودية بالتناوب بتأثيرات صغيرة توحي لنا بشكل النخلة أمـا منطقة توات ففخارها ذو خاصية فريدة من نوعها فهـو يمتـاز بـاللون الأسود القاتم[02].

وبإقليم توات يتميز الخزف الرجالي في صناعة غليـون التـدخين (**سبسي**) من أجل استعماله في تدخين التبغ المحلي مع مرمـدة للتـدخين

---

[01] **Capitaine Rig, op. cit. p. 167.**

[02] **نابت ربحة مقال عن الفخار وزارة الاتصال والثقافة مديرية التراث الثقافي والفنون التقليدية الملتقـى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية أدرار 2/6/ 94 في الجزائر ص 60.**

متنوعة الألوان سوداء وحمراء وهناك من يصنع بالفخار الأواني المتنوعة الأشكال بالإضافة إلى علب خزفية تستعمل لوضع السكر والشاي وهذه المهنة تلقن من جيل إلى جيل عن طريق الممارسة.

أما النساء فعملهن في صناعة الخزف قديم جداً يظهر ذلك بشكل واضح على المقابر حيث توضع أواني مختلفة الأشكال متنوعة الألوان (**بني أصفر**) وتتمثل في الجرار والصحون والكؤوس[01].

المواصلات والتبادل

المسالك الصحراوية:

إقليم توات يعتبر نهاية قوافل حوض البحر الأبيض المتوسط ويعتبر إقليم الأزواد بداية لغرب إفريقيا والإقليمان يشكلان ممران طبيعيان لتجارة السودان الغربي وبضائع الشمال الإفريقي وقد ارتبط الإقليمان ببعضهما البعض بمسالك عديدة كما ارتبط بالمناطق الخارجية بمسالك أخرى،وقد كانت القوافل التجارية تخترق الصحراء من جميع جوانبها لتصل إلى السودان الغربي، أما خط سيرها فهو من الشمال إلى الجنوب أثناء مرحلة الذهاب وبالعكس عند مرحلة العودة، وقد شكلت القوافل التجارية همزة وصل بين توات والأزواد وقد ساعد في ذلك معرفة التجار لمسالك الصحراء واكتسابهم أساليب ملائمة في تجارة الصحراء وهذا ما جعلهم رواد للتجارة الصحراوية مابين شمال الصحراء وجنوبها فأقاموا المراكز

---

[01] **Capitaine Rig, op. cit. p. 168.**

التجارية عند تخوم نهر النيجر ليسهل لهم الاتصال بأغلب مدن غرب إفريقيا مثل مدينة دوري (**Dori**) وكايا (**Kaya**) وأنقورا (**Ngorma**) وواقادوقو (**Ouagadougou**) وتمبكتو(**Tombouctou**) وقاو(**Gao**) وجني (**Djenne**) ولعل موقع توات الإستراتيجي يعتبر عاملا مساعداً لتجار توات فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلاد المغرب بحيث أصبح إقليم توات حلقة وصل بين الجنوب الغربي وغرب أفريقيا بواسطة القوافل فالقوافل التواتية التي كانت تضم عدة رجال تقدم الخدمات الضرورية للمسافرين فالدليل له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ودراية بالنجوم ومنازلها والطبيب له معرفة بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض أثناء السفر والفقيه المتمكن في الأمور الشرعية فيستفتي عما بدا من تساؤلات تتصل بالأمور الدينية والحراس مكلفون بحراسة القافلة وإبعادها عن أماكن الخطر[01] هذا وعادة ما يكون عدد المسافرين قليلا في الطرق الآمنة بينما يكثر المسافرون في المسالك غير الآمنة فهم بحاجة ماسة إلى بعضهم البعض فيتجمعون في قافلة واحدة هذا وقد لعبت الآبار دوراً مهما في تأمين الماء للقوافل فالآبار هي محطات تستريح فيها الإبل ويسقى بها المسافرون قربهم ويراقبون حمولتهم ويتبادلون فيها أخبار الطريق ويتعرفون على الأسعار ويؤدون بها الصلاة وأحيانا تكون مناطق

---

[01] ماجدة كريمي. العلاقات التجارية بالمغرب والسودان في العصر المريني **668-759 هـ (1269-1358)**. رسالة لنيل دبلوم. الدراسات العليا في التاريخ – الرباط- جامعة محمد الخامس **1987-1988** ص **75-79**.

لتجمعات سكانية يتم فيها البيع والشراء وعادة ما تكون الآبار محفورة بوسط الأودية وقد تختلف أعماقها باختلاف المناطق التي تحفر بها فآبار الأزواد مياهها عميقة تصل إلى الخمسين متراً بينما آبار تتروفت وإقليم توات تمتاز بقرب مياهها التي لا تزيد عن الخمسة عشر متراً وإلى جانب البئر عادة ما تكون سواقي ترد عليها الإبل والغنم وبانعدامها يصبون لها الماء في أحواض مصنوعة من جلود الإبل أو البقر فأهمية حفر الآبار يتنافس عليها التواتيون باعتبارها صدقة جارية[01].

أما توقف القوافل فعادة ما يكون عند منتصف النهار فيستريح المسافرون مدة ساعتين يخرجون فيها زادهم المتكون أساساً من التمر والقديد والدقيق والشاي عندها تكون القوافل قد سارت عشر ساعات قطعت خلالها حوالي أربعمائة كيلومتر أي بمعدل أربعين كيلومتر في الساعة علماً وأن هذه النسبة ليس ثابتة فقد تزيد وتنقص بين رحلة وأخرى فهي خاضعة لطبيعة المسالك وكمية السلع وأمن الطرق.

فالقوافل التواتية الآتية من الأزواد كانت تتجه مرتين في السنة إلى توات، في شهر ماي تكون الرحلة الأولى والثانية في شهر أكتوبر ومجمل القافلتين تتكون مابين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جمل يطلق عليها تسمية أكابار[02] ينتظرها سكان توات في مواقيتها فتأتي بالعبيد وجلود

---

[01] الشيخ محمد بن الشيخ سيدي مختار الكبير، الطرائف والتلائد، ص. 669.

[02] **C. SABATIER. Touat Sahara et Soudan. Paris: Société d'éditions scientifiques, 1891, p.192.**

الأبقار والذهب وريش النعام واللحم وتنشط الحياة الاقتصادية بقدومها بإقليم تيدكلت يقايضون بمنتوجاتهم المحلية المتمثلة أساسا في التمر والتبغ والحبال المصنوعة من الليف وبرجوع قافلة السودان تصل إلى إقليم "**تينجورارين**" قوافل الشمال تأتي بالحبوب والصوف والغنم والقطن ومواد استهلاكية أخرى لتعود بالمنتوجات المحلية وسلع السودان كالعبيد وريش النعام والعاج.

هذا وقد اعتادت القوافل التواتية عند بلوغها توات التفرع إلى مجموعات صغيرة منها ما يتوجه إلى تيمادنين برقان ومنها ما يواصل سيره إلى قصر زاوية كنته قسم ثالث يتجه إلى عين صالح وقد يواصل بعضهم السير ليصلوا إلى بني عباس بإقليم وادي الساورة وغرداية بإقليم وادي ميزاب فبعدما يقايضون سلعهم التي جاءوا بها بمواد محلية كالتبغ والتمر والأغطية والجمال الصغيرة يجتمعون بقصر أقبلي فينطلقون نحو الأزواد وعادة ما تدوم رحلتهم التجارية ذهابا وإيابا ما بين جاوا وتوات مدة ثلاث أشهر[01].

أما نهاية سير قوافل توات في ذهابها نحو السودان فهي مدينة تمبكتو التي أرتبط بها تجار توات وجعلوها محطة لتسويق منتوجاتهم وهذا ما جعل مدينة تمبكتو تكتسي أهمية خاصة في النشاط التجاري التواتي فهي مركز

---

[01] **J.GENEVIERE. «Les Kounta et leurs activités commerciales». <u>Bulletin de l'Institut d'Afrique noire</u>. t.12, n°4, octobre 1950, p.1123.**

للمقايضة بين السودان الغربي والتجار العرب فقد ارتبطوا بها لأهميتها الاقتصادية باعتبارها مركز استقطاب للعديد من المنتوجات الزراعية من جهة الجنوب وأعالي نهر النيجر الذي يمولها بالذرة والأرز الذي يأتيها من صاصندي (**San Sandi**) أما التوابل كالفلفل والقطن فتأتيها من مقاطعة دجمبالا (**Djambala**) زيادة على المنتوجات والملابس الرفيعة التي تستورد من كانو (**Kano**) وصاصندي.

فتأتي مختلف هذه السلع عبر نهر النيجر خاصة في شهر نوفمبر وديسمبر من كل سنة فأثناء موسم الفيضانات تدخل المراكب الصغيرة تمبكتو فتفرغ حمولتها أما عند موسم الجفاف فتتوقف بميناء كبار الذي يبعد عن مدينة تمبكتو بعشر كيلومترات عن المدينة [01]

فالكاتب هكارد (**Hacquard**) وصف تمبكتو بقوله أنها منتهى القوافل التجارية الآتية من الشمال المحملة بالملح والتمر والتبغ، فالمغاربة يترلون بها مع بداية شهر نوفمبر ليعودوا منها في شهر ديسمبر زيادة على قوافل طرابلس، تونس، وتوات والجزائر التي تأتي بمختلف السلع كالمنسوجات والجلود والأسلحة والبارود والزجاج والسكاكين والسكر والشاي وتعرض منتوجاتها التجارية بمختلف أسواق تمبكتو وعادة ما يتم العرض داخل السلال وعلى الأرض ويقوم بعملية البيع مختلف الشرائح السكانية التي تقطن المدينة فالرجال متخصصون في عرض المواد النسيجية

---

[01] **A. Hacquard, op.cit., p. 34.**

والمحلية ومن حين لآخر يحول تجار تمبكتو كميات من الأخشاب المحليـــة ليبيعوها في المدن المجاورة لتمبكتو كـــدجمبالا (**Djambala**) وســـرافر (**Sarfére**) جني (**Djenné**) فيقايضون هذه المادة بالمنتوجات المحلية ومن وراء ذلك يحققون أرباحاً معتبرة. أما العبيد فيعيشون في أسواق تمبكتو من أعمالهم وما يتاجرون فيه لحساب أسيادهم. أمـــا التجـــار المتجولـــون فيعرضون سلعهم في الساحات العامة وأمام البيوت[01]

فقد سلك التجار الطرق الصحراوية المتعارف عليها ما بين غـــرب إفريقيا وإقليم توات وأصبحت لهم معرفة بأغلب المعابر الصحراوية الـــتي يصعب عبورها خاصة على من ليست له معرفة بالصحراء ومن أهم هذه المسالك[02] المشهورة التي اعتبرت بمثابة شـــريان الحيـــاة الإقتـــصادية في الصحراء.

مسلك وادي درعة: الذي ينطلق من مراكش نحو تندوف ومنه نحو عرق شاش إلى تاودني وأوران لينتهي بتمبكتو.

مسلك وادي الساورة: الذي يخرج من فاس ومكناس فـــوادي جـــيرثم وادي الساورة فتوات واقبلي ووالن فعين زيزة ثم المبروك وتمبكتو.

---

[01] **A. Hacquard, op. cit.,Ibid., p. 42-49.**

[02] أشار الجغرافي العربي ابن حوقل إلى هذه المسالك بقوله :"وهناك طريق آخر ما بين شمـــال الـــصحراء وجنوبها عرفت التجارة نشاطاً منقطع النظير ما بين سجلماسة وبلاد السودان" انظر أبو القاسم ابـــن حوقل. صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د. ت.، ص **60**.

مسلك وهران: الذي ينطلق من وهران ويتجه نحو الخيثر والمشرية وعين الصفراء وفقيق ووادي زوزفانة وتوات وتمبكتو.

مسلك الجزائر: الذي يبدأ من مدينة الجزائر نحو الأغواط ومنها إلى المنيعة فعين صالح وأقبلي وتمبكبو.

مسلك الواحات الشرقية: يخرج من منطقة بسكرة وتقرت وورقلة عين صالح والمبروك وتمبكتو.

مسلك الصحراء الشرقية: يمتد من طرابلس وغدامس نحو عين صالح فأقبلي وتمبكتو[01]

وللإشارة فإن معظم هذه المسالك العابرة للصحراء الكبرى والمتوجهة إلى غرب إفريقيا عبر الناحية الجنوبية الغربية تنتهي بتمبكتو وتلتقي بإقليم توات وهذا لما لهذا الإقليم من أهمية جعلته يرتبط بكل الاتجاهات وينفرد بموقع جغرافي ممتاز أصبح يمثل نقطة التقاء لطرق تجارية عديدة.

منها مسالك تنجورارين تنتهي عند موطن شعانبة المنيعة ومتليلي وورقلة وقوافل جنوب الغرب الوهراني وبإقليم توات يعتبر قصر تيمي ملتقى للطرق القادمة من الشمال والغرب ليخرج منها مسلك يؤدي إلى تيدكلت ثم السودان الغربي وفي نفس الوقت يعتبر قصر بودة وسبع

(01) يحي بوعزيز. الطرق والأسواق التجارية في الصحراء الكبرى، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر. الكويت: مؤسسة الفيلج، 1984، ص. 138.

وتسابيت قصور مرتبطة بإقليم تافيلالت بالمغرب[01] لكونها تعتبر محطة أولى للقوافل القادمة من المغرب. أما رقان فتخرج منه طرق من الناحية الجنوبية باتجاه تاودني وتمبكتو والهقار ومن ناحية الشرق يرتبط بمسالك غـــدامس وغات بليبيا.

ويعتبر قصر تيط بإقليم تيديكلت نقطة عبور القوافل القادمة مـــن رقان والمتوجهة شرقاً إلى عين صالح، أما قصر العرب فهو مركز عبـــور لتجارة الشمال والجنوب الشرقي والجنوب وتعتـــبر قبيلـــة أولاد زنـــان بتيديكلت من القبائل المشتغلة بالتجارة الصحراوية فهـــي تـــربي الإبـــل وتؤجرها لتجار السودان الغربي وفي نفس الوقت يعمل أفرادها مرشـــدين في القوافل المتوجهة إلى تمبكتو ومنطقة حاسي أودكار تتجمع قوافل عين صالح المتوجهة إلى السودان الغربي وبأقبلي تلتقي القوافل التجارية القادمة من توات فتعبر صحراء تنزروفت في مسلك واحد نظرا لطـــول الطريـــق المقدرة بحوالي سبعمائة كيلومترمن جهة ومن جهة أخرى بسبب قلة آبار المياه وعند اجتياز صحراء تنـــزروفت تدخل القوافل التجارية إلى تساليت يكون بإستطاعة القوافل أن تتفرع عبر مسالك فرعية يؤدي بعـــضها إلى معدن الملح بمنطقة الأزواد.

---

[01] **Sainte-Marie FLYE . «le commerce et l'agriculture au Touat». <u>Bulletin de la société de géographie de la province d'Oran,</u> t. 24, 1904, p. 349.**

يتخوف التجار من سطو قطاع الطرق مخافة كبيرة وهذا ما حدث لهم في عدة مرات منها ما تم بداية القرن العشرين وذلك في منطقة حاسي العز وحاسي وشن وخاصة لقافلة أولاد زياد التي فقدت كل شيء مما جعلهم لا يشاركون في قافلة السنة المقبلة لكن رغم هذا فإن القوافل التي قدمت مع بداية القرن العشرين رجعت بانطباع حسن رغم أنها لم تشارك بأعداد كبيرة من الجمال أما في السنة المقبلة فكانت قوافل جريفيل أكثر عدداً من قوافل تنجورارين بسبب الإجراءات الأمنية التي اتخذتها السلطات الاستعمارية لحماية القوافل من قطاع الطرق ومن بين أكبر القوافل التي تصل إلى المنطقة هي قوافل حميان.

مسالك تيدكلت:

معابر تؤدي إلى خارج تيدكلت:

تشكل عقدة مواصلات رئيسية في الصحراء ما بين الأزواد والجزائر الشمالية وهذا ما أكسب معابرها أهمية خاصة في المواصلات التجارية نحو تمبكتو وصولا إلى حاسي المنقار التي تقطع هضبة تادمايت إلى عين قطارة ومن فقارة الزوى هناك مسلك يؤدي نحو فارس أم الليل ثم المنجعة ومن عين صالح تستطيع الذهاب إلى المنيعة أو قورارة وتتجه نحو أفليس إذا كنت تريد أن تخرج من عين صالح فسر بساهله التحتانية وتوجه إلى مليانة ثم تصعد إلى هضبة تادمايت لتصل إلى المنيعة أو قورارة.

وعندما تخرج من إنغر تسير في وادي سوف ثم تلتحق بهضبة تادمايت، من أولف يوجد مسلك يؤدي إلى مطروين وعين بلبال ثم بعدها تصل إلى توات ومن الأفضل أن تأخذ المسلك الغربي مروراً على حسيان قور ثم أولاد يحيا، وعين شبي للوصول إلى لحنت ثم أدرار وتمبكتو.

ومن عين صالح إلى حاسي لخنيق ثم الهقار من فقارة العرب إلى وادي بطحا إلى أن تصل منه إلى أمقار أو باتجاه الشرق إلى أمقيد ثم إلى بلدان أجرجير. وحتى تأخذ فكرة عن المسافات بين الحواضر الصحراوية وبالضبط ما بين عين صالح عاصمة إقليم تيدكلت وباقي المناطف الأخرى نبين ذلك من خلال الجدول[01] الموالي:

من عين صالح إلى	الطريق	المسافة المقدرة
عين صالح –أدرار	عن طريق عين بلبال	290 كلم
عين صالح – تيميمون	عن طريق أقلزي	340 كلم
عين صالح – المنيعة	عن طريق عين قطارة	480 كلم
عين صالح – ورقلة	عن طريق حاسي بنغل	640 كلم
عين صالح – الجزائر	عن طريق لمنيعة غرداية	1230 كلم

(01) Voinot, op. cit., p. 215

عين صالح – قابس	عن طريق ورقلة	1170 كلم
عين صالح – أمقيد	عن طريق خنقة لحديد	350 كلم
عين صالح – تمنراست	مروراً بعين أمجل	620 كلم
عين صالح – تماسو	مروراً بعين زبرة	720 كلم
عين صالح – تاودين	مروراً بتاوريرت	850 كلم
عين صالح – تمبكتو	مروراً بأروان	1350 كلم
عين صالح – أقادز	مروراً بتمنراست	1400 كلم

و من أهم المسالك الفرعية والداخلية بإقليم تيدكلت[01]:

- من فقارة الزوى إلى فقارة العرب تتجه إلى مقر مولاي هيبة، مروراً ببساتين مولاي هيبة سالكاً الرق إلى الغابة لتصل لقصر فقارة العرب على مسافة **20**كلم.

- من فقارة الزوى إلى اقسطن بعد مغادرة الزاوية تقطع البساتين لتخرج في الرق إلى أقسطن المسافة **24**كلم.

---

[01] **Ibid., p. 216**

- أقسطن عين صالح بعد الخروج من غون تمر في وسط زبّار تدخل في عرق سيدي موسى لتصل إلى قصر باجودا ثم القصر الكبير المسافة 11كلم .

مع العلم أن إقليم تينجورارين إرتبط من الناحية الشمالية بمنطقة البيض والمشرية وعين الصفراء ويتجلى دلك في القوافل المترددة على هذا الإقليم والتي نذكر منها:

1- قافلة المشرية: تعتبر من القوافل الهامة التي تأتي إلى إقليم تنجورارين وهذا بسبب توفر المرعى أثناء الطريق مما يجعلها تقطع المسافة بين المشرية وتنجورارين دون الحاجة إلى علف الحيوانات إلا أن الماء المتوفر غير صالح نسبيا نظرا لملوحته أما عن مشاق السفرفتتمثل في موت الإبل والظروف الطبيعية ففي مطلع القرن العشرين نجد قافلة المشرية فقدت مئة وسبعة وخمسين جملاً[01]. وفي السنة الموالية فقدوا سبعة جمال وبدخول قافلة المشرية إلى تينجورارين فإن التجار يسترجعون قوتهم الصحية أما إبلهم فتجد المرعى والماء الكافي طيلة وجودها بإقليم تينجورارين.

وفي العادة فإن قافلة المشرية اثناء وصولها إلى تينجورارين تبدأ في عملية المقايضة مع السكان أما فريق آخر فإنهم يعتنون بالجمال المتضررة التي أصابها العياء ليحصلوا على مبالغ مالية تعادل ثلث سعر الجمل وفيما

---

(01) "Les caravanes du sud oranais en 1905-1906". Bulletin de la société de géographie de la Province d'Oran, 1906, p.166.

يلي عرض مع شيء من التفصيل عن سير القوافل وأهم ما تتشكل منه القوافل من سلع وعروض تجارية.

سكان إقليم المشرية قافلتهم التي جاؤا بها لم تأت بالنتيجة المطلوبة فكثير من الأهالي لم يحصلوا على المواد التي يريدونها بالمقايضة في تينجورارين ، فالحبوب بإقليم المشرية ثمنها مرتفع أما التمور بواحات تينجورارين فإنتاجها قليل بل إن إنتاج تافيلالت كان متوفراً وبأسعار مشجعة رغم هذه المشاكل فإن حميان وافقوا على توجههم إلى واحات تنجورارين[01]، ورغم ذلك فإن بعض القبائل كقبيلة بني مطراف قد تراجعوا عن الذهاب والمشاركة في القافلة المتوجهة إلى تنجورارين في حين أن قبيلة أولاد منصورة الذين أرسلوا في السنة الماضية ستمائة جمل إقتصروا في هذه السنة على مائتين وعشرين جملا فقط أما البكاكرة فقد ضاعفوا العدد على ماكان عليه سنة **1322**هـ - **1904**م ومهما كان السبب فإن حميان قد وصلوا إلى خمسمائة وثمانية وستين رجلا وثلاثة آلاف وتسعة وتسعين جمل والجدول[02] الآتي يبين التشكيلة لهذه القافلة.

---

[01] Caravanes du sud oranais, op. cit., p 147.

[02] Ibid., p. 148.

القبائل	رجال	نساء	أولاد	أحصنة	جمال
أولاد منصورة	35	2	5	2	220
أقربة	32	1	0	2	150
بني مطـــارف	3	0	0	2	5
بكـــاكرة	80	22	10	2	506
أولاد فـــارس	40	8	3	3	180
مغولية	50	6	3	2	230
أولاد ســـرور	49	7	0	2	275
سيـــــدل	30	4	0	2	140
أولاد تـــومي	46	18	5	1	296
مقـــــان	50	10	10	1	235
فـــــراحدة	28	4	2	1	165
أولاد مبـــارك	20	3	2	1	70
أولاد أحـــمد	13	0	0	1	80
أولاد مسعود	10	12	6	1	204
مخازن	35	7	4	1	235
مخازن الشفعة	15	1	1	1	108
المجموع	**568**	**105**	**51**	**25**	**3099**

وبهذا تمتاز فقافلة المشرية بالتنوع العددي وكثرة المشاركين من القبائل المختلفة التي وصلت إلى ستة عشر قبيلة أكبرهم من حيث عدد الأفراد البكاكرة الذين ساهموا بثمانين فرداً وأقلهم عددا قبيلة بن مطراف.

2 - قافلة البيض:

تجتمع في مكان يعرف بالحاسي القافلة الأولى وتتكون من مجموعتين الفرقة الأولى اجتمعت في لبيض سيد الشيخ تتشكل من قبيلة طرافي **Trafi** واولاد زياد الغرابة وسكان لبيض سيد الشيخ وقبائل مستقلة لاولاد سيد الشيخ. وانطلقت بعد ذلك بقيادة السيد محمد ولد عبو عزة من أولاد سرور يتجه إلى بنود وحاسي بلماحي وتصل إلى منطقة بها بئران بعمق خمسة عشر مترا ويمتازان بوفرة المياه ثم تنطلق بعد الإستراحة إلى حاسي بن حنيش عن طريق رأس المجارف وضاية الغزلان حيث تصل إلى بئر عمقه إثنا عشر مترا ويمتاز هذا المسلك بوفرة الأعشاب ثم تستمر القافلة في سيرها إلى قصر سيدي منصور ثم منطقة تينجورارين حيث تصلها وفي طريقها تمرعلى أولاد عايش القصيبة وكذا قصر الحاج قلمان وهناك طريق آخر يقطع مابين وادي الناموس إلى الوادي الغربي دخل العرق ويمر على الحاسي الجديد ويصل إلى تينجورارين ويحط رحاله بقصر اولاد عيسى وأحيانا يتوجهون إلى قصور توات كقصر تيمي وتمنطيط.

بعد تحليلنا لهذا الجدول[01] يتبين لنا أن القافلة كانت مفتوحة من المشاركة على مختلف الأعمار وعلى الرجال والنساء والأطفال وهذا يبين لنا عمق العلاقة الاجتماعية ما بين إقليم تينجورارين ومنطقة البيض.

القبائل	رجال	نساء	أولاد	جمال	غنم	ماعز
أولاد زايد الغرابة	60	4	0	296	30	20
دراجة شراقة	37	2	0	140	50	15
دراجة غرابة	18	0	0	85	0	0
أولاد عبد الكريم	150	7	10	650	600	50
أولاد معالة	14	1	1	70	40	0
أولاد سرور	50	12	5	250	105	30
اقرابة	7	2	2	35	15	0
لبيض سيد الشيخ	40	0	0	140	65	10
اربوات	14	0	0	0 3	0	0
أولاد سيد الحاج	25	0	0	60	60	0
المجموع	**415**	**28**	**18**	**1756**	**965**	**125**

---

(01) **caravanes du sud oranais, op. cit., p 146.**

أما القافلة الثانية لمنطقة جريفيل فكانت تلتقي في منطقة السي الحاج الدين فبعد تجمعها تعين قائدا عليها يتولى تنظيم سيرها في الطريق فتصل إلى حاسي المر أين يوجد بها بئران عمقهما حوالي ثلاثين مترا ويمتازان بوفرة المياه إلا أنها تميل إلى الملوحة يسمى البئر الأول منها بقرن بنت بوعمامة ويقيمون بهذه البئر مدة معينة والبئر الثانية تسمى بحاسي لمحارزي وعمقه عشرون مترا وبعدها تصل القافلة إلى تبلكوزة وبعد أربعة أيام من السير تصل إلى تيميمون بعد أن مرت على بدريان ويستقرون بمنطقة تنجورارين قرابة الشهرنظرا لوفرة المرعى وفي طريق العودة يسلكون نفس المسلك الذي قدموا منه حيث ينطلقون من تنجورارين وبعد خمسة عشر يوماً يصلون إلى نقطة الإنطلاق.

القبائل	رجال	نساء	أولاد	جمال	غنم	ماعز
اولاد سيد الشيخ	78	05	340	90	10	00
اولاد سيد الحاج	74	00	405	50	20	00
اولادسيد الحاج بن عومر	15	00	40	30	05	00
اولاد مومن لغواط لكسل	52	05	22	40	00	00
اولاد عيسى لغواط لكسل	18	00	70	48	00	00
اولاد عمران لغواط لكسل	20	06	60	00	00	00
قرارج	25	02	104	70	10	00
بريزينا	20	00	50	45	07	00
المجموع	**302**	**18**	**1289**	**373**	**52**	**00**

من خلال الجدول[01] يتبين لنا أن أولاد سيد الشيخ يشكلون أكبر عدد في هذه القافلة حيث يبلغ عددهم ثمانية وسبعين رجل أمـا الأولاد فعددهم يصل إلى ثلاثمائة وأربعين ولداً مما يجعلنا نطرح عدة أسئلة عـن هذا العدد الهائل من الصبيان المشاركين في القافلة. قد تكون مشاركتهم بهدف التعود على السير في القوافل التجارية وتحبيب التجـارة إلـيهم أو بهدف زيارة هذه المناطق للإستفادة من علمائها.

إقامة القوافل التجارية سواء تينجورارين أو تيدكلت فإنهـا تقـام أسواق عديدة ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع.

– وقد كان يقود هذه القافلة سعيد ولد بلال من قبيلة أولاد فارس وقد وضع تحت تصرفه خمسة وعشرون مرشدا وكانت قافلة العمور قـد إجتمعت في أوقلات مع حميان وقد وصل العدد الإجمالي للرجال ثمانمائـة رجل وهذا بتاريخ 3 ديسمبر وانطلقت بعد ذلك بيوم[02].

3- قـافلة عين الصفـراء: وتمر عن وادي الناموس إلى أن تـصل إلى تنجورارين عن طريق قصر أولاد عيسى وتستفيد خـلال مرورهـا بمنطقة وادي الناموس من وفرة الكلأ والعشب لكن بداية مـن منطقـة زاوش إلى حاسي الحمري يقطعون العرق في مدة ستة أيام وعليه فـإنهم يحملون معهم الماء الضروري للرحلة وتدوم مدة التبادل التجاري خمـسة

---

(01) caravanes du sud oranais, op. cit., p 147.

(02) caravanes du sud oranais, op. cit., p 149.

وعشرين يوما تتاجر خلالها بقصور تينجورارين، أولاد عيسى، أجديرات، شروين، تسابيت أوقروت، دلدول، أولاد سعيد، جنتور، تاونزة، حيحة.

ولأخذ فكرة عن الأسعار المصدرة من تينجورارين تتمثل في التمور بصفة عامة وأشهرها الحميرة، تيناصر، تينوجل، تينهود، تقازة، آغمو، تنقور والقفة. فهذه هي أشهر أنواع التمور التي تصدر من تينجورارين إلى قوافل عين الصفراء والبيض والمشرية وهي تتفاوت في أسعارها، أغلاها هي تنقور وتينهود وهذا يعود إلى قلة عرضهما في السوق، ولكثرة الطلب عليهما في البيض. أما أرخصها فهي أغمو الذي يأتي ثمنه في نصف ثمن تينهود. أما أشهر التمور من حيث الشراء من طرف قوافل عين الصفراء والبيض والمشرية فهو نوع تيناصر.

أما المواد الاخرى التي تأتي في المرتبة الثانية وتطلبها القوافل فتتمثل في مزروعات المنطقة كالحنة والحار والصناعة التقليدية المصنوعة من سعف النخيل كالأطباق والقفف والمصنوعات النسيجية ولاخذ فكرة واضحة عن هذه المواد وأسعارها راجع جداول المواد المصدرة من تينجورارين بالملحق[01].

أما المواد التي يستوردها إقليم تينجورارين فهي الأغنام والقمح والشعير والصوف وتأتي في المرتبة الأولى الحبوب بصفة عامة، تليها اللحوم والمواد ذات الأستهلاك الواسع، كالفول والسكر والقهوة

---

[01] المواد المصدرة من تينجورارين. الملحق ص. 360.

والصابون والزيت وتأتي هذه المواد في المرتبة الثانية من حيث إستهلاكها ولأخذ فكرة واضحة عن هذه المواد إرجع إلى الملحق[01].

وعند تحليلنا للمواد المصدرة من تينجورارين إلى المشرية وعين الصفراء والبيض والمواد المستوردة من هذه الاقاليم على أساس التبادل الناتج عن توفر هذه السلع.من تحليل الجدول الخاص بالمواد المصدرة من تنجورارين والمواد المستوردة على أساس التبادل الناتج عن توفر هذه السلع المصدرة في تنجورارين نظراً لطبيعة المنطقة وذلك لكون هذه المواد تحتاج إلى مناخ صحراوي كإنتاج التمور أما المواد المستوردة إلى تنجورارين فإن الظروف المناخية لا تسمح لها ولا يمكنها أن تتوفر في تنجورارين وبالتالي فإن العملية التجارية بأكملها تمثل تكامل اقتصادي بين الشمال والجنوب وهو ما خلق مناخ خصب لتكوين القوافل التجارية لإتمام عملية التبادل، من جهة والحصول على الفوائد من جهة أخرى وهو ما يتضح من الأمثلة الموضحة بالجداول السالفة الذكر.

فمثلا عندما تنطلق القافلة من المشرية او عين الصفراء أو البيض محملة بالمواد المستوردة إلى تنجورارين فإنها تحقق فائدة تسمى فائدة الذهاب من الشمال إلى تنجورارين في الجنوب وعند العودة تحقق فائدة تسمى بفائدة العودة من تنجورارين إلى المشرية او عين الصفراء أو البيض والجمع بين الفائدتين ينتج عنه نتيجة إجمالية صافية بعد طرح الخسائر.

---

[01] المواد المستوردة إلى تينجورارين. الملحق ص. 361.

من خلال الجدولين يتبين الفرق في أسعار المواد الغذائية ما بين عين الصفراء وتنجورارين حيث يتضح أن هذا الأخير يكون كبير في بعض المواد وضعيف في مواد أخرى وهذا حسب نوع المادة واستهلاك المنطقة لها (**تعرف الإنسان إذا عرفت ما يأكل**) حيث أن المواد التي تتوفر بنسب معينة في تنجورارين يكون الفرق ضعيفاً.

الفرق في سعر القهوة كبير وذلك نظراً لعدم توفر هذه المادة بتنجورارين نظراً لبعد المسافة عن منطقة استيرادها.

أما عن الأوزان فكانت تستعمل أدوات متعارف عليها في الكيل والقياس والوزن بإقليمي توات والأزواد وهي:

أدوت الكيل:

المد: المقدر بحفنة باليدين المتوسطتين يستعمله التجار والعامة عند كيل المواد الجافّة كالتمر والحبوب يكثر استعماله عند إخراج زكاة الفطر صبيحة عيد الفطر.

الصّاع: أو الرابعة تساوي أربعة أضعاف المد.

القصعة: تستعمل بإقليم توات وتعادل **2.5** كيلو غراماً فقد تزيد أو نقص مابين منطقة أو أخرى.

المزود: جلد من الغنم أو البقر يعادل خمسين أو ثمانين كيلو غراماً حسب المادة.

الحمل: يعادل ستين صاعا[01].

العملة: العملة هي مقياس لكل تعامل مالي سواء على المستوي المحلي أو الخارجي كما أن لها مدلول حضاري لا يمكن إهماله فهي تعطي الصورة الصادقة بتطور المجتمعات وتعكس الدور الاجتماعي في مدى تداولها والتعامل بها فالعملة التي كانت متداولة محلياً هي العملة التي كانت تضرب بدار النقود التي تعرف بدار السكة[02].

للحديث عن العملة المحلية لإقليمي توات والأزواد نجد هذا الإقليم قد انتشرت به العملة الجزائرية التي كانت في شكل مستدير وكانت تتكون هذه العملة من مزج المعادن والسبائك الذهبية والفضية إلا أن الفضة كانت أكثر المعادن طلباً التي يتم استيرادها من مناطق أخرى[03].

وقد انقسمت العملة الجزائرية إلى نقود ذهبية وتشمل السكة ونصف السكة وربع السكة والسلطان أما النقود الفضية فهي البوجو وربع بوجو وزوج بوجو والموزونة وزوج موزونة الريال ونصف بدقة شيك والصائمة بالإضافة إلى النقود النحاسية المتمثلة في خربة وغرامس صغار وزوج غرامس صغار ودراهم صغار ومن خلال هذا يتبين أن النقود كانت عبارة عن معادن ثمينة عندما يتطلب الأمر ذلك وبتعرض

---

[01] مقابلة مع السيد مزاولي سالم زاوية كنتة بتاريخ 1993/01/20.

[02] ناصر الدين سعيدوني النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792 – 1830) الطبعة 2 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ص. 189.

[03] نفس المرجع ص. 194.

المنطقة إلى الاحتلال فرض عليها الفرنك الفرنسي كأساس للتعامل بالإضافة إلى النقود المغربية المتمثلة في البندقي والعشراوي ونصف البندقي ونصف والعشراوي والمثقال والموزونة والفلس والدرهم[01] علماً وأن هذه النقود كانت تميل إلى الشكل المستدير تماشياً مع مصكوكات الخلافة العثمانية[02].

أدوات القياس:

الذراع: وهو وحدة الطول ويحدد الذراع مابين المرفق ونهاية الوسطى ويساوي خمسين سنتمتراً في المتوسط وتماثله القامة التي يتراوح طولها من **0.47-0.55** سنتيم فكل سبع وعشرين قالة يسمّونها بالأزواد سابو رصو وكل أربعين قالة يطلقون عليها باهسينا أو بيصة وكل ستين قالة تعرف بتون وكل خمس وستين قالة تسمى بسطارورة[03].

القامة: فهي طول الرجل التوسط وتساوي في العادة **1.70**سنتيم.

الشبر:وهو المسافة بين الخنصر والإبهام عندما تكون اليد اليمنى مفتوحة وهو يعادل **21.5**سم.

الفتر: وهو المسافة بين السبابة والإبهام في حالة انفتاح اليد اليمنى ويساوي **17**سم

---

[01] **Rene Le Clerc (R) Le Commerce De L'industrie à Faz, Paris 1905, P. 128 – 129.**

[02] حسن حسني عبد الوهاب:ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، المنار تونس **1956**م المجلد الأول ص. **465-466**.

[03] **HACQUARD, op.cit., p. 56.**

القدم: لقياس الأرض وتحسب قدما بعد أخرى ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال.

الحبل: لقياس الأرض أيضا وطوله **10** أمتار.

الميل: مسافة **1920** متر[01]

الفرسخ : تعادل ثلاثة أميال.

البريد : ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحَصان.

الحبة: وحدة لقياس الماء عبارة عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهام طولها تسعة مليمتر يمر بها في الدقيقة ثلاثة لترات من الماء[02].

أما الوزن فقد اهتموا به في الأشياء الثمينة كالفضة والذهب التي توزن بميزان صغير وقبل الوزن يجربون الميزان بحبوب من القمح ومن النادر أن يجد الفرد الأوزان بصروفها وهي جميعها من أحجار مختلفة ليست مؤشرة من طرف سلطة لكن مراقبة من قبل وجهاء المدينة.

---

[01] **MONTEIL, op. cit. p. 282.**

[02] **Monteil, op. cit. p. 283.**

أدوات الوزن:

الأوقية : تعادل في المتوسط **27.5** غرام.

الرطل: يساوي في الغالب **500** غرام.[01]

أوزان الذهب بتمبكتو

- تتخذ الأوزان الدقيقة التي كانت تستعمل في وزن مسحوق الـذهب أشكالاً ومعايير متباينة وهي الحقيقة أجزاء من المثقال الذي كان يعادل **4** جرامات وقد حملت تلك الأوزان أسماء سودانية محلية وهـي البـاني والصود والثلث والدياري والعروبو والعروباس ونذكر فيما يلي ما تعادله تلك المسميات بالقياس إلى المثقال:

الصودو	= **4**باني	= سدس مثقال.
العروبو	= **6** باني	= ربع مثقال عادي مدموغ.
الثلث	= **8** باني	= ثلث مثقال عادي مدموغ.
مثقال الدياري	= **12** باني	= نصف مثقال عادي

---

[01] **Heinrich Barth, op. cit. p. 101.**

مدموغ.

مثقال العرباسي = 18 باني = 75 ربع المثقال

فقد كانت تتم عملية المقايضة والبيع والشراء عبر أسواق محلية ومراكز تجارية هي:

الأسواق المحلية: وهي التي يرتادها سكان القرية التي توجد فيها السوق المحلية عندهم وفي الغالب يوجد فيها بعض الدكاكين البسيطة أما معظم البضائع فكانت تعرض في العراء كما يتبادل فيها البضائع الرخيصة الأثمان ويعقد سوقها أسبوعياً فيكثر فيه الناس بعض الشيء عن الأيام الأخرى وكذلك تتضاعف كميات البضائع بهذه الأسواق[01].

الأسواق الجهوية: حيث تتواجد المراكز الحكومية في الأقاليم وكانت تصلها جماعات التجار من خارج المنطقة الموجودة بها كما كانت توجد فيها بضائع أكثر كمية وتنوعاً منها في الأسواق المحلية كما يمارس فيها التبادل بين المنتجات الجهوية والمحلية والخارجية[02].

الأسواق الكبرى: وأغلبها كان يقع في شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير مع الخارج وفيها يتم عقد الصفقات الكبيرة بين التجار الموسرين ويقصد هذه الأسواق التجار من جميع

---

(01) تجول مونفوا بارك في تلك البلاد خلال عام 1799 وقال أنه في هذه الأسواق لا تزيد أثمان كل ما فيها من البضائع عن 20 فرنكاً ذهبياً أما في اليوم الأسبوعي فقد تصل إلى ما يعادل 300 فرنك ذهبي.

(02) الحسن بن محمد الوزان(ليون الأفريقي). وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمان حميدة. الرياض: د.ن. ، 1399هـ، ص. 42.

الجهات وكانت أهم هذه الأسواق في تمبكتو – جني – غاو –[01] توات – قورارة – تيدكلت.

وتعتبر توات مركز إنعاش لتجارة القوافل إذ تقع في واحة غنية وتزود التجار بالغذاء والماء العذب وتوفر الكلأ للدواب كما يتم بها تغيير الجمال والأدلاء وغالباً ما يقوم تجار السودان وتجار الساحل الشمالي بعرض سلعهم بها.

المراكز التجارية: إن التجارة في الصحراء لم تكن تخضع لإجراءات الحدود من التفتيش والتعريفة الجمركية فإن التاجر يواجه المخاطر في طريقه بما في ذلك خطر السطو والنهب فالقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة وهي مضطرة لسلوك طرق معينة تقع على جنباتها ونقاط المياه وهذا الاعتبار يسهل كثيراً مهمة قطاع الطريق والقبائل التي تعيش على السلب والنهب، على ان الطرق التجارية كانت تتمتع عادة بحماية فعالة من بعض القبائل التي يهمها استمرار تيار التبادل التجاري الذي يمدها بما تحتاج اليه منتجات الخارج بل إن حالة الأمن في الطرق التجارية بلغت في بعض المناطق درجة قال معها المستكشف ديفير لي أنه حينما يعجز الجمل عن حمل عبئه يودع التاجر ذلك الجمل على حافة الطريق وهو واثق من أنه سيجده في مكانه عند عودته من رحلته ولو استغرقت عاماً كاملاً وكبار التجار يحصلون على ضمانات للأمن

---

[01] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص. 196.

بعدما يدفعون اتاوى مهمة لقبائل الرحل[01] وفي مختلف أطراف الصحراء توجد مراكز عمرانية كثيرة لها أهميتها التجارية وأشهر المراكز التجارية بالإقليمين:

مركز جني: كانت مركزاً تجارياً هاماً واشتهر بتجارتي الملح والذهب وقد تأسست في القرن الثالث هجري[02] وهي من مراكز السودان الغربي التجارية الهامة وازدهرت في عهد سلطنتي مالي وسنغي، ولجني مركز استراتيجي إذ تقع بمنطقة محاطة بالمياه فأمنها ذلك الموقع الفريد من إغارات المعتدين وجعل أهلها يعيشون في طمأنينة هيأت لهم الجو للازدهار الاقتصادي وتستخدم القوارب في نقل الملح من تمبكتو إلى جني كما تحمل بالذهب والرقيق أثناء عودتها إلى تمبكتو وبذا غدت جني همزة الوصل بين تجارة الذهب والملح وعن طريقها وصلت تجارة إفريقيا الشمالية إلى إقليم الغابات.

مركز أروان: وهي محطة هامة للقوافل القادمة من بلاد المغرب أو المتجهة إليها ومحطة إنعاش هذه القوافل، إذ تقوم بنفس الدور الذي تقوم به توات في الشمال فمنها يتمكن التجار من التزود بالمواد التجارية والماء العذب والكلأ لحيواناتهم كما يأخذون قسطهم من الراحة، ويتم تبادل منتجات السودان وبضائع المغرب في سوق أروان بين القوافل التي تحمل الذهب من الجنوب والقوافل التي تأتي من غدامس وتوات وتندوف.

---

(01) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص49.

(02) أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص. 389.

مركز جاو: حوّل السنغي مدينة جاو[01] إلى عاصمة لهم بعد أن قضوا الفترة الأولى من حكمهم فى عاصمتهم الأولى كوكيا وقد جاء الاهتمام بجاو لقربها من منطقة كورماوعلى الرغم من كبر مساحة المدينة واتساع أحياءها وكثرة سكانها فإنها لم تبلغ ما بلغته تمبكتو وجنى رفاهية وتقدم عمران[02] وكانت جاو تعج بالعديد من المتاجر التي يشرف عليها تجار من جميع الأجناس وبها تجار أثرياء وترد إليها الأقمشة من المغرب وأروبا كما يوجد بالمدينة سوق للرقيق ينتعش عند قدوم التجار وسكانها تجار متجولون في المنطقة مع بضائعهم ويقصدها عدد لا يحصى من السود الذين يجلبون كميات كبيرة من الذهب ليشتروا بها بضائع مجلوبة من أروبا ومن شمال إفريقيا[03].

مركز تمبكتو:

تقع بمكان استراتيجي فهي ملتقى الطرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء كما تحظى بموقعها النهري على نهر النيجر المطل على المحيط الأطلسي وبذلك تكون البلدة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية النهرية التي تفد إليها من مصر والمغرب وطرابلس عن طريق الصحراء ومن أوروبا عن طريق المحيط ثم النهر وقد أطلق عليها

---

(01) يطلق عليها بعض المؤرخين السودانيين اسم كاغو أوكاغ وأطلق المغاربة عليها اسم غاو. وكاغواواغو.

(02) نقولا زيادة. المغرب والسودان في أيام المنصور الذهبي. بيروت: د.ن.، 1967.

(03) الحسن بن الوزان، المصدر السابق، ص. 545.

الأوروبيون المدينة عزيزة المنال غامضة الأسرار لا تجاوزها في تراثها وجمالها أي بلد إفريقي آخر في ذهبها أو ملحها وقد وصفها أبناؤها أيضاً بأنها خير البلاد أعظمها ولا نظير لها تعيش في حركة دائبة وحرية وهي من أعظم بلاد الله أمناً ورفاهية[01].

مركز توات: تعتبر توات من المراكز التجارية الهامة وقد أشاد ابن خلدون بعمرانها مما يؤكد أنها كانت مزدهرة في عهد سلطنة مالي ويقول ابن خلدون عنها "**فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سلجماسة وتسمى وطن توات، وفيها قصور متعددة تناهز المئتين آخذة من الغرب إلى الشرق**"[02] وواصلت توات نشاطها التجاري في عهد السنغي وذكرها المغيلي وكانت أرضها خصبة لزراعة الحبوب والشعير ويزرعون بها قصب السكر بكميات وفيرة تكفي حاجتهم ويصدرون الباقي لتجار المغرب كما يوجد التمر ولا يستعملون أية عملة سوى الذهب،[03] وحتى نعطي فكرة واضحة عن المعاملة التي كانت تجري بين التجار وسكان إقليم توات بنظام المقايضة بالمقايضة وهي الطريقة الأكثر تداولا حسب القاعدة التالية:

حمولة واحدة من القمح تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة.

---

[01] **Félix Dubois, op. cit. p. 223 224 et Heinrich Barth. Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale, t. 4, Paris: Bahne, 1881, p. 284.**

[02] ابن خلدون. المقدمة ج6، ص.117 – 118.

[03] الحسن بن الوزان، المصدر السابق، ص. 250.

حمولة واحدة من الشعير تعادل خمسة عشر حمولة من تمر الحشف واثنتين من تمر الحميرة.

واحد كيلو غرام من القمح يعادل خمسة كيلو غرامات من الفلفل الحار.

حمولة واحدة من الفول تعادل خمس حمولات من تمر الحميرة أو ست حمولات من تمر تناصر.

حمولتان من اللحوم الجافة تعادل خمس حمولات حميرة أو ستة من تمر تناصر.

رأس واحد من الغنم يساوي حمولة واحدة من تمر الحميرة.

عشر جزات من الصوف تعادل حمولة من تمر تناصر.

ومن المشرية نجد أولاد منصورة وأقرمة وابكاكرة وأولاد فارس وأولاد سرور وأولاد تومي والفراهدة واولاد مسعود، يقصدون بقوافلهم قصر تسابيت وهم محملين بالقمح والشعير والصوف والزبدة والشحم واللحوم الجافة. بالإضافة إلى الفول والصابون والزيت والسكر والقهوة ليعودوا من توات محملون بالتمور أشهرها الحميرة وتيناصر وتينهود وتقازة وأغمو وتينقور[01].

ومن القبائل المشتغلة بالتجارة بإقليم توات قبيلة أولاد زنان الذين يربون الإبل يؤجرونها للتجار وفي نفس الوقت يعمل أفرادها كمرشدين في القوافل المتوجهة إلى خارج إقليم توات.

مما سبق يتضح لنا أن النشاط الحرفي بمنطقتي توات والأزواد ظل مرتبطا بالمواد الأولية المتوفرة وهذا ما ساعد بظهور صناعات محلية مرتبطة

---

(01) **Les Caravanes du Sud Oranais, op. cit. p.152.**

بها مثل صياغة الفضة التي تفنن في صنع أدوات الزينة التي طبعها بطابع محلي خاص وأصبحت تمثل منطقة بعينها ونفس الظاهرة الخاصة يمكن أن نسقطها على سائر الحرف من صناعة للسعف وصهر للحديد وسبك للذهب ونجارة للخشب فكانت هذه المواد تمثل متنفسا لهؤلاء الحرفيين أسقطوا فيها بعدهم الجمالي والفني الذي تزخر به الصحراء عموما والأزواد خصوصا كما أبرزوا من خلالها مواهبهم الفطرية وإلهاماتهم الخيالية.

أما الصحراء فإنها لم تقف عائقاً أمامهم وإنما ربطوا بين بعضها البعض بشبكة من المسالك المختلفة التي تؤدي إلى عدة مناطق من نهر النيجر جنوبا إلى توات وسطا وإلى البحر المتوسط شمالا وبالإقليم الواحد وضعوا عدة مسالك قريبة تربط ما بين القصور العديدة بمسافات مختلفة قصيرة ووظفوا لذلك سائر الحيوانات من جمال وبغال وحمير لنقل سلعهم ولعل معابر تينجورارين وتوات وتديكلت لأصدق شاهد على عبقرية سكان الصحراء في اختيار مسالكهم.

فالمسالك المعروفة ما بين الأقاليم أدت إلى بروز ظاهرة القوافل الكبرى التي تشترك فيها عدة قبائل فأصبح إقليم توات والأزواد يعرف رواجا بالتجارة فالقوافل تأتي من المشرية وعين الصفراء محملة بمختلف السلع من قمح وسكر وشعير ومواد عديدة ذات استهلاك واسع لتعود بعد ذلك محملة بمختلف أنواع التمور التي على رأسها الحميرة وتناصر.

وعند وصول القوافل التجارية إلى النقاط المخصصة لها للتبادل التجاري فإنها تقيم أسواق محلية كبرى تستعمل فيها وسائل لقياس مختلف الأقمشة والسلع التي تحتاج إلى القياس كالذراع وأهم وحدات القياس الذراع والقامة والمزود ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأ التجار يتخلون عن أسلوب المقايضة التي كان متعارفا عليها وبدأو الدخول إلى عالم الصرف والنقد.

ومع منتصف القرن التاسع عشر عرفت التجارة بين إقليمي توات والأزواد تراجعا من حيث النشاط وهذا فيما يتعلق بالسلع التجارية التي قل عليها الطلب كالأقمشة والعبيد، وهناك سلع افتقدت بسبب ندرتها في مواطنها الاصلية بالإضافة إلى إنعدام الأمن وفرض الضرائب على سكان تمبكتو من طرف حكومة ماسينا مع تحول التجارة من مسالكها القديمة إلى المحيط الأطلسي وتراجع التجار وظهور وسائل حديثة سيطرت على التجارة التقليدية مما أدى إلى تغيير المسالك الصحراوية بمسالك حديثة تحكمت فيها الشاحنة والسيارة وتحولت تيمبكتو واروان وبوجبيه وأقبلي وتبلكوزة إلى أماكن معزولة ومهملة. فقد وصف توتان سنة **1302هـ-1885**م بقوله أنها مدينة محطمة ومنهارة من الناحية الإقتصادية[01].

---

[01] **Toutin, "Tombouctou", la nouvelle revue, T.32, Janvier, Février 1885, p.633**

الفصل الرابع:
الحياة الروحية بتوات والأزاود

لقد مر التصوف بعدة مراحل ابتداء من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، ويمكن أن نلخصها على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وقد بدأت هذه المرحلة باعتراف رجال الصوفية بوجود طريق محدد إلى الله سبحانه وتعالى، ويتطلب هذا الطريق الصلاة والدعاء، وذكر أسماء الله الحسنى. وتعد هذه المرحلة بمثابة العصر الذهبي، لأنها اقتصرت على الشيخ وتلامذته، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر دون أن يؤسسوا نظاما معيناً.

المرحلة الثانية: وهي التي اتسع فيها نطاق التصوف نظرا لانتشار الإسلام شرقا وغربا وازدياد نشاط الطرق الصوفية، وظهر عدد من العلماء البارزين أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبو حامد الغزالي، وقد اتسمت هذه المرحلة بتطوير نظام التدريس في الطرق الصوفية، وظهور أنماط جديدة من الطرق الجماعية لإغراء الناس على قبول الطرق.

المرحلة الثالثة: تشهد هذه المرحلة توسعا في المجال الروحي لمشاهير الصوفية بتنظيماتها الحالية، وانتشار الطرق بشكل أوسع، وتحويل الولاء

لشيخ الطريقة، وقد ازداد عدد الطرق وأزداد نشاط الطــرق في القـــرن السادس عشر كرد فعل للاستعمار الأوروبي، ومحاولات تطويق المسلمين وطردهم من ديارهم والصراع الذي دار بين الطرفين على سواحل أفريقيا الشمالية وغربها.

لقد أصبحت الصوفية تمثل نشوة دينية أتخذ منها المجاهدون في الدين الإسلامي وسيلة للتقرب إلى الله، واللجــوء إليــه لمواجهـــة الأخطـــار الاستعمارية التي أحاطت بديار الإسلام.

تقوم الحياة الروحية بمنطقة توات و الأزواد على حركة التـــصوف التي نشرتها الطرق الصوفية هذا و أن التصوف[01] عبارة عن مذهب منظم

---

[01] أما رجال الطرق الصوفية انقسموا حول أنفسهم حول أصل كلمة التصوف فمنهم مــن قـــال: إن الصوفية اسم مشتق من الصوف بوصفه اللباس الغالب على هؤلاء المتصوفة وأنه اسم قديم وجد قبل ظهور الإسلام، ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من دار الصفة وهي الصومعة التي يأوي إليها جماعـــة من فقراء المسلمين للاعتكاف والعبادة وكان الناس يقدمون لهم ما يتصدقون به عليهم مـــن الطعـــام والمال، وهذه الجماعة أمرها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن تهجر الصومعة فلا تأوي إليها ولا تعتكف فيها ثم قال كلمته المشهورة لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقـــني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، ولا يوجد لهذا الاسم في العربية مثيل لا من ناحية القياس ولا الاشتقاق والظاهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه لكن القوم لا يختصوا بلبس الصوف، ومن قال أنهـــم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في معنى اللغة العربية و من قال: أنه مشتق من الصف فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسمة إلى الصف ،ثم أن هذه الطائفة أكبر من أن يحتاج إلى قياس لفظ أو اشتقاق».

أنظر: ابو الوفا الغنيمي التفتزان. الطرق الصوفية في مصر، مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعـــة القاهرة، **1968**، ص **56**=

يشير إلى مراتب صوفية مختلفة ويدل على الحقيقة في محاولة لمحاسبة النفس على الأفعال وفهم الآداب خاصة به، وقد مر التصوف الإسلامي بعدة مراحل حيث كان أوله زهداً في الدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عز وجل ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة ثم تحول إلى الحاد وخروج عن دين الله وقد عبر عن هذا التحول أحد كبار الصوفية(01) حيث قال «**كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات**»، وقد تشعبت الطرق الصوفية وأصبحت تنسب إلى أقطاب هذه الطرق وأهم الطرق الصوفية بإقليمي توات والأزواد الطريقة القادرية و الموساوية والشيخية و التيجانية.

أ) **الطريقة القادرية:** تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود بمدينة جيلان في مارس **470هـ-1077**م والذي جاء إلى بغداد عام **488هـ-1095**م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي، بعد وفاة أخيه أبي حامد

=وأبو حامد الغزالي. مختصر إحياء علوم الدين، تحقيق وتعليق شعبان محمد إسماعيل. القاهرة: د.ن.، 1978م ص7.

وأبو القاسم النيسابوري. الرسالة القشيرية في علم التصوف. – بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.، ص279-282.

(01) هو محمد بن موسى الواسطي من بلاد تركستان كان عالماً بالأصول دخل خراسان ومات بها عام 331هـ-942م انظر الرسالة القشيرية للنيسابوري، ص. 439.

الغزالي ويقال أنه لم يعتنق أي فكر صوفي حتى حضر إلى مدرسة أبي الخير حمد الدباسي المتوفي **526هـ-1131م** وقضى عبد القادر الجيلاني خمسة وعشرين عاماً يتجول في صحراء العراق وفي عـام **521هـ-1127م** عند ما كان قد جاوز الخمسين عاماً صار من أشهر العلماء في بغداد على الطريقة الحنبلية وكان يلبس لباس العلماء ولبس لباس المتصوفة ثم بنى مدرسة لنفسه عام **528هـ-1135م** اشـتهر بورعه وتقواه لكن لم ينضم أحد إلى طريقته طوال حياته وبعد وفاته بـدأ بعض الناس يسيرون على نهجه واستطاع أبناؤه نشر مذهب والدهم الذي يتسم بالولاء والإخلاص والطاعة والتواضـع وصـارت أوراد الطريقة القادرية تلقى قبولاً لدى عدد من الإتباع وأخذ تلامذته على عاتقهم نشر مذهبه في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي حيث انتـشر في القارة الإفريقية وعلى وجه خاص في شمالها فقد سيطرت الطريقـة الصوفية القادرية في مراكش على الحياة الدينية والاجتماعية خـلال القرون الموالية بعد دخولها[01]، وأصبح الشيخ علي الكنتي قطباً للطريقة

---

[01] أحمد شلبي. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء 6. ط. 4. د.م.: مكتبة النهضة، 1983 ص. 211.

انظر أيضا:

عبد القادر الجيلاني. سر الاسرار ومظهر الانوار، تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي ومحمد غسان نصوح عز قول. – دمشق : دار السنابل، 1994م.

عبد القادر الجيلاني. الفيوضات الربانية في الاثار والاوراد القادرية، جمع وترتيب الحاج اسماعيل بن محمد سعيد القاري. د.م.: مطبعة الباب الحلبي د. ت .

القادرية عندما انتقلت قبائل كنتة في القرن التاسع الهجري الخـــامس عشر ميلادي إلى واحات توات وحملوا معهم الطريقة القادريـــة وفي هذه الواحات انتشرت الطريقة القادرية في النصف الثاني في القـــرن الخامس عشر ميلادي وكان شيوخ الكنتة يزورون برنـــو يتبعـــون الطريقة القادرية[01].

وفي عام**957هـ-1550**م بدأت أفكار جديدة تؤثر علـــى الطريقـــة القادرية في وسط السودان وغربه، جاءت هذه الأفكار من الشرق عـــبر مصر وتركيا وظهر الشيخ الزروق الذي يعتبر من أهم رجال الطريقة في أغاديس ومن هذه المدينة انتقلت أفكار وآراء الشيخ الزروق إلى الـــشيخ المختار الكبير الذي ساعده بدوره على نقل تعاليم الصوفية القادرية إلى جماعة القولاني في بلاد الهوسا[02]، وانتقلت الطريقة بعد ذلك إلى منطقـــة النيجر حيث ساعد الفقيه محمد الأنصاري على نشرها وفي أوائل القـــرن **12هـ** الثامن عشر ميلادي أسس شيوخ الكنتة مدينة مبروك التي صارت مركزاً لنشر الطريقة القادرية وظهر بين جماعة الكنتة عـــدد كـــبير مـــن الفقهاء الذين صارت لهم الزعامة الدينية في القرن**13هـ-18**م وتوســـعوا

---

(01) عبد الرحمن بن خلدون. المقدمة ،ج. 1 الفصل 17 في علم التصوف ص 863-882.

(02) عبد الله عبد الرزاق ابراهيم. أضواء على الطريقة الصوفية في القارة الافريقية. د.م.: مكتبة مدبولي، 1990، ص 37.

خارج الحدود القبلية وظهر عدة شيوخ حملوا لواء الطريقة القادرية تعليماً وتأليفاً وممارسة[01].

فقد ظهر من أهل المنطقة مشائخ اتصفوا بالكمال من الناحية الدينية والروحية فحازوا على مراتب بين قبائلهم وأوكلت لهم مهمة الإشـــراف على الطريقة القادرية فنسقوا بين المريدين وأحيوا المناســـبات وأدخلـــوا الطريقة القادرية العديد من الأقطار فقد استطاعوا عن طريـــق تكـــوين (**مقدمين**)[02] مهمتهم نشر الطريقة حسبما جرت به العـــادة إذ يكلـــف المقدم وخليفته بالعمل مباشرة بعد ما يتسلم سجادة أو سبحة أو عكـــاز الشيخ الذي يأخذ عنه الورد[03] ولقد انقسم الشيوخ المرتبطون بالطريقـــة القادرية إلى قسمين: القسم الأول ويمثله ممن كان يحظى بسمعة كـــبيرة لدى العامة تنسب لهم كرامات وأقوال كانت محل تصديق الجميع وقـــد جمع أصحاب هدا الصنف بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى ولهذا نجدهم تركوا أعمالا جليلة في الدعوة للطريقة القادرية بالمناطق التي عاشوا

---

[01] أبو نصر السراج. كتاب اللمع للطوسي تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. القاهرة: د.ن، **1960**، ص**47**.

[02] المقدم في اصطلاح الصوفية يطلق على من ينوب صاحب الطريقة في منطقة من المناطق ويكون مـــن الشيوخ المعروفين بالعبادة وإخلاصهم للطريقة.انظر :

Xavier Coppolani, Octave Depont. Les confréries religieuses musulmanes. Alger: Adolphe Jourdan, 1897, p. 195.

- محمد بن عبد الله. الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني . د.م.: مطبوعات الحاج عبد الـــسلام، د.ت. ، ص **31**.

[03] الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي، المصدر السابق، ص**184**.

بها والمحاذية لهم مثل الشيخ مختار الكبير الذي عرف بعلمه وتآليفه العديدة في علوم الشريعة وتعمقه في الطريقة فقد ألف فيها كتاب اسماه الكوكب الوقاد ونظرا لأهميته في الطريقة قال فيه (**يجب أن يسمى بأسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى**) تناول في بداية مخطوطه أسس الطريقة القادرية ومؤسسها فذكر كرامات ومزايا ورده بالإضافة إلى فضل الأذكار وأهميتها في الحياة الدنيا والآخرة[01] وهذا وقد ترك الشيخ المختار الكبير العديد من التصانيف في الأذكار أبرز من خلالها مناهج التربية الصوفية السليمة كما يراها هو «**تلك المبنية على عنصر المحبة ويقسمها إلى قسمين رئيسيين: المحبة المفروضة وتتمل في امتثال الأوامر وعدم ارتكاب المعاصي وأي تقصير في الواجبات معناه الوقوع في المحرمات والتقصير في العبادات وعلى كل مبتدئ أن يوازن ما بين الناحيتين حتى يستطيع أن يدرك المحبة المفروضة والقسم الثاني المحبة المندوبة التي يصلها كل من حقق القسم الأول (المحبة المفروضة) وأعطاها جميع حقوقها عندها يدخل المريد في المرحلة الثانية من المحبة المرتكزة على القيام بالواجبات ثم النوافل والابتعاد عن المحرمات مع عدم الوقوع في الشبهات**»[02] ويعتبر الكنتيون أكثر شيوخ المنطقة إسهاماً في علم التصوف بصفة عامة وبالطريقة القادرية بصفة خاصة تجلى ذلك

---

[01] الشيخ المختار الكبير. – الكوكب الوقاد في فضائل المشائخ وحقائق الأوراد الخزانة العقباوية (مخطوط) أقبلي ص112.

[02] الشيخ المختار الكبير. الجرعة الصافية، مخطوط خزانة الشيخ باي بلعالم أولف ص16.

في رسائل وقصائد وكتب فللشيخ المختار الكبير قصيدة في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب[01] وإجازة في الورد ورسالة إلى أحد مريديه، ومثله الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير الذي ترك إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية ومخطوطاً في الأدعية والأذكار وقصيدة الإبتهال وجواباً على ثلاث مسائل في الورد القادري وقصيدة في الأدعية والتوسل وبهذا فقد تفاوتت هذه المصنفات[02] في محتوياتها وعدد صفحاتها إلا أن القاسم المشترك بينها إضافة تراث وإثراء هذه الطريقة العريقة المنتشرة في اقليم توات والأزواد.

والقسم الثاني من شيوخ الطريقة يندرج تحته صلحاء من الشيوخ الذين اشتهروا بالزهد في الحياة وكثرة الأذكار وخدمة العامة واشتهروا بالكرامات ومواقف خالدات واكتفوا بالعبادة والأوراد ولم يتركوا مؤلفات في ميدان الأدب أو الفقه وإنما خلدت أسماؤهم في الذاكرة الشعبية بتوات والأزواد نظراً لما اشتهروا به من أعمال خيرية خدموا بها للصالح العام وأفنوا حياتهم في الزهد وضحوا بأموالهم وأعمارهم في سبيل الإصلاح كإصلاح ذات البين وإعانة الفقراء والمحتاجين في الزوايا التي أسسوها وساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الخيري لكل المسلمين وأبناء السبيل وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة وزيارات سنوية يتوافد الناس القاصي والداني من أبناء منطقة الأزواد وتوات وهكذا نجد أضرحة هؤلاء

---

[01] الأحزاب مجموعة من الأذكار الراتبة شبهوها بحزب القرآن للمداومة عليها في أوقات معينة.

[02] انظر صورة لمخطوط الكوكب الوقاد الشيخ المختار الكبير.

الشيوخ وزياراتهم معروفة ومشتهرة من أكبرها زيارة الشيخ عبد القـــادر الجيلاني.

ومن أضرحة شيوخ هذه الطريقة نجد ضريح الشيخ المختار بن محمد بن عمر بلوافي بقرية (**الجديد**) ونجد في زاوية كنتة ضريح أحمد بن محمد الرقاد ونجد في أقبلي ضريح الشيخ أمحمد بونعامة وغيرهم كثير بين توات والأزواد.

ومن أهم مظاهر وأنشطة الطريقة القادرية الورد القادري ويتكـــون أساسا من عدد معين من الركعات يقرأ في أولها فاتحة الكتاب مع ســـورة معينة وبعد التسليم من الصلاة يقرأ آيات محددة من القرآن ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوا دعاء عاماً يخص في نهايتـــه مؤســـس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني[01] وعندها ينتهي الورد وأما كيفيـــة أدائه فإنهم يقرؤون في الركعة الأولى سورة الكوثر ستاً وفي الثانية سورة الكافرون ستاً وفي الثالثة سورة الإخلاص ستاً وفي الرابعة سورتي المعوذتين مرة وفي الخامسة (**آية الكرسي**) مرة وفي السادسة ﴿**لـــو أنزلنـــا هـــذا القرآن على جبل**﴾[02] مرة ويذكرون في السجود قوله تعالى﴿**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري**﴾[03] ثم يقول ﴿**اللهم إني أستودعك ديـــني**

---

[01] ماء العينين. فتح البدايات وتوصيف النهايات. القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت.، ص. 204.

[02] قرآن كريم سورة الحشر الآية 21.

[03] قرآن كريم سورة طه ص 25.

وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي كما سجل اتباع الطريقة القادرية ما حث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس في صلاة التسبيح أخبره أن مصليها يغفر له ذنبه صغيره وكبيره أوله وآخره وهي أن يصلي أربع ركعات في كل ركعة يقرأ الفاتحة وسورة ويقول بعد قراءة السورة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمسة عشر مرة وفي الركوع والرفع منه وبين السجدتين في كل ركعة عشرة ومن نسي بعض ذلك جاء به في الركن الذي بعده وإن شاء سلم من الركعتين وإن شاء لم يسلم وهذا هو المتبع﴾[01] هذا ومن مميزات الطريقة القادرية في المنطقة كانت تتحاشى ما كان شائعاً فتمنع رفع الأصوات عند الذكر الجماعي فتتم عملية الذكر عند التقاء المريدين بطريقة هادئة سواء كانت فردية أم جماعية تحت إشراف مقدم الطريقة[02]، وتفرعت الطريقة القادرية إلى الجنوب الغربي من القارة إلى شعبتين كبيرتين البكائية الكنتية والفاضلية غير أن ما يدخل في الإطار الجغرافي لدراستنا هو الشعبة الأولى أما الثانية فظهرت في منطقة شنقيط والسنغال[03].

---

[01] الشيخ باي الكنتي. النوازل. لخزانة زاوية الكنتاوي زاوية كنتة أدرار ص.831.

[02] الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير، الطرائف والتلائد المصدر السابق، ص.184.

[03] Alfred Le Chatelier. L'Islam dans l'Afrique occidentale. Paris: Steinhel, 1899, p. 329-330.

- **الشعبة البكائية:** أسس الشعبة البكائية الشيخ اعمر بن الشيخ أحمد البكاي في القرن العاشر وكان قد سافر إلى الشمال مراراً ولقي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في توات وأخذ عنه جملة من الإوراد وبلغت هذه الطريقة أوج مجدها العظيم مع ظهور الشيخ المختار الكنتي

(ت **1226**هـ-**1921**م) وإلى هذه الشعبة ينتسب كثير من سكان إقليم الأزواد[01].

الطريقة الموساوية:

تنتسب الطريقة الموساوية إلى الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة ولد سنة **895**هـ-**1475**م بقرية سيدي موسى بفاس[02] وقد توفي **1013**هـ-**1604**م عن عمر يناهز قرن وثماني عشر سنة وعند ما بلغ سن الدراسة قدمه والده إلى الشيخ محمد بن أبي جمعة الصماتي فحفظ القرآن وأخذ العلوم الأخرى عن الشيخ محمد بن أحمد بن غازي المكناسي، والشيخ أبو العباس أحمد بن قاسي الغصاني والشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ أبو القاسم محمد بن ابراهيم المعروف بالوزير والشيخ أبو العباس أحمد بن علي المنجوري وهكذا أخذ من جملة من المشائخ عدة أصناف من العلوم وأصبح محط الأنظارفخرج من فاس وتوجه إلى سجلماسة فدرس التصوف

---

(01) الخليل النحوي. بلاد شنقيط المنارة والرباط. تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **1987** ص.**121**.

(02) بو حسون بوفلجة. شخصية الشيخ سيدي أحمد بن موسى، ندوة حول شخصية أحمد بن موسى، **1995** ص.**01**.

عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي الذي مكث عنده مدة من الزمن وأخذ عنه الطريقة ثم وجهه إلى الشيخ سيدي أحمد العروسي ولازمه ثم انتقل إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني[01] بعد تخرجه عاد إلى فاس وأهتم بالتدريس ثم انتقل إلى تازة ودرس بها مدة من الزمن ثم انتقل إلى مراكش وإلى سوس ثم درّس بالونشريس ثم بني حماد بتلمسان.

بعدها قرر ترك الساحل وما يتميز به من الحياة السهلة والعيشة الكريمة ليتوجه إلى الجنوب الغربي رفقة والده إلى قرية سيدي موسى وقيل أن والده سبقه إلى هذا المكان فأسس زاوية لطلاب العلم وأقبل عليها الناس من كل الجهات بمختلف الأعمار فكل سن تعامل معها بحسب قدراتها فالطلبة الصغار تعامل معهم كما هو معروف في سائر الزوايا بتلقينهم أبجدية الحروف وتحفيظ القرآن الكريم أما كبار السن الذين لا تسمح لهم قدراتهم الفكرية بالحفظ فقد ابتكر لهم طريقة لتلقينهم شعر ملحون ممزوج بالعامية (**الرموز**) يسهل حفظه وتزيد أبياته عن ستمائة بيت وقد حفظه السكان لسهولته وله الأهمية التربوية والدينية فقد أصبحت الرموز مادة غنائية تردد على الألسنة من قبل النساء والرجال ويتغنون بها على مكان النساء في البساتين أما الرجال ففي أماكن عملهم. وبداية من فصل الشتاء تقرأ هذه الرموز من طرف مريدين بعد صلاة

---

[01] نفس المرجع ص.05.

الصبح بالمساجد وبحلول فصل الربيع يتوجه المريدون والمقـــاديم ومحـــبي الطريقة إلى ضريح مؤسس هذه الطريقة بكرزاز تقرأ هذه الرموز من أولها إلى آخرهاوحتى نأخذ فكرة أوسع عن هذه الرموز التي نستـــشف منـــها العمق الديني في التربية للطريقة الموساوية نقدم نماذج منـــها في مختلـــف أغراض الشعر الملحون الذي كتبت به هذه الرموز: ونبدأ بذكر الصفات التي ينبغي على المريد التحلي بها:

فهو يعطي الصفات التي يجب على المريد أن يتبعها حتى ينال غاياته ويكسب رضا شيخه وهذا بصفاء القلب وطاعة الشيخ فيقول.

المريد إلى أصف قلب يوصل * والشيخ إلى كان كامل يبطش به.
سر الله ما ينجم غير العاقـــل * والجهل لو كان في حجر يرميـــه.

وفيما يخص جانب الذكر فقد قال:

الذكر يا زاهد الذكر * والذكر هو الجبيــــــــر
ملاليه نــــور الذكـــر * هذاك حظـــــي المريـــر
الذكر بواب للقلـــب * يحميه من كـــل عـــــلا
مـــدا من جاللبـــاب * وألقــــاه ثـــــــم ولا
الذكر جازوه الأجواد * نالوا بـــــه المقاصــــد
هـــدوك ســـدات إلا * عباد والغير فالرأي فاسد[01]

[01] أحمد بن موسى. الرموز، مخطوط خزانة كوسام لشاري الطيب أدرار ص 28.

أما فيما يتعلق في تعليم المريد للصلاة وما بها من الفرائض والسنن والمستحبات وما يترتب عن المسلم من معرفته في هذا الركن الثاني من الإسلام.

الصلاة أعليك يا محي الأنوار * يا نور الأنوار مفتح الجنا.
يا سيلني أعلي أفرايض الصلوات * نورهم لك حق ستة عشر.
نية الوفدات من الواجبات * حضرها فالبال فرض أمذكور.
تكبيرة الإحرام حققها مرتبات * والقيام أيكون لها مشهور.
والفتيح لا أصحفشي الآيات * مرصوم فالكتاب هي المختار.
والقيام أمع الركوع والسجدات * والرفع والجلوس تع سرير.
ترتيب الآداء مع الاستدلالات * والمطمئنات شرط كثير.
نية الإقتد للمتبعات * للمموم أمع لامام اتجذر.
ثم النظم أولا أيق من ذا الأبيات * واختم بالسلام هي المشهور[01].

وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأهمتها في الحياة اليومية بالنسبة للمسلم فقد نظم ما يلي:

الصلاة عليك يا صاحب جبريل * قدما صلوا عليك قبل أن توجد.
الأمان الأمان ياعريس الجنان * يا محمد غيت من جالك قاصد

أما في ذكر حقيقة الإيمان وبيانه وما يجب على المسلم أن يومن به حتى يستقيم أمر دينه ويكتمل إسلامه فقد نظم هذه الأبيات:

يا الداخل الفضول في هذا الغموق * في الأمان خمس محسوب
تبد بالإله واتفرق تحقيق * ثني بالملائكة إلى قرب

(01) أحمد بن موسى، المصدر السابق، ص. 99.

ربعـــة كتـــوب فافهم تـــفـــريـــق * والرسول إلى أقبل مول الكعب
والآخــر إياك ثــم فيــها الضيف * والجحد للشاعر فيه الدرب
وإلـــى مسلـــم ثـــم شهد بالتحقيق * في جنة الخلود يدخلها زرب

وقد أخذ الشيخ أحمد بن موسى طريقته بهذا السند:

عن سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني عن سيدي عبد القادربن محمد بن عقبة الحضرمي عن الشيخ سيدي الشريف القادري لينتهي بهذا السند إلى الحسن بن يسار البصري الذي أخذ المرقعة عن سيدي أحمد بن يوسف التي أخذها بسند ينتهي في الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[01].

أما ورد سيدي أحمد بن موسى فقد جمعه من ثلاثة عشر ورداً وهم: ورد قصر مصر، ورد السي الطاهر بن زيان بن سعيد المغربي، ورد معامر الغزالي، ورد الشاذلية، وورد الزروقية وورد الثازية التي تنتمي إلى إبراهيم التازي وورد التوهامي بن حمون الفاسي وورد محمد الدوالي وورد عبد الرحمان وورد عبد الرحمان بوفلجة الكرزازي وورد بلقاسم التودالي وورد مولاي علي الشريف وورد مولاي العربي وبهذا فقد جمع سيدي أحمد بن موسى ورداً مميزاً من هذه الأوراد يعتمد على كثرة التسبيح[02].

---

[01] بو حسون بو فلجة، نفس المرجع، ص05-06.

[02] P. Albert. "La zaouia de Kerzaz". Bull. de la Société de géographie d'Oran, 1906, p. 477-478.

وعند تقديم التسبيح للمريد هناك شروط عليه أن يلتزم بها وأعمال يقوم بها وآداب ينتهجها فعليه أن يجلس على ركبتيه عندما يريد أن يأخذ تسبيحه وأن يستقبل القبلة وأن يأخذ تسبيحه ثم بعدها يدعوا له الشيخ بالتوفيق، أما المريد فعليه أن يلتزم بالطاعة ويبرهن على ذلك بالأدلة ويتقي الشبهات وفي نفس الوقت أن يدعوا لشيخه بالخير.

فالشيخ محمد بن عبد الله كان يقول: "**إن الشيخ قوي بتلامذته المخلصين**" فهذا هو أسلوب طريقة أحمد بن موسى التي ترى أن أساس الدين يرتكز على الصلاة والصدقة والصيام وقراءة القرآن.

فالصلاة تقوم الجسم والصدقة تقوم المال والصوم يقوِّم الروح وقراءة القرآن تصرف القارئ عن قول الكلام القبيح.

فورد أحمد بن موسى يرتكز على تسبيح خاص يقومون فيه بأكبر قدر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فرائض الصلاة فبعد صلاة الصبح يقرأون الرموز ويسبحون مئة مرة أو خمسين مرة أو ثلاثين مرة كلمة الله.

ويقولون أن سيدي أحمد بن موسى كان له وردان أحدهما قصير، مكون من مئة تسبيحة ويقومون به عقب كل صلاة أما الورد الطويل فهو من ألف تسبيحة يأتون بها ثلاث مرات بعد صلاة العشاء.

ولأهمية التسبيح وقيمته في هذه الطريقة ولكثرة التسابيح فقد أوصى مولاي بن عبد السلام أن يدفن معه تسبيحه[01].

ومن كثرة التسبيح في هذه الطريقة فإن الشيخ محمد بن عبد الله كان يستبدل خيط تسبيحه مرة كل أسبوع لكثرة تسبيحه ولهذه الطريقة كتاب لكرامات شيوخها نجده عند شيخ الطريقة ملازماً له في كل زياراته السنوية التي يقوم بها لإقليم توات أو لأقاليم أخرى[02].

وفي كل سنة يخرج مقدم الزاوية محفوفاً بأولاده وبعض خدامه نحو الشمال لأخذ الصدقات اللازمة التي تحتاجها الزاوية لأن موقعها الجغرافي في الصحراء بمنطقة رملية تصعب الزراعة بها كما أن الموارد المالية التي تملكها الزاوية لا تلبي حاجيتها الكثيرة ومصارفها العديدة هذا ما جعل الشيخ يتوجه دورياً لجمع الأموال بالإضافة إلى ما لها من نخيل والتي تملكها في واد الساورة وتوات باعتبار أن هذه النخيل تعتبر المورد الوحيد وحتى نأخذ فكرة واضحة وتتجلى لنا الصورة أكثر عن المقر الرئيسي لزاوية أحمد بن موسى بكرزاز[03] وما لها من موارد مختلفة وما هي أصناف هذه الموارد فالجدول الآتي يبين أملاك هذه الزاوية بصفة تقديرية[04]:

---

[01] P. Albert, op. cit., p. 479.

[02] Ibid, p. 478, 481-482.

[03] يعتبر قصر من قصور واد الساورة يقسم واد قير إلى قسمين ويبعد عن مدينة بشار بحوالي أربعة مائة كيلو متر جنوباً وعن ادرار حوالي مئتين كيلو متر شمالاً وبه مقر زاوية الشيخ بن موسى.

[04] P. Albert, op. cit., p. 482.

القصر	خدام الزاوية				خيل	إبل	غنم	ماعز	حمير	نخيل	بندقية
	خادم زنجي	خادمة	خادم صغير	خادمة صغيرة							
كرزاز	33	81	52	43	17	90	250	63	24	35000	08
الزاوية الكبيرة	35	28	15	23	02	00	20	30	30	7300	00
بـــني عباس	20	15	10	09	00	00	00	00	12	200	0
أقدال	04	00	00	00	00	00	00	00	00	2200	00
أولاد خيدر	03	00	00	00	00	00	00	00	00	120	00
بـــني يخلف	02	00	00	00	00	00	00	00	00	195	00
قصابي	09	07	04	04	00	00	00	00	07	795	00
توات	00	00	00	00	00	50	00	00	00	20000	00
تل	00	00	00	00	00	200	2000	500	00	00	00
المجموع	**106**	**131**	**81**	**78**	**19**	**340**	**2270**	**593**	**73**	**60810**	**08**

وعند تحليلنا لهذا الجدول يتبين لنا أن أول مورد لهذه الزواية يتمثل في التمور التي تتركز في كرزاز ثم تتبعها توات ثم الزاوية الكبيرة وأخــــر شيء تمتلكه هذه الزاوية هي البنادق التي لا تتعدى الثمانية وهي موجودة بمقر الزاوية كرزاز مما يعطي دلالة واضحة على أن حماية الزاوية من أولى الإهتمامات.

وتعتبر هذه الموارد من التمور هي المصدر الذي تعيش عليه الزاويـــة والتي تجنبها بصفة دورية كما يتم الجمع لهاته الموارد بأمر مـــن خليفـــة الزاوية.

ولهذه الزاوية خدام عديدون ينتشرون في الغرب وفي الجنوب الغربي مثل التواتيون والغنانمة والقصوريون بوادي الساورة وبني قومي وعدد من أولاد جرير وذوي منيع[01] وحميان والعمور وأولاد رياح بن رمشي وبني جنسال وبني واسين ودوي يحي ودوي خليفة، وأولاد انهار و زكارة وبني علة بتلمسان ووجدة وأنقاد ومهايا وبني قانيت وبني حمرون وبني سناسن ومسيردة وقلاي.

وعندما تريد أن تقف على كل ما يقدمه هؤلاء الخدام نجد خـــدام الزاوية بتوات لا يقدمون الكثير للزاوية بسبب فقرهم ويساهمون بالعمـــل في بساتين الزاوية بتوات وبالقوافل التي تكون متوجهة إلى كرزاز فعادة ما يقومون بجمع ثمور الزاوية من مختلف البساتين وهذا تحت إشراف المريدين المنتشرين في قصور توات فقصر بودة مقدم الزاوية هو سي محمد بن عبد القادر وفي تمنطيط السي محمد بن الصديق وبوجلان تسابيت الحاج أحمد وفي السبع الحاج الطاهري والحاج إبراهيم وفي تيمي محمد بن علـــي وفي

---

(01) قبائل عربية تقطن واد قير اين توجد المراعي ويسيطرون على الصحراء الغربية ويقومـــون بزراعـــة الحبوب على ضفاف قير وهم عدة بطون انظر:

Léon Lehuraux. <u>Les pistes du désert</u>. Paris: Plon, 1936, p. 10.

أدغا محمد بن محمد وفي أولاد إبراهيم مولاي عبد الرحمان ومولاي علي[01].

أما الغنانمة فهم أيضاً ينتمون إلى طريقة أحمد بن موسى فرع العطاونة فهم لا يأتون إلى كرزاز بل يرجعون إليهم عند الحاجة ويساهمون ببعض التمور بعد جنيها ومقدم فرع العطاونة بوصدوف بالواتة وفي تمتر عبد الحاكم.

أما قصور وادي الساورة فيعتبرون مريدون مخلصون لزاوية كرزاز وخماسين في بساتين الزاوية لقصوريون في وادي الساورة فقراء ويعوضون ذلك في إيصال رسائل الزاوية وتنفيذ المهام الموكلة لهم أما قصور أقدل يساهمون بالأطباق وسكان بني يخلف يقدِّمون الحنة وبني عباس يساهمون بما قيمته حمل من الدجاج بمناسبة العيد الكبير في كل قصر من القصور المثبت في الجدول مقدم توكل له مهمة الإشراف على تمثيل الخليفة في ترديد الأوراد الخاصة بالشيخ أحمد بن موسى كما يقوم بجمع الصدقات من المريدين وحتى نأخذ فكرة عن انتشار هذه الزاوية نثبت في الجدول[02] القصور المعتمدة لطريقة الشيخ أحمد بن موسى مع اسماء المقادم بها ففي:

---

[01] **P. Albert, op. cit., p. 483.**

[02] **P. Albert, op. cit., p. 484.**

اسم القصر	اسم المقدم
أولاد رافع	أحمد ولد الحاج سالم
تيمودي	محمد ولد أمبارك
تبلبلة	سي الطاهر
أولاد خضير	عمر بن علال
أقرطة (بني عباس)	امبارك بن عبد الله
بني يخلف	محمد بن مرزوق
تاغيت	بلقاسم
أكدال	سي عبد الرحمان بن عيسى
الزاوية الفوقانية	سيد المدني
إنفيد	سي احمد بن عومر
بريني	طالب احمد
أمّس	إبراهيم بن العيد
بختي	دروش
بوخلوف	مبارك بو قلوب
إقلي	أمحمد بن بوعزة
الواتة	علي بن عايش

بوحديد	محمد بن تواتي
تمتر	عبد الله
بني عباس	سي العربي
مازر	علي بن عومر
قصابي	بن عمر بن ربابة
مخازنية	سي عبد الله
فقيق	محمد ولد الشريف
الحمام الفوقاني والتحتاني	ولد الحاج الكبير
المايس	ولد بوطراد

وفي أولاد جرير خمس وعشرون مريد يأتون إلى كـــرزاز مـــرة في السنة خلال فصل الشتاء ويقدمون للزاوية ما جمل من اللحـــم المجفـــف ويساهمون في رعي غنم الزاوية ويقوم بهذا العمل المقـــدم عيـــسى بـــن السادات وذوي منيع كثيرٌ منهم يقطنون بمنطقة القنادســـة وآخـــرون في بوعمامة فيقدمون اللحوم الجافة وحمولة من الحبوب تتمثـــل في القمـــح والشعير وهي تخضع لعامل وفرة الإنتاج وفي العادة فـــإن ذوي منيـــع لا يأتون بمثل هذه الصدقات للزاوية وإنما يقدمونها عندما يتوجه الخليفة لهم ويمثل ذوي منيع في طريقة الشيخ أحمد بن موسى:

عبد الرحمان مع بن سليمان يمثل قبيلة أولاد جلول.

المقدم خليفة أولاد السدة وسي عبد الرحمان وولد الحاج العربي وعبد السلام وولد القايمة يمثل قبيلة أولاد يوسف.

معمر ولد خليفة وقدور بن الميلود وبلال ولد محمد بن كنون الوازاني وعلي بن موسى وبن حميدة مقاديم أولاد بوعنان.

المقدم عبد الكريم مقدم أولاد بلقيز.

المقدم عبد الله مقدم أولاد زروق.

المقدم أحمد مقدم أولاد جابرة[01].

حميان[02] يشكلون أغلبية خدام زاوية أحمد بن موسى ويمثلون المورد الأساسي للزاوية ويتبرعون بكل الضروريات من صوف ولباس ونسيج وشعير وحيوانات ولحوم وجبن مجفف وأموال.

وفي كل سنة يتوجه الخليفة إلى أقاليم حميان لجمع التبرعات والمقدمون الذين يمثلون زاوية كرزازهم:

فراحدة: المقدم ميلود ولد بوجمعة مع معمان ولد مزروق.

أولاد فارس: يمثلهم المقدم سليمان ولد قرين.

أمقان: يمثلهم المقدم بن بوجمعة.

غياطرة: يمثلهم المقدم أحمد بن البشير.

---

(01) معظم هذه القصور تنتشر على ضفاف واد الساورة والتي تمتد من العبادلة إلى كرزاز أنظر:
Léon Lehuraux, op.cit., p. 11.

(02) وهي قبيلة تتمركز بمنطقة فقيق وعين الصفراء التي كانت عاصمة إقليم المنطقة الجنوبية الغربية.

المغاولية: يمثلهم المقدم عبد الله ولد الشيخ.

أولاد التومي: يمثلهم المقدم برابح ومعه بومدين.

سنداان: يمثلهم المقدم لخضر وسليماني بن غاوية.

أولاد مبارك يمثلهم المقدم سالم لبرص ومحمد ولد عبد الله بن سليمان.

أقرمة يمثلهم المقدم الصالح.

أولاد منصور يمثلهم المقدم أحمد

بني مطارف: يمثلهم المقدم محمد والعيد بن محجوب.

أولاد غليف: يمثلهم المقدم الصديق ومنصور[01].

العمور يكونون أقلية بين مريدي الشيخ أحمد بن موسى والمقدم الوحيد هو الحاج الصديق بن بو دخيل من عين الصفراء.

أنقاد: مقدمهم هو سي علي بن حمو.

مهايا: ومقدمهم أحمد بن جواط.

إزكارة: وهم مريدون يمثلهم المقدم العربي.

بني واسين: مقدمهم محمد.

بني بوزقو: ومقدمهم حماد ولد الحاج.

وفي مغنية نجد مقدم الطريقة محمد من أولاد بلعباس.

وفي تلمسان المقدم محمد وعبد الله.

---

[01] **P. Albert, op. cit., p. 486.**

وفي مليلة المقدم طالب بوقرعة وفي مادرة المقدم محمد ولد المعطي.

وفي العادة هناك موردان للزاوية أولهما الإبل والغنم والأحصنة والصوف والشعير والقمح والسمن وتقدم هذه المواد من طرف سكان البادية، أما المورد الثاني فهو مكون من اللباس والشموع والسكر والقهوة والشاي والنقود والذهب والصابون والورق والملح والزرابي والتوابل تقدمهم المدن التالية تلمسان وجدة مغنية وهران مشرية وعدد من سكان الأقاليم التلية وعند رجوع المقدم من الشمال يترك بفقيق المواد الآتية، الصوف لينسجها المريدين في شكل حياك و برانس ليستفيد منها أتباع الطريقة عند وصولهم لكرزاز أما التبرعات الأخرى فتخزن بعناية وتقسم في مخازن خاصة حسب المواد وهذا لتستهلك في الحياة اليومية[01].

وأهم ما يميز طريقة الشيخ أحمد بن موسى أنها احتفظت بالحياد في ظل الصراع الذي كان قائماً في القرن التاسع عشرباعتبارها زاوية لم تتأثر بالأحداث مباشرة مع الإدارة الفرنسية فقد كانت ملجأ لأولاد سيد الشيخ بكرزاز وفي نفس الوقت كانت مسالمة فقد أخبرت السلطات الفرنسية بوفاة أحمد بالكبير بوحجاجة وتولي الطريقة تولى عبد الرحمان بن محمد1314هـ- 1896م وتظهر الإحصائيات أن لهذه الطريقة ألفين وتسعمائة وأربعة وعشرون من الإخوان[02] يرجع الإشراف الروحي لهذه

---

(01) P. Albert, op. cit., p. 486.

(02) أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، ج.4. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص. 89-90.

الطريقة إلى من هو أكبر سناً في العائلة الإدريسية حتى وجد من هو أعلم منه وتستمر الخلافة في الخليفة إلى أن يتوفى ويتولاها من هو أكبر سناً[01].

الطريقة الشيخية:

ترجع الطريقة الشيخية إلى عبد القادر بن محمد بن سليمان المولود سنة **940** هـ - **1533**م بضواحي الشلالة الظهرانية بفقيق درس على يد والده الشيخ محمد بن سليمان وعلى يد عمه الشيخ أحمد المجدوب حفظ القرآن واتجه إلى تنجورارين ثم فقيق التي درس بها على يد محمد بن عبد الجبار والتقى مع محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر السكوتي ثم توجه إلى فاس ودرس على يد عبد القادر الفاسي وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السهلي الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية[02] وبعد عودته إلى فقيق أنشأ زاوية بها وتولى فيها مهمة التربية والتعليم وفي حياته ارتبط بعدد من علماء عصره نذكر منهم أبي محمد دفين تبلكوزة والشيخ عثمان دفين زاوية تيميمون والشيخ سيدي أحمد بن موسى وقد توفى سنة **1025** هـ- **1616**م وترك مؤلفات في التصوف منها:

---

[01] **P. Albert, op. cit., p. 488.**

[02] عبد الله طواهرية. تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سليمان بن أبي سماحة. غرداية : المطبعة العربية، **2002**، ص. **42**.

الياقوتة:

إليه انتهت رئـــاسة القوم فارتقى * على صهوات المجد من غير مريـــة

وعدد أبياتها مائة وثمانية وسبعون بيتا يتناول فيها مـــسائل تربويـــة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة للسلوك والذكر :

فكن مقتد بنا وثق بكلامنـــا * وجـــد بسيرنا تفـــز بالمـــودة

كما يدعو فيها اتباعه إلى اتباع المنهج الصالح وفي نفـــس الوقـــت يذكر فيها سند الطريقة الشيخية

فأولهم في الذكر شمس وجودنـــا * وقـــطب نهى علمنـــا اللـــدُنية

- **الحضرة:** هي تتمة للياقوتة في شكل نظم مخمس تضم أربعة وعـــشرين بيتا وهي من جملة أوراد الطريقة الشيخية يغلب عليها أســـلوب الـــذكر وفضائله ومدح الرسول.

- **رسالة في التصوف:** كتبها سنة **1016** وهي ردا عن سؤال في أصول الطريقة وقد انتشرت هذه الطريقة في الجنوب الغربي والغرب وهذا يعود إلى تلاميذه المنتشرين في هذه الأقاليم فبإقليم توات نذكر منهم الحاج أبو حفص الذي نشر الطريقة بإقليم تنجورارين ومحمد عبد الله الجوزي دفين أولاد سعيد أما بالبيض فيرجع الفضل في نشرها إلى الحاج عبد الحـــاكم وإبنه الحاج أما بالمغرب فيرجع انتشار الطريقة إلى الهادي بـــن عيـــسى بمكناس وتقوم الطريقة على المنهج التربوي الذي يرتكز على:

– **إتباع الشريعة** : الشريعة إمتثالا واجتنابا ظاهرا وباطنا وأصل هذه القاعدة هو قوله تعالى (**و اتبعوه لعلكم تهتدون**)[01] وقوله تعالى (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**)[02] ونص رضي الله عنه على هذه القاعدة في الياقوتة بقوله:

فبالإتباع نلنا مرتبة العلا * فبالله ما حدنا عن شرع وسنة

ومنذ عقلنا سدد الله سعينا * وما زلنا مقتفين نهج الشريعة

– **الذكر:** ويؤكد المشايخ عن أهمية الذكر وضرورته للسالك بداية ونهاية. وردد الشيخ رضي الله عنه هذه الفضيلة التي هي للذكر من بين سائر الأعمال في كل مؤلفاته، ويرتبه في المرتبة الثانية بعد أداء الفرائض حيث يقول:

وما الحج والجهاد من غير فرضنا * بأفضل من ذكر الأسماء العظيمة

– **التسليم والتفويض:**

هو التسليم والتفويض وأصله اليقين بإنفراد الحق تعالى بالتصرف إيجادا وإعداما وإمدادا وفق إرادته وقدرته وعلمه وحكمته، لا راد لما قضى. وبتحقق السائل بذلك يدعو الاعتراض وينفي الإختيار، ويلابس التوكل مع الأخذ بالأسباب بجد وإجتهاد. ونص رضي الله عنه على هذه القاعدة بقوله في الياقوته:

وزهد وتسليم وعفو وعفة * وتفويض أمر والشهود بمنة

---

[01] قرآن كريم سورة الاعراف الاية **158** .

[02] قرآن كريم سورة الحشر الاية 7.

وقال في الحضرة التسليم لك رضا والأدب فيها يوالي.

ومعناه: علامة التسليم في قلب السالك رضاه بمواقع قدره، وعنوان أدبه هو ترك الإعتراض على أحكامه بقلبه.

- الصدق:

الصدق في أحواله كلها ظاهرها المتعلق بأعمال الجوارح وباطنها المتعلق بعمل القلب. صدق في إيمانه بالجزم المطابق للدليل في أن الله إله واحد فرد صمد، متصف بالكمالات. فقال رضي الله عنه:

فصدق فإن الصدق أرفع رتبة * لمن يبغي وصولا فافهم مقالتي

وقال الشيخ عبد القادر الجيلالي رضي الله عنه "**عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يتقرب بشر إلى الله**" وأنشد:

ولما صدقنا شيلت الحجب بيننا * ولولا كلام الصدق ما شيلت الحجب

وقال الشيخ رضي الله عنه: "**ولا يصير إلى الله إلا بقلب مفرد فيه صدق مجرد**".

ونشره رحمه الله العلم وتربيته للمريدين داخلان في عموم النصح الذي إلتزمه وأكد عليه بقوله في الياقوتة:

ونصح لدين الله ثم رسوله * وخاصته المؤمنين بجملة[01]

---

(01) عبد القادر بن محمد. الياقوتة، مخطوط خزانة طواهرية عبد الله أدرار، ص.11.

إصلاح ذات البين:

هي الإصلاح بين الناس، وشمل سعيه في الإصلاح، الإصلاح بين القبائل والقصور المتنازعة، والتي كان ينتهي بها الأمر إلى القتال وإفساد الممتلكات وقطع المياه عن الخصم. قال تلميذه أحمد بن عبد الرحمان بن بودة في ذلك:

ومن لي بإصلاح قبائل فتنة * إذا أضرمت نار لقتل السفاهة

ومن يأمر الأعراب ثم الأعاجم * بإصلاح ذات البين عن شأن فتنة

ومن كلامه رضي الله عنه مع شيوخ بني جابر في شأن موضوع قطع الماء عن الخصم (**أنتم جميع من آذاكم أو عمل سوءا قل أو جل تبادرنا إلى مائه تقطعون وتردونه، فهلا تقابلونه بالصبر والعفو،أخاف على مائكم الذي جعلتموه سندا يذهب من ها هنا أو من ها هنا، وأشار بيده المباركة شرقا وغربا**) قال، فكان الأمر كما قال.

ومن وجوه سعيه في الإصلاح، إنتقاله للجهات والقصور المختلفة لرد ما غصب من الأموال والمنقولات ، والحض على صيانة أموال اليتامى والقصر، ونصح المعتدي عليها ورد الديون والرهون التي لم يتمكن مستحقيها من إستيفائها لوقوعها في أيدي المتنفذين وبالجملة كان سعيه رحمه الله في الإصلاح وجبر الضرر وإعانة الضعيف شاملا، واستعمل في ذلك ما فتح الله به عليه من الجاه والحرمة، وما رزقه من مال. ولم يدخر وسعا في إيصال النفع إلى العامة، وبذل طاقته في الإصلاح والتوفيق

والقضاء على أسباب النزاع، جزاه الله عن المسلمين خيرا ووفر ثوابة في العقبى بمنه ورحمته وكأنه المعنى بقول عبدة بن الطيب:

وما كان قيس هلك واحد * ولكنه بناء قوم تهدما

الطريقة التيجانية:

احتلت الطريقة التيجانية المكانة المرموقة في الوسط التواتي والأزاوادي وهذا ما يتوجب التعريف بها لكونها من الطرق الصوفية المنتشرة في القارة الإفريقية خاصة في الجزء الغربي منها وتنتسب إلى الشيخ أبي العباس بن أحمد بن محمد بن مختار التيجاني الذي ولد في قرية عين ماضي بالاغواط بجنوب الجزائر عام **1150**هـ- **1737**[01]

وفي عام**1171**هـ-**1757**م سافر التيجاني إلى فاس للبحث عن شيوخ الصوفية في هذا المركز الديني، وهناك درس الطرق الصوفية، ثم ذهب إلى قرية الأبيض على مشارف الصحراء، حيث استقر في زاوية سيدي عبد القادر بن محمد، ومكث بها خمس سنوات استغل بعضاً منها في التدريس.

وفي عام **1186**هـ- **1773**م بدأ الشيخ التيجاني رحلته إلى الحج التي واصل فيها متابعته للطرق الصوفية حيث توقف، ودرس بقرية أيت اسماعيل في بلاد القبائل زار فيها الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان

---

(01) انظر علي حرازم. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني، ج.1. القاهرة: مصطفى الباي الحلبي، 1927، ص.29.

الازهري وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلواتية[01] ثم قضى عاماً في تونس حيث درس كتاب ابن عطاء الله السكندري (**كتاب الحكـــم**)، وحقـــق نجاحاً في تدريسه لدرجة أن القائم على حكم تونس (**1171هـــ-1757م 1197هــ-1782م**) طلب منه البقاء في تونس للتدريس في مسجد الزيتونة وأغراه بالمال والمسكن الفاخر لكن الشيخ التيجاني رفض وقرر مواصـــلة رحلة الحج ... ووصل إلى القاهرة وبدأ البحث عـــن شـــيخ الطريقـــة الخلواتية، وألتقى به، وتعلم منه الكثير من مبادئ الطريقة، وأخيراً وصـــل إلى مكة في يناير**1188هــ- 1774م** واتصل هناك بشيخ هندي يدعى أحمد بن عبد الله بواسطة خادمه وبعد شهرين من هذا البقاء مـــات الـــشيخ وورث التيجاني عنه تعاليم الطريقة الصوفية[02] وفي طريق العودة إلى بلاده توقف الشيخ التيجاني في القاهرة حيث فوضه الشيخ محمد الخيـــضري في نشر تعاليم الخلواتية في شمال إفريقيا واتجه أحمد التيجاني إلى فاس بدلاً من مدينة عين ماضي، وفي عام**1191هــ- 1777م** اتجه إلى تلمسان بـــالجزائر مرة أخرى بسبب عودة الحاكم العثماني بالأغواط ثم انتقـــل إلى جبـــال قصور بقرية بوسمغون جنوب غرب البيض سنة **1196هــ- 1781م** حيث استقر بها مدة ثلاث سنوات زار خلالها إقليم عين ماضي وبوجـــوده في

---

(01) محمد بن جعفر الكتاني. بسلوة الانفاس ومحاذاة الاكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج.1 طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 95. ص 182.

(02) Louis Rinn. Marabouts et khouan études sur l'islam en Algérie. Alger: Adolphe Jourdan, 1884, p. 418.

بوسمغون كثر مريدوه قصدته الوفود من جميع نحاء الصحراء[01] حيث واصل نشر تعاليم الطريقة الصوفية حتى وافته المنية عام**1231هـ- 1815**م.

لقد ظهرت مبادئ الطريقة التيجانية من خلال مؤلفات بعض الأتباع وعلى رأسهم بن العربي في كتاب جواهر المعاني وبلوغ الآماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني[02] وانتشرت الطريقة التيجانية في غرب إفريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتي التكروري (**1210هـ-1795**م /**1281هـ-1864** م) والذي تلقى وردها على أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد النفيل الفوتا جالوني وقد وضع الحاج عمر أسس هذه الطريقة في كتابه الرماح (**رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**) الذي يتكون من خمسة وخمسين فصلاً إلى جانب المقدمة والخاتمة ويتناول الكتاب عدة أمور مثل التشجيع على سلوك الطريقة التيجانية والحديث عن معنى الزهد عند الصوفية ويعتبر التيجانيون هذا الكتاب المرجع الأساسي للطريقة التجانية[03].

الأوراد: تقوم الطريقة التيجانية على أوراد محددة تشمل الوظيفة والورد المعلوم.

---

[01] **Eugène Daumas. <u>Le Sahara Algérien études géographiques statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie.</u> Paris: s.n., 1845, p. 34.**

[02] عبد الكريم العطار تاريخ الطريقة التيجانية المشرقة في البلاد المصرية القاهرة (د.ت) ص 62.

[03] عبد الله عبد الرزاق، المصدر السابق، ص. 260.

ورد في المصادر التجانية، أن الشيخ التجاني لم يدرك مرتبة القبطانية إلا في شهر محرم من عام 1215هـ-1800م أي بعد سنة من هجرته واستقراره في فاس، وبعد شهر من ذلك، ارتقى إلى المقام الأحمدي المسمى بمقام الختم والكتم[01].

وقد تحدث الشيخ التجاني عن مقام القطب ووصفه بقوله "**إنه أفضل جماعة المسلمين في عصره**" ثم ذكر الختم فقال "**إن أكمل العارفين وهو القطب الكامل لا تتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه المرتبة العليا حيثمراحل نشر الطريقة التجانية حتى واحته السنة عام 1231هـ- 1815م بمدينة فاس بمعنى أن مرتبة القبطانية وإن أدركها بعض ممن سبقوه من الأولياء فإنه لا أحد أدرك أعلى مراتب القبطانية لا من قبله ولا من بعده لأن هذه المرتبة هي ختم الولاية وتسمى أيضا بالمقام المحمدي، ومقام الختم في القبطانية هي غاية الغايات ولا يدركها إلا شخص واحد، وهو الذي لا يكون بعده لغيره**"[02].

ويستند التجانيون في تأكيد هذا المقام لشيخهم بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الذي أخبر شيخهم بذلك.

وعندما يناقشون هذه المسألة في كتبهم يقوون حجتهم بما رواه الشيخ ابن العربي في كتابيه "**الفتوحات الملكية**" و"**عنقاء مغرب**" من أن

---

[01] وهو الذي يبلغ به الصلاح في الدنيا والدين ويختل في نظر أصحاب الطريقة العالم بموته.

[02] محمد بن أحمد أكنسوس. الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التيجاني بلا تثبت. الجزائرية : المطبعة الثعالبية، 1913، ص. 24.

"**قطب الأقطاب**" و"**خاتم الولاية**" سيظهر بمدينة فاس ،ومـــن علاماتـــه الإنكار عليه، هذه الرواية يرى التجانيون أنها تصدق على شيخهم الذي بلغ هذه الرتبة وهو بفاس وتلقى الكثير من الإنكار.

وبما أن الطريقة التجانية إنفردت بهذه المراتب فإنها في نظر أتباعهـــا تسمو على جميع الطرق الأخرى، وهو ماأثار جدلا كبيرا وأدخل الطريقة التجانية في صراعات عقائدية دفعت بخصوم التجانية من السلفين وحـــتى من أصحاب الطرق الأخرى إلى اتهام التجانية بالضلال.

وإذا عدنا إلى من دافع عن الطريقة التجانية نجدهم ينقـــسمون إلى متشددين بالغوا في تمجيد التجانية إلى درجة أنهم ألحقوا بها الأذى أكثر مما خدموها ، نتيجة مغالاتهم فأتاحوا بذلك الفرصة لغيرهم لإعطاء البينـــة والحجج الدامغة على أن التجانية خارجة عن الشرع مستندين في ذلـــك مصادر الطريقة مثل "**جواهر المعاني**" و"**الافادة الأحمدية**" وغيرهما.

فكثيرا ما يقف خصوم التجانية على مورد في "**جواهر المعاني**" من أن فضل تلاوة: "**صلاة الفاتح**" المرة الواحدة منها تساوي من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيرأو صغير ومن القـــرآن ستة ألآف مرة [01] واعتبروه كفر ينبغي التبرؤ منه لا سيما وأنه ينسب إلى التجاني في كتاب "**جواهر المعاني**" قول: إن رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم هو الذي أمره بتلاوة "**صلاة الفاتح**" وأخبره عن فضل هذه الصلاة

---

[01] ابراهيم القطان المختار. "من أقوال التيجاني"، مجلة الفتح، العدد 388، 1933، ص. 4.

وأن هذا الورد ادخره له الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. الأمر الذي جعل خصوم التجانية يعتبرونه افتراء على الله ورسوله، بل مروق وخروج عن الدين[01].

أما المعتدل من اتباع الشيخ التجاني لا سيما المتأخرين منهم، حاولوا في الكثير من كتابتهم تبرير وتفنيد ما جاء في مصادرهم واعتبروه دساً مقصوداً الهدف منه التشنيع بشيخ الطريقة وهو في نظرهم بريء من كل مانيب اليه واعتمدوا على مقولته إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه[02].

وهو يعتمد في ورده على:

أولا الوظيفة: وهي قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح: (**اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم...إلخ**) بعدها يشرع في ذكر الوظيفة: (**استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين مائة مرة ثم ذكر الجوهرة وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشر مرة ومن لم يحفظها يأتي بها ليلاً عشرين مرة مع دعاء الفاتح وتختم الوظيفة بالآية الكريمة ﴿إن الله**

---

(01) محمد الهاشم الخطيب."النصيحة الإسلامية إلى المخدوعين بالتجانية". مجلة الفتح، عدد 408، السنة 09، 1934، ص.16.

(02) انظر: ابراهيم نياس الكولخي. البيان والتبين عن التيجانية والتيجانيين. ط. 2 . (السنغال): مكتبة كولاك، د.ت.

وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[01].

ثانيا: الورد المعلوم أن تستغفر الله مائة مرة ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتذكر (**لا إله إلا الله مائة مرة**) وتختم ذلك بالآية **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾**.

ثالثاً: الهيللة تذكر مرة في الأسبوع يوم الجمعة ما بين العصر والمغرب وهي كما يلي: (**لا إله إلا الله**) من مائة إلى ألف وستمائة ويختم بدعاء الفاتحة.

ويمارس التجانيون أوراد الطريقة بشكل هادئ ولا يعنون بالغناء أثناء المديح بل يجلسون في دائرة وينشدون الأذكار مرة كل جمعة بعد العصر وازداد انتشار الطريقة التيجانية في القارة الإفريقية[02] ومن العوامل التي ساعدت على انتشارها ذلك التكالب على القارة الإفريقية من جانب الأروبيين وما أعقبه من قيام الإدارة الاستعمارية بتجشيع رجال الصوفية بالمال وبسط النفوذ من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي عن طريق نشر البدع والخرفات التي تعوق المسلمين عن مقاومة المستعمر الأروبي، وعرف الأروبيون رغبة رجال الصوفية في الحصول على المال والنفوذ،

---

[01] قرآن كريم سورة الاحزاب الآية 56.

[02] عبد الكريم العطار. تاريخ الطريقة التيجانية المشرقة في البلاد المصرية. القاهرة: د.ن.، د.ت، ص. 62.

فراحوا يغذون هذه الروح حتى قال جوليان بأن حكومة فرنسا قد عرفت كيف تجمع المتصوفة حولها عن طريق التمويل والحماية[01].

ولقد ساعد هذا التمويل على انتشار الطريقة التيجانية في أجزاء كبيرة من شمال القارة الإفريقية ووجد فيها الفرنسيون وسيلة للتفريق بينها وبين الطرق الأخرى حتى لا يتحد المسلمون ويقفون صفاً واحداً أمام محاولات فرنسا لتغريب هذه المناطق ولعل هذه المناظرة ما بين التيجانية والقادرية تظهر طرفاً من تلك الصراعات التي كانت في جنوب الجزائر بعين ماضي ثم ألقت بظلالها في غرب إفريقيا.

المناظرة الصوفية ما بين التيجانية والقادرية:

سبق وإن تعرضنا للطريقة القادرية والطريقة التجانية من حيث تأسيسهما وأورادهما وأعمالهما إلا أنه ظهرت ما بين المريدين لكلا الطريقتين مناظرة أحد أطرافها من الأزواد بالضبط من تمبكتو ويمثل الطريقة القادرية والطرف الثاني بالمغرب وبالضبط مدينة فاس وقد تعدت

[01] بن يوسف التلمساني. الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر – الحكم العثماني – الأمير عبد القادر – الإدارة الاستعمارية. رسالة نيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1998 ص. 238..

انظر1: قدور بن رويلة. وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليان، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم.الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968، ص. 95-96.

مناظرتهما حدود هاتين الرقعتين بحيث تحمس كل طرف إلى طريقته وقادها بمدينة فاس أحمد أكنسوس.

ودافع عنها بقلمه وقد حفظ لنا التاريخ جانبا مهماً من ثقافة العصر التي كتب بها كل طرف عن طريقته وسنتناول في البداية التعريف بأحمد أكنسوس (**1212**هـ-**1284**هـ) هو أبو محمد بن أحمد ولدفي قبيلة أدا وكنسوس في سوس (**1211**هـ-**1212**هـ) وبها نشأ إلى أن بلغ الثامنة عشر من عمره فتوجه إلى فاس لإتمام دراسته وأخذ عن أكابر أساتذة ذلك العصر.

فدرس السحر والتنجيم والتصوف فقد شغل على عهد السلطان مولاي سليمان على التوالي منصب الكاتب والوزير لكنه نكب لما بويع السلطان الجديد مولاي عبد الرحمان وألقى به في السجن وبعد أن أطلق سراحه استقر بمراكش و لم يغادرها حيث عاش عيشة زهد وتقشف طوال عهد مولاي عبد الرحمان وولده محمد وأوائل ملك مولاي الحسن، وقد فقد بصره في أواخر حياته وأدركته المنية يوم **14** فبراير **1294**هـ-**1877**م ودفن خارج باب الرب بمراكش[01] فقد عثرنا على العديد من الوثائق التي احتفظت بهذه المناظرة بعضها في شكل رسائل سنقدمها وبعضها في شكل كتب مطبوعة ومخطوطة مقروءة والآخر في شكل أشعار.

---

[01] محمد الاخضر. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (**1664- 1894**)، ج**1**. الدار البيضاء: دار الرشاد، **1977**. ص **431-432**.

أولاً الرسائل:

رسالة [01] أحمد البكاي إلى أهل مراكش يبتدئ هذه الرسالة بالبسملة والسلام وهي موجهة إلى مقدم الطريقة القادرية بمراكش مولاي المدني العلاوي الشريف والسيد عبد السلام بن الطاهر ومولاي الكبير بن مولاي الطائع جاء في الصفحة الأولى حسب قول الكاتب أنهم ذكروا عبد القادر الجيلي سلطان الأولياء ثم ذكروا أنه لا مثيل للتيجاني أما الصفحة الثانية فيرى أن التيجانيين يدعون أن من أخذ وردهم يحصل له المال والغنى ويكون يوم القيامة في عليين ثم يرى أن أحمد البكاي أن طريق الأنبياء والأولياء ليست مبنية على طلب المال وفي نفس الوقت يرى التيجاني انه لم يدع للتربية وإنما ادعاها له أصحابه بعده طلباً للدنيا وفي الصفحة الرابعة يطلب منهم كثرة التواصل والتزاور في كل وقت وإلا ففي كل يوم أو في كل يومين أو ثلاثة أو في أسبوع ويطلب منهم أن يكون اللقاء يوم الإثنين والخميس ويستشهد بحديث في الموطأ، (**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك**

---

[01] رسالة أحمد البكاي بعث بها من تنبكتو إلى أهل مراكش وخاصة الحاج محمد بن أحمد الصحراوي والحاج محمد عمور ومولاي المدني وغيرهم من الفحول موجودة بمركز أحمد بابا تنبكتو تحت رقم 297 بها خمسة أوراق مكتوبة بخط مقروء طول الورقة خمسة وثلاثون سنتيم وعرضها واحد وعشرون سنتيم.

بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هـذين حتى يصطلحا)[01].

وفي النهاية طلب من مريديه أن يبلغوه تحياته ويدعوه للطريقة القادرية وفي نفس الوقت لا يترك الورد التيجاني فإنه ذكر إن أحب أن يستغني عنه بذكر آخر استغنى وإنشاء أضافه إليه ويطلب منهم أن يبلغه على أنه سيكتب له.

وم تقتصر المناظرة بينهما بالرسائل فنجد كل طرف يعمل ما في وسعه من أجل التعريف بخصائص طريقته وما تشتمل عليه من أذكار وأدعية تتجاوز بها الطريقة الأخرى و لم يقتصر الأمر عند كتابة الرسائل والرد عليها بل وصل إلى أن كل طرف بدأ يدون لطريقته ويرد فيها على الطريقة الأخرى فقد خلصت لنا هذه المناظرة بالمخطوط المسمى بالجواب المسكت في الرد على من تكلم في التيجانية بلا تثبت.

علماً وأن هذا المصدر يحتوي على عدة فصول تتعرض للرد على أقوال الشيخ أحمد البكاي وقد تناولنا فصلين بالدراسة فصل مفاده أن التيجاني ليس من أهل التربية وقد تناول هذا في الصفحة الخامسة والأربعين، كما يتناول في هذا المصدر أن التيجاني نهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات وهذا ما تناوله في الصفحة الخمسين من هذا المصدر علماً وأن

---

[01] أخرجه مسلم ف الصحيح- كتاب البر والصلة /35 ، والإمام مالك في الموطأ / 908 والترمذي في الجامع /23 . انظر: محمد السعيد زغلول. موسوعة أطراف الحديث، المجلد 4 (باب- الخيلاء). بيروت: دار الكتاب العلمية، د.ت. ص. 397.

هذين الفصلين من نقاط الاختلاف ما بين التيجانية والقادرية وفي نفـــس الوقت عثرنا على رسالة[01] أحمد البكاي إلى أكنسوس. تفتح بالبـــسملة والصلاة على النبي صلى الله عيه وسلم، ورد في الصفحة الأولى الحمد لله الأمر بالتواصل والإحسان وفي الصفحة الثالثة يقول أحمد البكاي إنمـــا كذب على التيجاني رحمه الله حيث لم يراهم كذبوا عليه وأنه لا يريد أن ينتقص منتسباً إلى الله ولو كان كاذباً، تنتهي في شوال **1270 هـ-1863**م صفحة اثنان وعشرون.

يا كتابي لأحمد قبل يديه * بـــدلاً من فمي فتفيه احتشـــام

جواب[02] أحمد أكنسوس عن أحمد البكاي طويل:

يبتدئ الجواب:

رعت بعدما أبدى باسمه الفجر * وزال عن الإشراق من ليلة الحجر.

أسيدنا البكاي يا من إذا بدا * محياه حـــيتنـــا البشاشة والبشر

فهذا الجواب يبتدئ: من الصفحة إحدى عشر و مائـــة إلى أربعـــين ومائة أي حوالي تسعة وعشرون صفحة وقد أخترنا أبياتاً من الـــصفحة ثلاثة والعشرين والمائة.

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى * فبالله يا حالي الحشا لا تعتقنا

فإن لم تـــدرك المعنـــى وتـــدري * حقائق بلا قول فلا تلمنـــي

---

[01] الرسالة موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د**1071** بعنوان رسالة أحمد البكـــاي لاكنـــسوس طول الورقة **23** سم عرض **15**سم.

[02] جواب عن رسالة من أحمد أكنسوس إلى أحمد البكاي الخزانة العامة بالرباط د **1604** طول الصفحة **21** سم عرض **12.5**سم.

ومن حـــضر السماع بغـــير قلب * ولم يطرب فلا يلم المغنـــي

وإن تك عاذلاً لا جـــهلت أمري * فدع عك الملام وخل عني[01]

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت أميناً

ويقول له وقد قيل إن المقر بالذنب ما أذنب كالمغتسل.

كتب ورسائل الطريقة التيجانية:

تعددت كتب ورسائل الطريقة التيجانية التي عبرت من خلالها عـــن أفكارها ومواقف ردت بها على خصومها فهناك الرســـالة المـــشهورة[02] المسماة بالجواب المسكت وهي في الرد على من تكلم في الطريقة التيجانية بلا تثبت فقد ورد في الصفحة العاشرة: **"ولسنا أنكم تقولـــون الباطـــل حاش لله لكن المبطلون هم الذين بلغوكم غير الحق وقضيتم بما سمعتم"** ويقول له أحمد أكنسوس:

وعرضت ديناً لا مـــحالة أنـــه * ومن خير أديان البرية ديناً

ويحتوي هذا الكتاب على عدة فصول نذكرها:

فصل يرد فيه على قول البكاي : **"إن التيجاني ليس من أهل التربية"**

فصل فيه نهي التيجاني أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات.

---

(01) محمد بن احمد أكنسوس، المصدر السابق، ص. 140.

(02) تسمى الجواب المسكت في الرد على من تكلم في الطريقة التيجانية بلا تثبيت طبع بالمطبعة الثعالبيـــة بالجزائر 1913، فهذه الرسالة يرد فيها على الشيخ أحمد البكاي ويحمل مسؤولية إلى من بلغوه عن الطريقة التيجانية وليس إلى أحمد البكاي.

فصل في الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي أرسل كتاباً لاكنسوس وأفشاه الرسول قبل وصوله إليه فانقلبت نصيحته فضيحة.

فصل يهدد فيه البكاي ويعتذر له أيضاً.

يقول أكنسوس لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم تؤذونا.

يقول ها أنا أقف عجزاً وإعياء

يا كاتبي بالله قبل يديه * بدلاً من فمي ففيه احتشام [01]

رد الشيخ أحمد البكاي ولكن حسب رواة نساخه يرى أنه نسخه[02] أحمد البكاي لم تصل إلى أحمد أكنسوس بسبب وفاة أحمد البكاي **1282**هـ-**1865**م. أما فهرس المخطوط فيقع في آخر المخطوط وبه تسعة وعشرون صفحة وقد أخترت بعض عناوينه.كتبوا كتابهم أي جوهر المعاني فمزقه و لم يرضه ذلك دليل على صلاحه لما تضمنه من الكفريات بالتصريح والتلميح.واستمر أكنسوس إلى أن قال زعموا أن الاجتهاد انقطع...إلخ إلى أن قال والعمل بالعلم هو التربية.قال البكاي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزر أبا بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان و لم يختصر مجالسهم فيزور ويحضر إلى مجلس التيجاني وسيدي محمد بن أحمد

---

(01) محمد بن احمد أكنسوس، المصدر السابق: ص. **78**.

(02) احمد البكاي. فتح القدوس في جواب عبد الله أكنسوس. مركز أحمد بابا مركز أحمد بابا تمبكتو تحت رقم **373** لا يزال مخطوط.

أكنسوس أني أكذب لهذا وأعذبه وطفق يعاتب على من يتصور هـذا في عقله وعاتب سلطان وقته.

– أتدري ما هي القصة أن التيجاني جاء إلى الغرب وقد كل علماؤه واشتغلت أمراؤه وكثر الجهل في أهله فادعى لهم دعاوى وأمناهم أماني...إلخ إلى أن قال إن من كلام التيجانية أن طريقهم هي آخر الطريق فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة وبحث إلى أن قال ولا أحب أن أطول هنا إلى أن قال يا أكنسوس بحق أمامك مولانا عبد الرحمان رد أحمد البكاي على الرسالة المسماة بالجواب المسكت بكتاب ما يزال مخطوطا سماه فتح القدوس في جواب ابن عبد الله أكنسوس[01]. فهذا المخطوط يتناول فيه أحمد البكاي مزاعم التيجانيين أن الاجتهاد انقطع والعمل بالعلم هو التربية وينفي ما قاله أكنسوس في قوله أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر إلى مجالس التيجاني من حين أنه لم يزر أبا بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان أجاب فيه عالم مراكش مخطوط موجود بمركز أحمد بابا بتمبكتوا مكتوب بخط مقروء عنوانه مكتوب بحبر أحمر وأزرق وسائر الكتاب بحبر أسود عدد صفحاته أربعمائة وخمسون صفحة.فإن الأسباب التي جعلت التيجاني ينجح في أقواله بالمغرب وهذا بحسب رأي أحمد البكاي أنه جاء إليه في وقت قل علماؤه واستغل أمراؤه وكثر الجهل في

---

[01] محمد بن احمد أكنسوس، المصدر السابق، ص. 27.

أهله فادعى لهم دعاوى وأماهم الأماني وجعلهم يقولون أن التيجاني هو آخر مؤسس للطرق الصوفية فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة.

دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في القارة الإفريقية:

وبغض النظر عن أسماء الطرق الصوفية ومسمياها والآراء التي نادت بها و الأفكار التي حاولت نشرها فإن هذه الطرق قد لعبت دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي في إقليم توات وحوض نهر النيجر ولو حاولنا فصل هذه الطرق عن الحياة الدينية بهذين الإقليمين لوجدنا أن المحاولة تؤدي إلى فشل من يتصدى لها وفي النهاية نقبل بهذا الطرق باعتبارها الحاكم في الحياة الإسلامية بإقليمي توات والأزواد رغم بعض الإدعاءات عن الانحراف الذي أصاب بعضها.

ومهما يكن فإن لكل من الطريقة القادرية والطريقة الموساوية والطريقة الشيخية والطريقة التيجانية أثر كبير في نشر الإسلام وتعاليمه الدينية في الزوايا والكتاتيب القرآنية وحلقات الذكر التي تكون بعد الصلوات الخمس وفي أيام متعارف عليها بين مريدي الطرق الصوفية التي تكون في العادة ليلة الجمعة وفي نهارها هذه اللقاءات اليومية والأسبوعية ساهمت في جذب العديد من المريدين الجدد إليها ولزواياها المتواجدة والمترامية في الإقليمين سواءً للتعليم أو الإطعام من جهة أو تنظيم حياة الناس من جهة أخرى نتيجة إلى الحركة الساكنة في ذاتها الملتفة حول

نفسها[01] لما لها من ثقافة وإلهام روحي وزخم ديني من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية استطاعت بها من أن تحافظ على بقائها بإقليمي توات والأزواد.

إلى جانب آخر هذه الطرق عرفت نقلة نوعية بسبب أول اصطدام حضاري ما بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربيـــة الـــتي كانـــت تقودها فرنسا خلال القرن التاسع عشر في نشر تعاليم الطرق الـــصوفية، ولا ننسى ركب الحج في النقاط التي تتجمع بها الحجيج بالأزواد ثم توات والمدة الزمنية التي كان يستغرقها الركب والتي تدوم في الغالب سنة هذه أهمية تؤدي إلى تفاعل حضري بين الشيوخ والمردين حيث كانت هـــذه الفترة من أنشط الفترات فقد شهدت ازدهار حركة الطـــرق الـــصوفية حيث وصل عددها بالجزائر حوالي أربع عشرة طريقة بالإضافة إلى الطرق الفرعية عن كل طريقة. فكان لكل شيخ أتباعه ونشاطه الخاص وأثنـــاء عودة شيخ الطريقة مع ركب الحجيج ينضم له أضعاف ما كان المريدين نظراً للثقافة التي تحصلوا عليها والمقامات التي زاروها والـــدروس الـــتي سمعوها طيلة سفرهم[02]، وقد أبدى علماء كنتة جهوداً في نشر الطريقـــة البكائية بشكل أوسع وأعمق بإقليم الأزواد وحوض نهر النيجر فقد ألف الشيخ المختار الكبير أكثر من ثلاث مئة رسالة عن الإسلام والمـــسلمين

---

[01] حميد عميراوي. "الطرق الصوفية" مجلة مسالك، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القـــادر العـــدد 03 ديسمبر 1998 ص83.

[02] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 40.

بالأزواد وغرب إفريقيا وصارت تعاليمه التي حملها طلابه من أبرز العلامات التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في حوض نهر النيجر وغرب إفريقيا وعندما وصلت الطريقة البكائية إلى هذه الجماعات أصبح يدين بها أغلب الملوك والوثنيون واستمر الإسلام في الانتشار على طول الطرق التجارية وصارت محط القوافل مصدر إشعاع ديني وروحي في آن واحد[01] ومن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي[02] في نشر الطريقة القادرية مخطوط إحياء السنة وإخماد البدعة والمخطوط أصول الدين ومخطوط أصول الولاية وشروطها ومخطوط السلاسل الذهبية للسادات الصوفية ومخطوط السلاسل القادرية ومخطوط بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أحوال الملة المحمدية ومخطوط تعليم الأخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان[03].

وقد ساعدت هذه المؤلفات على جعل الطريقة أكثر انتشاراً في غرب إفريقيا فقد سيطرت على مجتمع شمال نيجيريا وامتدت إلى باقي أجزاء القارة الإفريقية وأدت إلى التصدي لكثير من البدع والخرافات التي

---

[01] نفس المرجع ص. 38.

[02] هو أبو محمد عثمان بن محمد ابن عثمان المعروف بابن فودي أخذ ورد الطريقة عن عبد القادر الجيلاني وكان ممن يدعو إلى الله ويدل عليه وكابد ما هو المعهود من أخلاق الناس من الجفاء والإنكار والاستهزاء وكان يخاطبهم بقدر عقولهم.

أنظر: محمد بلو بن عثمان بن فودي. اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق علي عبد العظيم، محمد أبو المجد طه محمد الساكت. القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1383هـ-1964م، ص. 57.

[03] نفس المرجع ص. 46.

سادت حوض نهر النيجر وجعلت من الشيخ عثمان بن فودي يقف بحزم أمامها ويؤلف الكتب للتخلص من البدع السائدة وقامت جماعات من أتباعه ومريديه بحملة للتدريس وتعليم الناس القضاء ونشر قواعد الدين الإسلامي باللغة العربية كتابة وقراءة وصار للطريقة القادرية في نيجيريا مراكز للذكر والصلاة إلى جانب التعليم والتدريس والإفتاء والقضاء ثم تطورت هذه الطريقة وصار لها طموح سياسي أرادت من وراءه توحيد المسلمين ونشر الإسلام في غرب إفريقيا وقد سار إلى جانب عثمان بن فودي أخوه عبد الله الذي شاركه في مجال الدعوة وقد عملا على نشر هذه الطريقة الصوفية[01].

التنظيم الصوفي: كان ترديد الأذكار المنظومة يتم بشكل جماعي حتى يسهل حفظها للعوام. إن لمعظم الطرق الصوفية في المنطقة تنظيما مركزيا معينا بل كانت تضم مدارس تتولى الحفاظ على الدين لكن يوجد في بعض الطرق تنظيم شبه مركزي كما هو الحال بالنسبة للطريقة الموسوية التي تنظمها الزاوية الأم بكرزاز وتعقد زيارة موسمية لالتقاء الشيوخ والمريدين للنظر في أمور الطريقة الاجتماعية والروحية، وفي الغالب كان صاحب الطريقة لا يقيم في المكان الذي تنتشر فيه الطريقة فهو[02] قد يقطن بعيداً إلا أنه يعين مقدمين في المنطقة يعملون كمقدمين عنه في تلقين أوراد الطريقة وإرشاد المريدين وكان الخليفة يعين خليفته

---

[01] عبد الله الرزاق إبراهيم، نفس المرجع ص. 47.

[02] عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص. 15.

قبل وفاته وربما كان هذا المنصب عادة لأحد أبنائه أو أقرب تلاميذه إليه وأرفعهم مكانة عنده وكانت سلطة الخليفة تقوم على ركيزتين هما سلسلة البركة التي تربطه مع مؤسس الطريقة وسلسلة الورد الذي يعتبر عهداً للانضمام إلى الطريقة وممارسة الأذكار التي تتصل بذكر الله والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت مراسيم انتقال الخلافة تتم بعد الأذكار وإعداد وليمة ثم قيام الشيخ بتلاوة بعض العبارات في أذن الخليفة وبعبارات تتصل بالاستغفار وترديد "**لا إله إلا الله**" عدة مرات ويسلمه سجادة للصلاة عليها وسبحة لممارسة ورد الطريقة.

ويطلق على من ينضم للطريقة اسم المريد بينما يطلق على أعضاء الجماعة لقب الإخوان ويمر المريد بمراحل مختلفة يتدرج فيها إلى أن يصل إلى درجة القطب أو الغوث وهي أعلى المراتب في سلم الطرق الصوفية.

وفي ختام هذا الفصل نستخلص من نشاط الطرق الصوفية في إقليمي توات والأزواد الملاحظات التالية:

- لقد كان لكثير من شيوخ هذه الطرق علماء وفقهاء جمعوا بين الشريعة والحقيقة وعملوا على نشر الإسلام في ربوع القارة الإفريقية والقضاء على الوثنية ومظاهر الجاهلية وفي نفس الوقت نجد بعض المريدين ساهموا في نشر الخرافة والشعوذة والتوكل والتسليم وترك الأسباب وذلك بابتعادهم عن العلم والعمل إذ لم تكن لديهم اهتمامات بفلسفة الطرق الصوفية. وليست لديهم عقيدة عميقة في الدين الإسلامي فحدث تخلف إلى الوراء وبالتالي غاب الناس عن واقعهم.

كما لا يمكننا أن ننكر دور أقطاب الطرق الصوفية لما خلفوه من تراث أصبح المرشد في التربية الروحية في مناطق ابتعدت عن الدين فكان هذا التراث ركائز للفكر الإسلامي كما كانت المدارس القرآنية التي أشرف عليها رجال الطرق الصوفية الوسيلة الأساسية في تكوين أجيال مثقفة حملت على عاتقها مسؤولية نشر الدعوة بين الوثنيين.

- من السمات التي ميزت الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ذلك الموقف الواضح من الحركة الاستعمارية وكل ما يخالف الشريعة الإسلامية حيث ثارت الطرق الصوفية ضد الاستعمار الفرنسي كما هو الحال بالنسبة للشيخ بو عمامة في شمال إقليم توات بالجزائر كما عارضت فرض الضرائب الجائرة التي لا تتماشى مع ما أقره الدين الإسلامي والتزمت

بتطبيق ما جاء به القرآن والسنة وكانت بهذا العمل تناصر الضعفاء والفقراء والذين وجدوا في زعامات الطرق الصوفية خير عون لهم ضد المستعمر والحكم المستبد وأدرك الناس أن أقطاب الطرق الصوفية هم من يحافظ على شريعة الله فانضموا تحت لواء هذه الطرق أملاً في الخلاص من جور المستبدين وطمعاً في رضوان الله وجنته في يوم الدين.

- إن الدور الذي لعبته المراكز الصوفية في المجال الاقتصادي والاجتماعي لا يقل أهمية عن دورهم الديني والسياسي فقد نجحت كثير من الطرق في القضاء على الخلافات والصراعات وحركة القرصنة عبر المسالك الصحراوية مما ساعد على ازدهار التجارة والنشاط الاقتصادي عامة.

- إن الطرق الصوفية في إفريقيا قد تميزت بالمرونة حيث حاولت التلائم مع أفكار الأفارقة وعاداتهم حيث بذل شيوخها جهودا مكثفة من أجل إخراج المجتمعات الإفريقية من حضيض الوثنية.

ورغم ارتكاب بعض مريدي الطرق أموراً بعيدة عن أسس الدين الإسلامي إلا أنها في النهاية لعبت دوراً هاماً في وقت كانت القارة الإفريقية تتعرض لهزات عنيفة من حكام وثنيين وسيطرة استعمارية. وكان جهاد شيوخ الطرق الصوفية نقطة مضيئة في التاريخ الإسلامي وما النماذج التي قدمها زعماء الصوفية تضحية في سبيل رفع راية الإسلام إلا

حجة دامغة ودليلاً لا يشويه شك في ذلك الدور الــذي لعبــه زعمــاء الصوفية على أرض القارة الإفريقية.

تميزت الطرق الصوفية باختلاف أسمائها فمن القادرية إلى التيجانية إلى الشيخية إلى الموساوية نجد بعضها ظهر في الشرق كالطريقة القادرية تم ارتبط بها مريدون من المغرب العربي التي نشروها بالإقليمين فكان الحجاج المنتسبين إلى الطريقة القادرية يتبعون حجتهم بزيارة ضريح عبد القــادر الجيلاني ببغداد وبتروح هذه الطريقة إلى إقليم توات نجد الكنــتيين قــد استلهموا من الطريقة القادرية الطريقة البكائية بإقليم الأزواد.

أما طريقة سيدي أحمد بن موسى التي استقى تعاليمها من المغــرب وعمل على نشر تعاليمها بمنطقة كرزاز التي احتضنت طريقتــه ومنــها انتشرت إلى سائر الأقاليم الأخرى.

كما نجد أن إقليم توات قد تميز بالطريقة الشيخية والتي تعتمــد في نهجها على الذكر والدعاء وتصفية النفس من الخواطر السيئة.

أما الطريقة التيجانية نجدها قد ظهرت بمنطقــة عــين ماضــي في صحراء الجزائر ثم انتشرت في المغرب بعد وفاة مؤسسها ومهما يكن من أمر فإن هذه الطرق تلتقي في تربية المريد- وتطويع النفس وترديد الأذكار وهي في معظمها نسخة مكررة لبعضها البعض وتختلف في ما بينــها في الاعتدال والتشدد.

وقد تركت الطرق الصوفية كثيرا من المؤلفات التي يرجـــع إليهـــا المريدون وتكون مصدر عزة وفخر للمريدين حول فـــضائل وكرامـــات الشيوخ.

الفصل الخامس:

الإسهام الثقافي والعلمي لعلماء توات والأزواد ﴿علماء ومخطوطات﴾.

الزاوية مركز إشعاع حضـــاري ومكان تنظيم وتربيـــة، فكانـــت الزوايا دائما هي الرافد العلمي والفكري في منطقتي توات والأزواد وهذا ما يتطلب منا أن نتعرض لها في هذا الفصل من حيث أنواعها ونشاطها.

أصبحت الزوايا مراكز اشعاع للحياة الدينية والعلمية تصنف إلى:

زوايا التعليم: وظيفتها تعليم القرآن الكريم للأطفال بمختلـــف الأعمـــار وتكون عادة بقرب المسجد وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية منتشرة في سائر قصور توات ويطلق عليها أسماء مختلفة كالجامع بتـــوات واقـــربيش بتدكلت والمحضرة بالازواد وقد لعبت هذه الزوايا دورا بارزا في تحفـــيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية .

زوايا التربية: وهي زوايا أسسها رجال التصوف مع بداية القرن الثـــامن الهجري كأماكن للعبادة والتربية والتعليم باعتبار أن التصوف يختص بعلم الباطن دون إغفال للجانب الظاهر في الشريعة فقد أقام الـــصوفية علـــم التصوف أو العلم الديني كما يسمونه على أسس علمية وأخلاقية وهذا ما يتجلى في المخطوطات كالتي تركها الشيخ سيد المختار الكبير.

ولقد بنى شيوخ المنطقة قواعد هذا العلم على أسس صحيحة وقواعد متينة من الكتاب والسنة هدفها هو معالجة آفات النفس وتربيتها، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزوايا لم تقتصر على هذا النوع من التربية فقط رغم أهميتها في تكوين الفرد بل لعبت دورا أساسيا في تعليم القرآن والحديث وعلوم الفقه وسائر العلوم الأخرى(01).

أما عن أصل نشأة الزاوية بالإقليمين فهي مرتبطة بنشأة قصورها أو العائلات التي ساهمت في تكوينها.ويتجلى ذلك في أسماء لقصور تحمل أسماء الزوايا أو أسماء لعائلات. ففي تينجورارين توجد زاوية سيدي الحاج بلقاسم بحاضرة تيميمون. وزاوية الشيخ سيدي عومر باوقروت وزاوية الدباغ شمال إقليم تنجورارين.

وبإقليم توات يوجد بقصر بودة زاوية الشيخ بن عومر وزاوية سيدي حيدة وفي تيمي توجد زاوية سيدي سليمان بن علي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية الشيخ البكري وزاوية مهدية.

أما في تنوغيل فتوجد زاوية سيدي عبد القادر وفي زاجلو توجد زاوية سيدي علي بن حنيني وفي زاوية كنتة توجد الزاوية الكنتية وفي زاوية الشيخ توجد زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي.

وفي انزجمير زاوية بلال وبرقان توجد زاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.

---

(01) ناصر الدين موهوب. الزاوية النموذجية في الألفية الثالثة. الملتقى الوطني الأول للزوايا، وزارة الاتصال والثقافة ووزارة الشؤون الدينية، أدرار من 1 لإلى 3 ماي 2000، ص. 07.

أما بتدكلت فتوجد الزاوية الكنتية، وزاوية ابـــن مالـــك بـــاقبلي وباولف زاوية حينون وفي تيمقطن زاوية الشيخ أبي الأنوار المعروفة بزاوية مولاي هيبة[01].

وقصور توات بها زوايا إما للعلم أو للإطعام ومن عـــادة ســـكان قصور توات. أن الضيف الذي يترل في أي قـــصرمن قـــصورها، فانـــه يستضاف بزاويته التي يعمل سكان القصر على تموينها، ومن الزوايا الـــتي شاع صيتهابإقليم توات. ولها أملاك وأوقاف وأرزاق نذكر منها[02].

زاوية بدريان:

يعتبر المؤسس الأول لزاوية بدريان الشيخ أبو محمد الجزولي وهو من أبناء محمد بن سليمان الجزولي ولد أواخر القرن التاسع بـــأولاد ســـعيد وعاش بها مدة تلقى تعليمه على يد والده ثم على الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين وأخذ علم التصوف على الشيخ موسى بن المسعود.

وبعد دخوله الحياة العملية انتقل إلى تينركوك وأنشأ بها زاوية جزولا وبعدها أسس عدةزوايا بقصور مختلفة كبدريان وزاويـــة بـــن عيـــسى وتورايخت وفاتيس وتمصلوحت.

---

[01] الشيخ محمد باي بلعالم. أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة. د.م.: د.ن.، د.ت.،: ص. 03.

[02] عبد الله الرقاني. نافذة عن تيدكلت، أولف 1998 ص. 4.

فأبو القاسم تولى تسيير زاوية جزولا ومحمد عبد السلام والحاج محمد زاوية تورايخت ومحمد عبد الله بزاوية فاتيس أما زين العابدين وأخوه أبو الغيث توليا تسيير زاوية تمصلوحت.

وبعد وفاة الشيخ أبو محمد الجزولي ورث أبناؤه تسيير الزوايا التي أسسها أما ابنه محمد عبد الله الصوفي[01] تولى مهمة تسيير زاوية بدريان فعندما أوكلت له مهمة تسييرها اجتهد في خدمتها وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

- قسم أوقفه على طلبة العلم وعابري السبيل.
- قسم آخر يتكون من أربعين سكنا وخمسة وثلاثين بستانا أوقفه على فقراء زاوية بدريان.
- القسم المتبقي: أوقفه على أبنائه وأحفاده.

وقد فرضت هذه الزاوية هيبتها واحترامها على سائر القبائل الموجودة حولها وهذا ما جعلها محل تقدير ومكان الصلح ما بين القبائل المجاورة لها كأولاد طلحة وأولاد حسين وأولاد سليمان وأولاد جرير والخنافسة فكانت مصدر إجماع ما بين هذه القبائل.

ومن العادات الإجتماعية التي تقوم بهاالزاوية أن الأطفال الرضع تحلق رؤوسهم أول مرةفي زاوية بدريان ويختنون بها ختانا جماعيا وفي

---

[01] ولد سنة 940 هـ – 1533 م باولاد سعيد وتعلم على يد والده ثم درس على يد الشيخ على بن ابراهيم، أنظر أوراق خطية من وصية الشيخ محمد عبد الله الصوفي، خزانة بدريان ص4.

الأيام الأولى، للعيد تقدم الاطعمة لأهل تلالة والكاف وفقراء قصربدريان وفي المساء يقومون بزيارة أضرحة شيوخ الزاوية.

كما تقوم الزاوية بأحياء ذكرى وفاة شيوخها في شهر صفر من كل سنة يساهم فيها سكان الزاوية والمريدين من كل القصور المجاورة بالإضافة إلى مشاركة الزاوية في احتفال سكان تنجورارين في إحياء أسبوع المولد النبوي الشريف الذي يستضيفون فيه سكان زاوية الدباغ وأولاد سعيد والقصور المجاورة وهذا لمدة ثلاثة أيام متتالية وقد اهتم شيخ الزاوية بالناحية العلمية فتخرج عليه عدد من العلماء نذكر منهم عبد الرحمن بن محمد الغزراوي وابنه محمد عبد السلام والشيخ أحمد بلحاج دفين أولاد أحمد بتيمي وقاضي تنجورارين. محمد بن أحمد الفقيه[01].

ومن الناحية العلمية ساهمت الزاوية في نشر العلم بأساليب مختلفة ما بين الصغار حيث أوقف مؤسسها بساتين ومساكن لمعلمي القرآن وطلبة العلم كما اشترطت على الفقراء المقيمين بالزاوية تعلم أمور دينهم بعد تأدية الصلوات الخمس.

وكانت لهذه الزاوية عدة اتصالات عملية مع شيوخ المنطقة وخارجها نذكر منها فتوى للشيخ محمد الشاذلي المالكي وأخرى للشيخ عمر بن علي البخاري أما فقهاء المنطقة فلهم عدة فتاوى تختص بشؤون الزاوية للقاضي سليمان بن الجوزي بأولاد سعيد تتعلق بأوقاف الزاوية.

---

[01] نفس المرجع، ص. 02.

ولهذه الزاوية خزانة من المخطوطات وصل عددها إلى مائة مخطوط سنة **1195** هـ -**1780**م[01].

زاوية أبي الأنوار بتدكلت (**1168**هـ -**1754** م):

يعود نسب هذا الرجل الصالح إلى بني أمية وقد ولد بقصر تينيلان ودرس على يد الشيخ محمد التيطافي والشيخ علي بن حنيني وشب بمنطقة خصبة كثر بها العلماء مثل الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التينيلاني والشيخ أحمد بن يوسف بن محمد التينيلاني.

إهتم بقراءة العلوم الشرعية ثم اشتغل بعدها في طلب المعيشة وقد امتهن حرفة تجارة التمور التي اصبح بها غنياً يمون القوافل بما تحتاجه من تمور، ثم أقام مدة بقصر الجديد ثم انتقل إلى حوض نهر النيجرالتقى بشيوخ كنتة بالأزواد كالسيد الحاج أحمد بن أبي بكر والسيد المحجوبي وأسسوا حاضرة المبروك الموجودة بشمال الأزواد سنة **1125**هـ -**1713**م.

وأثناء وجوده بأرض الأزواد اشتغل بالتعليم إلى جانب تسيير ماله من الماشية والغنم والعبيد والإبل وقد راسل أخاه بمنطقة تنيلان وطلب منه أن يأتي إليه إلى الازواد فردّ عليه أخوه برسالة كانت سببا في رجوعه إلى تدكلت فقد أثر محتوى الرسالة التي تتضمن إنما حققه من ثروة فهو معرض إلى الزوال بسبب الجدب أو الهلاك[02].

---

[01] أنظر اوراق خطية من وصية الشيخ محمد عبد الله الصوفي، المصدر السابق، ص. **06**.

[02] عبد الله الرقاني، المرجع السابق، ص. **4**.

عندها جمع ما عنده من الأموال ونزل بتديكلت الشرقية بالـضبط أولف الشـرفـاء فاشترى بساتين وأراضي واشتغل بالتعليم وكان مـن انجب طلابه سي محمد بن مولاي هيبة فزوجه ابنته فاطمة وجعله وصـيا على ماله.

ويذكر أن الشيخ أبي الأنوار عاد إلى تينيلان فاشترى بها بساتين ومياه وأوقفها على عدد من الزوايا كزاوية الشيخ عبد القـادر الجـيلاني والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ليستفيد منها الفقراء والمساكين وقد لازم الشيخ الصلوات الخمسة في أوقاتها فجعل أوقاتاً للـذّكر وترديـد الأوراد الخاصة من صلاة الصبح إلى وقت الضحى ومن صـلاة العـصر إلىصلاة المغرب وكان طيلة فترة حياته يقتني الكتب ويعيرها للطـلاب والفقهاء والقضاة وكان له العديد من الفتاوى في النوازل التواتية [01].

وفي آخر حياته تفرغ للعبادة والاعتزال وافته المنية سنة (**1168** هــ -**1754** م) وقد عمل طيلة حياته على:

- وقف أمواله للزواية.
- اتبع الطريقة القادرية التي تدعو إلى العلم والعمل.
- اهتم بالحياة العلمية وتقرب من آل بيت رسول الله صـلى الله عيـه وسلم.

---

[01] عبد الله الرقاني، نفس المرجع السابق، ص. 5.

وبعد وفاته اصبح زوج ابنته وصيا على أملاك مولاي هيبة بن محمد سنة **1168هـ-1754م**، وعندما بلغ مولاي هيبة سن التعلم تعلم على جده وأبيه فشب شجاعا عالما ورعا اهتم بتوسيع الزاوية التي ورثها عن جده واستعملها في سبيل الله وذلك من أجل:

- تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية.
- تدريس اللغة العربية على قواعدها الصحيحة.
- إقتناء وجمع الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم.

أما من الناحية الاجتماعية فكان هدفها إزالة الفوارق بين فئات المجتمع مع إنهاء الخلافات السائدة بين الناس والإصلاح بين الناس[01].

ولتحقيق ذلك شرع بتوسيع زاويته التي أضاف لها سبع فقارات هي: **توكي – سيدي حمادو – بور الخير – تينفرور – اقبلي – بغداد – الحمرة.**

وأقام البساتين وبنى المنازل والقلاع ثم عين من يقوم بأمور الزاوية ويتصرف فيها حسب الوصية التي تركها أبو الأنوار ثم توجه إلى بلاد الأزواد وفي طريقه قام بأعمال جليلة نذكر منها:

- زار منطقة والن وأسس بها مسجدا وقصبة وبيوتاً باعتبارها منطقة التقاء للتجار وسوقا للمبادلات بين الازواد وتيدكلت ويدخل هذا

(01) نفس المرجع ص 6.

العمل في تأمين الطرق التجارية واستمر هذا المكان يــؤدي وظيفتــه كنقطة راحة للتجار.

- وبالازواد زار اقدس وتيكدة واقتنى الكثير من المخطوطات لإثــراء مكتبته وأثناء عودته مر على الهقار وبالضبط منطقة سيلت التي بنى بها مسجدا وأوقف له ملكا يستفيد منه المسكين والمحتاج وأقام علاقة مع التو ارق وأصلح بينهم ثم عاد إلى تيدكلت وبالضبط إلى فقارة الزوي بعين صالح وقد كانت رحلته ناجحة نتيجة للأعمال التي قام بها مــن الناحية الخيرية والعلمية[01].

وبعين صالح اشترى ملكا وأوقفه للزاوية وحفر فقارة وغرس النخيــل وبقي حينا من الزمن ينشر العلم ويصلح بين الناس ويعطــي المحتــاجين وينمي الأحباس لصالح طلاب العلم وأثناء رجوعه إلى زاوية مولاي هيبة أوقف كل ما يملكه في يد جماعة فقارة الزوى ورجع إلى موطنه الأصــلي فزاد في توسيع زاويته وبقي على هذا المنوال إلى أن انتقل إلى رحمــة الله سنة **1238** هـــ - **1822**م. بالزاوية التي دفن فيها[02].

فكان عمل شيوخ هذه الزاوية بالحديث الشريف إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.

---

(01) عبد الله الرقاني، المرجع السابق، ص. 6.

(02) امحمد الرقادي الكنتي. الزاوية الكنتية الرقادية في نشر العلم والمعرفة وأيواء الضيوف، الملتقى الوطني الأول حول الزوايا أدرار ماي 2000، ص. 7.

- صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[01].

تنافس العلماء والصالحين في فعل الخيرات فقد بذلوا النفس والنفيس من أجل بقاء هذه الزوايا. وقد رحلوا من أجلها إلى بلاد الازواد وحوض نهر النيجر من اجل استمراريتها أما شيوخها فكانوا مصابيح في كل مكان يحلون به ومصدر عطاء لكل المساكين والمحتاجين كما أنهم عملوا على توحيد العرب الصحراوية كإصلاح ذات البين مع نشر العلم والمعرفة فيما بينهم .

الزاوية الكنتية:

يرجع تأسيس الزاوية الكنتية إلى أحمد بن محمد الرقادي الذي نزل بها بعدما مر على وادي الساورة وقابل بها الشيخ أحمد بن موسى سنة **999 هـ-1590م** وقد اختط زاويته عل الأرض التي اشتراها من أولاد جرير ومن أهل عزي ومن المقاطبة ،أما من حيث حدود الزاوية يحدها شرقا قصر عزي وغربا القصبة وسبخة وادي مسعود وشمالا وادي عربي وقد أسس مسجدها سنة **1034 هـ-1624م**، وفي مدة حياة الشيخ الرقادي ، فقد ترك وصية لأبنائه (**أنظر 09**). وقد خلف مؤسس الزاوية

---

(01) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح. رقم **1376**، والزيلعي في نصب الراية. **159/3** وابن كثير في البداية والنهاية **27/11** أنظر:

محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، المجلد **1** (آثبون- أظلال) ص.**404**.

ثمانية أولاد: عمر، عبد الوهاب، عبد المومن، أمحمد، علي، عبد القـــادر، محمد، مصطفى، عبد الله أما الإناث فهم ثلاثة عائشة، فاطمة، خديجة[01].

وأثناء حياته زوج إحدى بناته إلي الشريف مولاي امحمد الـــذي نزل بزاوية كنتة واختلط بالمصاهرة مع الكنتيين فكان لهؤلاء الأشـــراف مساهمة في الزاوية الكنتية وقد شاطروا الكنتي في زاويتـــهم وبـــساتينهم ومساكنهم.

وقد درس على أحمد بن محمد الرقادي عدد من الطلبة من مختلف الأقطار وخاصة من توات والأزواد وأشهرالحواضر التي أرسلت أبناءهـــا للدراسة بالزاوية الكنتية[02] نذكر منهم أحمد بن محمد الدعواوي —اقدس- زندر- طاوة - تيمبكتو- قاوة.

وقد تعاقب عن الزوايا الكنتية عدد من العلماء الكنتـــيين نـــذكر منهم:

- الشيخ علي بن أحمد الرقادي المولود بالزاوية الكنتية المتوفي بهـــا عـــام **1120** هـ - **1708**م

ثم خلفه ابنه محمد بن علي الذي ولد بها عام **1050**هــــ- **1640**م المتوفي سنة **1125** هـ - **1708** م ثم خلفه ابنه محمد الصوفي بن محمد ولد بزاوية كنتة وتوفي بها سنة **1222** هـ - **1807** م ثم جاء من بعده ابنه علي بن محمد الصوفي الذي ولد عـــام **1140**هــــ -**1727** م وتـــوفي عـــام

---

[01] الشيخ محمد الرقادي الكنتي، المرجع السابق، ص. 9.

[02] نفس المرجع، ص. 15.

1240 هـ - 1824م ثم تولى أمر الزاوية عمر بن علي المولود سنة **1180 هـ - 1766**م وتوفي بالمدينة المنورة **1278 هـ - 1861 م.**

ثم تولى تسييرها المختار بن مصطفى بن علي ولد بزاوية كنتة عام **1211 هـ - 1796** م وتوفي عام **1325 هـ- 1907**م وقد تفرغ شيوخ الزوايا الكنتية للقضاء والتدريس وإصلاح ذات البين[01].

وهناك العديد من الزوايا التي يرجع الفضل في إنشائهاللكنتيين سواء بتوات ونذكر منها: زاوية مولاي امحمد بن سي حمو الحاج وزاوية الشيخ سيد المختار بن محمد بن عومر بالجديد وزاوية مصطفى بن مختار بتاوريرت .

أما بالازواد فهناك العديد من الزوايا الكنتية التي وجدت بالبادية أو الحاضرة فقد أسس الكنتيون بتمبكتو زاوية لهم وهناك زاوية أخرى باروان.

وما تتميز به الزاوية الكنتية أنها أعطت مكانة لتدريس المرأة فقد تخصص قسم منها لتدريس الفتيات والنساء بلغن بعض النساء الكنتيات مكانة عالية من العلم آنذاك منهن خديجة بنت علي بن أحمد التي كانت راسخت في النحو والفقه والصرف أما مؤسس الزاوية الكنتية الشيخ أحمد الرقادي (**فقد ترك وصية لأبنائه يوصيهم فيها بالتعلم والتدريس والتربية والدعوة إلى الله والاستقامة في الحياة الدنيا والإحسان إلى آل**

---

[01] أمحمد الرقادي الكنتي، المرجع السابق ص **10**.

بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بصفة عامة والـــشرفاء الـــذين يقطنون معهم بقصر زاوية كنتة وهم أبناء مولاي محمـــد بـــن محمـــد المعروف بحم بلحاج)[01].

المهمة العلمية للزوايابمنطقتي توات والأزواد:

بعد تعرضنا إلى أهم زوايا المنطقة والإلمام بنشاطها العلمي فقد كان التعليم بالزاوية مقسما حسب مستويات تعليمية متدرجـــة يقـــضونها في الدراسة.

مرحلة الكتاب أو ما يسمى (**أقربيش**) أو المحضرة ويوجـــه إليهـــا الطفل بعد بلوغ السنة الخامسة من عمره وهذا بعد أن يقام له حفل عظيم يكون فاتحة خير لدخول هذا الصبي للكتاب أول خطوة مـــن خطـــوات التعليم الكتابة حيث يفتتحها الشيخ ببسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه رب يسر ولا تعسر ثم بعدها تكتـــب ثلاث حروف الأولى وتتوج اللوحة بقوله تعالى (**قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمان**)[02] وفي الحفظ الأول يكتب الشيخ للطالب المتون الصغرى أسفل اللوحة ومنها متن ابن عاشر، العبقري، الأوجلي ومتونا في العقيدة وبعد حفظها عن ظهر قلب ينتقل في المرحلة الثانية إلى المتون الكبرى مثل ألفية ابن مالك في اللغة وفي النثر يكتب متون منها رسالة خليل في الفقه وكذا

---

(01) نفس المرجع ص **10**.

(02) قـــرآن كريم سورة الإسراء الآية **110**.

الرسالة وكتاب الشفاء لـلقـاضي عـياض ومرحلة الكتابة تتبع منهج التدرج ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تسمى مرحلة المحاكاة حيث يكتب الشيخ بقلم الرصاص على لوحة الطفل ويأمر الطفل بتتبع كتابته وهكذا يتعلم الطفل كيفية تشكيل الحروف ويتعود كيف يمسك القلم لتتمرن أصابعه ويده على الكتابة والخط، ثم بعدها ينتقل الطفل إلى مرحلة يتعلم فيها النقل فيأتي بطبق مملوء بالتراب ويجلس إلى جانب الشيخ الذي يكتب عليه الآيات لينقلها الطفل على لوحته.

المرحلة الثانية: وتسمى مرحلة الفتوى فيفتي الشيخ للطالب الآيات المراد كتابتها على اللوحة ويتابعه شيئا فشيئا حتى يكتب الطفل لوحته ثم بعد ذلك يراجعها الشيخ مع الطفل من حيث الرسم الإعراب وعندما يختم الطالب الحزب الأول يقيم أهله صدقة تقدم لزملائه في الكتاب فرحا وإبتهاجا بما بلغه طفلهم[01] وهكذا حتى يختم القرآن كله.

التعليم في الزاوية:

وهي مرحلة تعليمية تأتي في المرحلة الثانية بعد الكتاب وتتم في الزاوية أو المسجد الذي ينتمي إليه الطالب ويتولى مهمة التدريس فيها فقيه الزاوية فهو الأساس في تدريس الطلبة حيث يتلقى الطلبة كافة

---

[01] ميلود سرير. دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، ج. 2، جامعة أدرار، 2000، ص.146.

علومهم على يديه في صحن الزاوية أو المسجد فيجلسون على هيئة حلقة يتوسطهم الشيخ ومع كل واحد منهم لوحه أو كتبه وتستمر الحلقة غالبا من صباح كل يوم حتى منتصف النهار وبعدها ينصرف الطلبة لتناول الغذاء ثم تبدأ الفترة المسائية بعد صلاة الظهر وتستمر حتى صلاة المغرب وهكذا بقية أيام الأسبوع وهذه المرحلة غير محددة فيها فترة الدراسة بل تتوقف على إستيعاب الطالب للمواد المقررة عليه حفظا وتعليما والمفروض على طلاب هذه المرحلة حفظ القرآن حفظا صحيحا دقيقا سليما على رواية ورش وهذه العملية هي أول سلم يرتقي إليه طلبة الزوايا وقد وردت في ذلك النصوص القرآنية والحديثية والآثار الصحاح ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**[01]".

أنواع التلقي للعلم: توجد حوالي أربعة أنواع لتلقي العلم وهي: قراءة الطالب على شيخه قراءة فهم أو قراءة بحث أو قراءة تحقيق أو قراءة بحث وتحقيق وفي هذا يقول أحمد بابا التنبكتي[02] بأنه قرأ على شيخه الموطأ قراءة فهم وقرأ تسهيل بن مالك قراءة بحث وتحقيق... وأصول السبكي شرح المحلى ثلاث مرات قراءة تحقيق وألفية العراقي بشرح مؤلفها... وفرعي بن الحاجب قراءة بحث جميعه[03].

---

(01) نفس المرجع ص. 10.

(02) مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص. 404.

(03) محمد بلو بن عثمان بن فودي: اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص. 215.

وكانت المناقشة بين الشيخ وطلابه ممايجري به العمل، أما التواضع ولين الجانب للطلبة فقد كانا من شيم الأشياخ اللامعين بتمبكتو في تلك الفترة وكان صبر الشيخ على تفهيم طلبته يعتبره النـــاس مـــن صـــفات الأشياخ الناجحين في التدريس.

وكانت الطريقة الشائعة في التدريس هي أن يبدأ الشيخ بإعطاء رأيه في المسائل الفقهية لطلبته وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الشيخ ثم يطلب كل منهم توضيح ما شكل عليه وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الشيخ كجواب على ما يستفسرون عليه[01].

أثناء الشرح كان الشيوخ يختارون العبارات المبسطة لكي يـــتمكن طلابهم من استيعاب ما يقولونه ويضاف إلى هـــذا أن المدرســـين علـــى اختلاف مستوياتهم لم يكونوا يلتزمون بالتوفيق عند مادة بعينها بل أنهـــم كانوا يتصدون غالباً لتدريس مواد عديدة ولكنهم لا يدرسون إلا المـــواد التي كانوا قد أتقنوها وأجيزوا فيها.

وفي ما يلي سنتعرض إلى ذكر أهم المعارف التي يدرسها الشيخ في المرحلة المتقدمة لطلاب زاويته.

وذلك على اعتبار أن الزاوية جامعة شعبية، بدوية، تلقينية، فرديـــة التعليم، طواعية الممارسة من خلال هذا التعريف سنبرز سمات المحضرة[02] وخصائصها.

---

[01] أحمد بابا التمبكتي. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. فاس : د.ن.، د.ت.، ص. 376.

[02] وهي من الأسماء التي تعرف بها المدرسة القرآنية في منطقة توات.

فهي جامعة تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف فنون المعرفة الموروثة وهي:

القرآن: حفظه ورسمه وتجويده وتفسيره وبقية علومه[01]

الحديث: متنه ومصطلحه ورجاله

العقيدة: وعلم الكلام والتصوف

الفقه: أصوله وقواعده وفروعه

السير والتاريخ والأنساب

الأخلاق وآداب السلوك

اللغة والأدب: دواوين الشعر

النحو

الصرف

العروض والقوافي

البلاغة: المعاني والبديع والبيان

المنطق

الحساب والهندسة

الجغرافيا

الفلك

الطب

---

(01) الخليل النحوي، المصدر السابق، ص. 53.

ويتدرج الطالب في دراسة هذه المعارف من مستوى ابتدائي ثم متوسط إلى أعلى مستويات التخصص.

كما أن الزاوية تستقبل كل من يَرِد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة والفقير والميسور، تبذل لكل طالب ما يريد من ضروب المعرفة حسب مستواه الثقافي وهوايته وطاقة استيعابه وهي لا تسد أبوبها، وإن عطلت المدرسة أيام معدودات بل تستمر في العطاء على مدار السنين وهي لا ترد طالباً لعدم وجود مقاعد شاغرة ولا تغلق أبوابها لقلة الطلاب المنتسبين إليها[01]. فالهدف الأسمى لزاوية العلم أن يعرف الناس أحكام ربهم في دينهم ودنياهم فلذا فإنها قد سهلت من أمور الالتحاق بها وكذا لم تشترط شروطاً معينة في الطلبة ممن يريد طلب العلم.وانصب الاهتمام في مناهج التعليم في الأزواد وكذلك في غيرها من بلاد السودان على حفظ القرآن أولا حتى أن أهل الأزواد كانوا يجعلون القيود لأولادهم ولا يطلقونهم إلا بعد أن يحفظوا القرآن[02].

وفيما يخص نظام الدراسة في المجتمع التواتي فإن الكُتَّاب هو قاعة الدرس حيث يبدئ التدريس عادة بعد صلاة الصبح وتشغيل الفترة الصباحية في حفظ الألواح وتلاوة القرآن وحفظ متون الفقه المقررة،

---

[01] الخليل النحوي، المصدر السبق، ص. 54.

[02] إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص. 153.

وعند شروق الشمس يأخذون قسطاً من الراحة يستغلونه في تناول فطور الصباح ليعودوا بعدها إلى الجد والاجتهاد فيشرع الشيخ في شرح الدروس في مجال النحو والعقيدة[01] وهذا خاص بالنسبة للطلبة الذين قد أتموا حفظ القرآن وقاموا بعرضه عن ظهر قلب على مسامع الشيخ وهذا ما يؤهل الطلاب لدراسة المتون الفقهية وما إلى ذلك من فنون العلم ومن النتائج الايجابية تتكون علاقة حميمة بين الشيخ والطالب فهو يحرص في السؤال عنهم وحال غياب أحدهم أو مرضه وهو يتفقده كما يسهر على راحة طلبته والإنفاق عليهم فهو مثل الأب في عطفه وحنوه على ابنه.

وعند منتصف النهار تتوقف الدراسة لتتواصل من جديد بعد صلاة الظهر، بعد أن يكون الطلبة قد أخذوا قسطاً من الراحة (**القيلولة**) فيعود الطلبة إلى تلاوة القرآن وحفظه وحفظ المتون المختلفة في شتى أبواب العلم لتنتهي المرحلة المسائية عند غروب الشمس فتكون العودة إلى النشاط بعد صلاة المغرب وقد لاحظ بارث (**Barth**) هذا السير في نظام الدراسة بالأزواد حينما رأى طلاب الشيخ سيدي أحمد البكاي يقرأون القرآن في الفضاء الخارجي[02] وهذا راجع لكون علماء توات كانوا ينتقلون إلى بلاد الأزواد لينقلوا إليهم العلم والمعرفة وبذلك نقلوا معهم نظام الدراسة المنتشر بمنطقة توات أما أدوات التدريس فتتمثل في اللوح والقلم فهما عماد الحياة المحضرية وفي حياة الطفل يومان متميزان يوم يحمل اللوح -

---

[01] **Heinrich Barth, op. cit., p. 68.**

[02] **Heinrich Barth, op. cit., p. 69.**

يقولون قد دخل إلى المدرسة- ويوم يأخذ فيه قلمه فيبدأ في كتابة لوحه بنفسه بعد أن يكون قد تدرب على الخط باستخدام قلم جاف يتتبع به كتابة شيخه أو من ينقش له من الخطاطين الذين يرسمون نموذجاً يحاكيه الطفل في بادئ أمره وغالباً ما تتخذ الأقلام من القصب أو من جريد النخيل وأعواده دقيقة مسطحة يتخيرون لذلك من الأعواد ما استقام واستوى وجف فنفذت رطوبته وغالباً ما يكون طوله دون الشبر **(ما بين 12-16 سم)** ويقومون ببري رأس العود بموس أو شفرة يأخذون من وسطه وأطرافه حتى إذا دق رأسه شقوه من النصف شقاً خفيفاً دقيقاً به يسهل انسياب الحبر وغالباً ما تكون للطالب عدة أقلام تختلف الكتابة شكلاً وحجماً باختلافها يتخير منها ما يشاء ويعوض منها ما انكسر أو ضاع من أقلامه[01].

أما حبر الألواح فيصنع من صوف الغنم ويكون أسود اللون... وهذه الأدوات تلازم الطالب منذ بدايته لطلب العلم إلى غاية إتمامه لحفظ القرآن. وتعد كل أيام الأسبوع للدراسة ما عدا يوم الخميس وصبيحة الجمعة لتستأنف الدراسة بعد صلاة العصر من نفس اليوم وهناك عطل سنوية كالخميس من شهر ذي الحجة الذي يصادف يوم عرفة بالإضافة إلى عطلتي عيد الفطر وعيد الأضحى التي تبتدئ من الخامس والعشرين من رمضان ويستفيد الطلبة من عطلة قدرها سبعة أيام أما الحياة المادية لمعلمي

---

[01] الخليل النحوي، المصدر السبق، ص. 147.

القرآن فهي مضمونة وتتكون من مجمل الصدقات التي يقدمها الدارسون لمربيهم مرتين في السنة مع الهدايا الموسمية كموسم جني التمور أما الجماعة فتقدم لمعلم القرآن بستاناً يستفيد منه في حياته اليومية[01].

أصناف المعارف ومحتوى البرامج:

فالمواد العلمية المدرسة فقد ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية بإقليمي توات والأزواد خلال هذه الحقبة ورغم ظهور مؤلفات وحواشي وشروح لبعض الأمهات المعروفة فإنه لم يظهر عليها إبداع متميز من حيث الموضوع في أسباب العرض والتحليل ولعل ما كان يظهر على الأعمال الشرعية من التزام بالأساليب القديمة في النقل والإسناد يرجع في الأساس إلى المحافظة والخوف من التحليل والخشية من دخول ما يمكن أن يحمل على المسألة والتعنيف[02] ويلاحظ المطلع على كتب التراث في هذه الفترة الزمنية أن الكتب التي كانت متداولة في الإقليمين توات والأزواد هي الكتب المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى لا سيما في المغرب والأندلس ومصر والسودان ويلاحظ أن الصيغة المذهبية لهذه الكتب هي مالكية في معظمها بسبب إنتشار المذهب المالكي بإقليمي توات والأزواد في ذلك الوقت وسنحاول أن نلقي بعض الضوء على الكتب التي كانت تدرس في الكتاتيب الزوايا

---

[01] L. Voinot, op.cit., p. 455.

[02] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص. 219.

والكتاتيب لطلاب العلم[01] وهي في مجملها ترتكز على محاور منها اللغة، الفقه، العقيدة، الحديث، التفسير، المنطق وكذا رواية القرآن.

فمن حيث علوم اللغة نجد:

الأجرومية، ويمكن تقسيم المواد المدرسة إلى قسمين منها ما هو نثر وما هو شعر فالمتون التي نظمها أصحابها هي التي يبتدأ بها الطالب نظـرا لسهولة حفظها وعمق هدفها وهي تخص سائر العلوم بالإضافة إلى أمهات الكتب التي دونها علماء المذهب المالكي، فكان اهتمام الدارسين باللغـة العربية فقد درس الطلاب كل ما يتعلق بها من مؤلفات فمن ذلـك مـا يذكره أحد الطلبة في المواد التي تلقاها عن شـيخه "...**وقـرأت عليـه الأجرمية وشرح خالد الأزهري عليها وحضرت تدريـسه فـيهـا قـراءة غيري مراراً**"[02] فالأجرمية لصاحبها عبد الله محمد بن محمد بـن داود الصنهاجي[03] وهي مقدمة في مبادئ علم اللغة العربية ذاعت شهرة الأجرومية شرقاً وغرباً وقد وضعت لها شروح مثل التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية لمحمد محي الدين عبد الحميد كما نظمت عدة نظم منها الأجرومية لشرف الدين يحي العمريطي، كما نجد في ترجمة أحد علمـاء

---

(01) عبد الرحمان بن عمر التواتي. مخطوط فهرسة أعلام توات، خزانة كوسام ص05.

(02) عبد الرحمان بن عمر التواتي المصدر السابق، ص. 05.

(03) ولد سنة 682هـ– 1283 م.، بفاس، نحوي مشهور تعلم في القاهرة على أبي حيان ودرّس في فاس توفي سنة 723هـ – 1323م.، وكلمة آجرُّوم بربرية الأصل وتعني الفقير الصوفي، أنظـر أحمـد الطاهري. الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجروم. غرداية: مطبعة الواحات، د.ت.، ص.05.

توات أهم ما كان يتقنه ويدرسه العلامة محمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون فقال: "...**يحفظ صحيح البخاري حفظاً متقناً وأمهات المذهب المالكي كلها المدونة وابن الحاجب وابن المواز وبعض شرّاح هذه الأصول...**"[01].

أما من حيث المتون الفقهية نذكر منها:

متن ابن عاشر:

وهو نظم في فقه المالكية نظمه صاحبه عندما كان ذاهبا إلى الحج فطلب منه أهل ليبيا أن ينظم لهم نظماً يعينهم على تطبيق الأحكام الفقهية فضمَّن هذا المتن أبواب الفقه من صوم وحج وزكاة وصلاة وصاحب النظم هو عبد الواحد بن عاشر[02] ويفتتحه بقوله: يقول عبد الواحد بن عاشر مبتدأ باسم الإله القادر.

الرسالة:

وهي مختصر في فقه المالكية ومؤلفها هو أبو محمد عبد الله ألّف الرسالة سنة **327**هـ- **938**م، وكان الغرض منها أن تكون كتاباً تعليمياً للصبيان وانتشرت في سائر بلاد المسلمين وأول نسخة منها أرسلها

---

(01) أنظر: محمد بن عبد الكريم البكراوي، المصدر السابق، ص. **33**.

(02) عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري الأندلسي المالكي ولد بفاس سنة **995**هـ- **1582**م عالم مشترك في القراءات والنحو والتفسير وعلم الكلام والفقه وأصوله وغيرها نشأ بفاس وتوفي بها **03** ذي الحجة **1040**هـ، **1631**م، انظر عبد الواحد بن أحمد بن عاشور. متن ابن عاشر في مذهب الإمام مالك. الجزائر : المطبعة الثعالبية، **1924**.

صاحبها إلى أبي بكر الإبهري إمام المالكية ببغداد فأثنى عليها وعلى مؤلفها وتوجد عدة نسخ من الرسالة في مختلف مكتبات العالم مثل برلين وباريس وكسبرج والأسكوريال والفاتيكان ومانشيستر وتونس والقاهرة.[01]

المختصر:

توجد ثلاث مختصرات اثنان منها لأبن الحاجب: أحدهما في الفقه المالكي ويعرف بمختصر ابن الحاجب الفرعي والأخر في الأصول ويعرف بمختصر ابن الحاجب الأصلي والمختصر الثالث للشيخ خليل.

1- مختصر ابن الحاجب[02]: وهو مختصر في الفقه المالكي عنى بشرحه جملة من شيوخ المغرب وإفريقية فمن المغاربة القاضي ابن عبد السلام التونسي شيخ ابن مرزوق الحفيد وابن هارون وابن هلال، وممن عنى به في غربي إفريقيا الفقيه أحمد بابا التنبكتي

2- مختصر خليل:

هو كتاب في فقه المالكية بيّن فيه صاحبه المشهور في المذهب مجرداً عن الخلاف وفيه فروع كثيرة وعرف بمختصر خليل لأن عباراته مختصرة

---

[01] هو أبو عبيد بن زيد عبد الرحمان القيرواني التفراوي أشهر علماء المالكية في المائة الرابعة الهجرية ولد سنة 316 هـ- 928 م بتفراوة التونسية وكانت أكثر إقامته بالقيروان وتوفي سنة 386 هـ - 996 م وقيل سنة 388 أو 390 بمدينة فاس وقيل القيروان أنظر مهدي رزق الله أحمد، المصدر السابق، ص. 138 .

[02] هو عثمان بن عمر بن يونس جمال الدين المصري (570هـ - 1174 م. - 646هـ- 1218م) المشهور بابن الحاجب نسبة إلى أن والده كان حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي. أنظر: أحمد مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص. 426.

ونال شهرة فاقت مختصر ابن الحاجب ومدونة سحنون ومال الناس إليه وفي هذا يقول أحمد بابا "**ولقد وضع الله عز وجل له القبول على مختصره وتوضيحه من زمانه إلى الآن فعكف الناس عليهما شرقاً وغرباً حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد....**"[01].

وقال عنه في موضع أخر: "**وقد يسر الله لي وضع شرح عليه جمعت فيه لباب كلام من وقفت عليه من شراحه وهم أزيد من عشرة مع الاختصار والاعتناء بتقرير ألفاظه منطوقاً ومفهوماً وتذيله على النقول بحيث لو كمل لما احتيج غالباً لغيره**"[02] ومؤلف هذا المختصر هو خليل بن إسحاق[03].

الموطأ: هو كتاب في الحديث رتب على أبواب الفقه وقد جمعه الإمام مالك بتوجيه من الخليفة أبي جعفر المنصور ويعد من أوائل الكتب التي ألفت في الحديث والفقه ومن بين الإشارات إليه أن أحمد بابا درسه على أبيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ودرسه أحمد ومحمد بغبغ على يد الفقيه أحمد بن سعيد ودرسه الفقيه أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن

---

[01] نفس المصدر، ص. 427.

[02] أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ص. 41-42

[03] هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة حامل لواء المذهب المالكي في زمانه بمصر درس بالمدرسة الشيخونية حج وجاور المدينة المنورة التي توفى بها عام 818هـ- 1415م، وقد وضع شرحاً لمختصر ابن الحاجب. انظر خليل بن إسحاق المالكي. مختصر خليل، تعليق وتصحيح الشيخ أحمد نصر. د.م. : دار الشهاب، د. ت.، ص. 03.

حبيب على يد عبد الرحمان بن أحمد أقيت[01] ومؤلفه هـو مالـك بـن أنس[02].

التهذيب:

هو كتاب في الفقه وهو عبارة عن تهـذيب للمدونـة والمختلطـة (**الأسدية**) لذا عرف أيضاً بـ "**مختصر تهذيب البراذعي**" وقد تم تصنيفه سنة **372**هـ- **982**م، وفيما يخص منثور اللغة نجد كتاب الألفية للعلامـة إبن مالك:

الألفية:

هي في علم النحو ومؤلفها ابن مالك[03] جمع فيها قواعد العربية وقد عرفت أيضاً باسم الخلاصة وهي مكونة من ألّف بيت من الشعر التعليمي وقد وردت الإشارة إليها من قبل الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد

---

[01] عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي، المصدر السابق، ص. **21**.

[02] هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمر والأصبحي نسبه إلى قبيلة ذي أصبح اليمنية وهو إمام أهل المدينة وأهل الحديث ولد بالمدينة سنة **93**هـ، **711**م أخذ العلم عن نحو **100** شيخ، توفي يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة **179**هـ – **795** م.، ودفن بالبقيع، انظر مالك بن أنس الأصبحي. الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيـف. بـيروت: دار القلم، د.ت.، ص. **09**.

[03] هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك بدر الدين الشافعي الأندلسي المتوفى **672**هـ، **1273**م، كان صدراً في النحو والمعاني والبيان أنظر: ابن مالك الأندلسي. ألفية ابن مالك، بيروت: دار الكتب العلمية، **2001**، ص. **03**.

الرحمان البلبالي حيث قال: "...**ثم ابتدأت عليه خليلا قـــراءة وسماعـــاً والقلصادي إلى الجزر وألفية ابن مالك...**"[01].

أما من حيث الكتب التي اهتمت بتدوين الأحاديث النبوية فعادة ما يقرأها الطالب بعد ما يتمكن من العلوم الشرعية واللغوية ونذكر منـــها على سبيل الذكر لا الحصر

الصحيحان:

أ- صحيح البخاري:

هو كتاب في الحديث النبوي الشريف اسمـــه الكامـــل "**الجـــامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى عليه وسلم وسننه وأيامه**".

وبلغ هذا الكتاب حد التقديس في مدينة جني بغربي إفريقيا ومدينة تمبكتو وكان على رأس الكتب التي أولاها علمـــاء وطـــلاب المنطقـــتين -توات والأزواد- عنايتهم واهتمامهم وصاحب الكتاب هو محمد بـــن إسماعيل[02].

---

(01) محمد عبد العزيز البلبالي، مخطوط نوازل الغنية، ص. 06.

(02) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزديه كان أجداده فرساً على دين المجوس وأول مـــن أسلم من أجداده المغيرة أسلم على يد اليمان الجعفي وإلى بخارى وولد ببخـــارى ســـنة 194هــــ-809م، حفظ القرآن وهو ابن عشر ثم بعد ذلك اشتغل بجمع الحديث من جميع الأمصار أنظر: أبـــو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري. بيروت: إدارة الطباعة المنبرية المكتبة الثقافيـــة، د. ت. ص. 02.

ب- صحيح مسلم:

وهو كتاب في الحديث اهتم بجمع الأحاديث الصحاح وصاحبه هو الإمام مسلم[01] ويحتوي هذا الكتاب على أربعة آلاف حديث من غير المكرر وبالمكرر خمس وسبعين ومئتين وسبعة ألاف حديث.

وفيما يخص علم التفسير فيدرسه الطالب عند انتهائه من حفظ القرآن فيقوم الشيخ بتفسير معاني الآيات معتمدا في ذلك على الكتب المتداولة في المنطقة: ومنها من الكتب التي اشتهرت في تفسير القرآن بمعاهد توات والأزواد، التفسير المشهور بالجلالين نسبة إلى العالمين جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي المصري وجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلى المصري الشافعي المتوفى سنة **864**هـ- **1459**م[02].

ولقد إهتم شيوخ الزوايا بالتفسير فصاحب مخطوط درة الأقلام يذكر في ترجمته للشيخ محمد بن أحمد البداوي بن محمد المحضي بن عبد

---

[01] هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبير -النيسابوري- نسبة إلى نيسابور بفتح النون وهي أشهر مدن خرسان ولد رحمه الله سنة **204**هـ- **819**م وهو عام وفاة الإمام الشافعي وتوفي الإمام مسلم -سنة **261**هـ- **874**م، في شهر رجب روى عنه الترمذي حديثاً واحداً وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول انظر : أبو الحسن مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. د.م.: مطبعة دار الكتب العربية، د.ت.، ص. **144**.

[02] أحمد مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص. **437**.

الكريم بن البكري أنه كان "**رحمه الله أصولياً مفسراً محدثاً**...."[01]، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يشر إلى التفاسير التي اعتمدوها إلا ما كان من تفسير الجلالين الذي نال صاحباه شهرة بالإقليمين.

أما فيما يخص المنطق فقد اعتمدت مخطوطات الشيخ بن عبد الكريم المغيلي على هذا الجانب وهي:

رجز المغيلي:

هونظم في المنطق ومؤلفه محمد بن عبد الكريم[02] قام بشرح هذا الرجز الفقيه محمد بن محمود أقيت والفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت[03] ويلاحظ أن هذا الرجز كان من أهم الموارد الدراسية في الفلسفة في غربي إفريقيا في هذه الفترة وعرفت هذه المادة بعدة أسماء فأحياناً يشار إليها بالبيان والمنطق أو بإحداهما[04].

---

[01] محمد بن عبد الكريم البكراوي. مخطوط درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة ابن عبد الكبير المطارفة، ص. 32.

[02] محمد بن عبد الكريم المغيلي ولد بمغيلة –تلمسان– درس على يد والده سيدي أحمد عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب وتتلمذ على يد أبي العباس الوغليسي ثم أرتحل إلى بجاية وأخذ عن مشائخها أشتهر بحربه مع يهود توات وطردهم منها كما كان له نشاط دعوي في غرب إفريقيا، أنظرمحمد بن عبد الكريم المغيلي اللجنة الولائية الخاصة بالأيام الدراسية الأولى للشيخ المغيلي زاوية الشيخ 13 / 14 / شعبان 1405هـ 3 / 4 / ماي 1985 ص. 06.

[03] عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي، المصدر السابق، ص. 40.

[04] أحمد مهدي رزق الله، المصدر السابق، ص. 442.

نظم العبقري وهو نظم أوزانه من بحر الزجر يشتمل على أحكـــام السهو في الصلاة عدد أبياته **159** بيتاً ونظّمها عبد الله بن محمد بن أُبَّ[01]

أما من حيث العقيدة فقد اعتمدت عقيـــدة الـــسنوسي اعتبارهـــا تستنبط مبادئها من العقيدة الأشعرية:

عقائد السنوسي:[02]

وهي مؤلف يشمل علم العقيدة وأولها تأليفا العقيدة الكبرى المسماة "**عقيدة أهل التوحيد**" وقد وضع لها شرحاً وبعدها ألف العقيدة الوسطى مع شرحها أما العقيدة الصغرى فقد كانت أشهرهم وعنها يقول التنبكتي "**من أجَلِّ العقائد لا تعادلها عقيدة**"[03].

أما المدائح الدينية فكانت عديدة وأشهرها التي يتداولها الطلاب ليلة الجمعة في كل أسبوع وتقرأ في الأعراس.

---

(01) محمد بن أُب بضم الهمزة بن أحمد بن عثمان ينتسب إلى زُمُورة من أرض البرابرة المخزومي القريشي فزمورة أصل بلاده الأولى وهو من قبيلة مخزوم، قبيلة شهيرة في قريش، كان مسقط رأسه بأولاد الحاج بأولف فهو محمد الزموري نسباً التواتي داراً ومدفناً توفي رحمه الله يوم الاثنين العاشر من جمادي الثانية سنة ستين ومائة وألف للهجرة بتيميمون في ولاية أدرار انظر:محمد باي بلعالم. الرحيق المختوم لنزهـــة الحلوم. باتنة: مطابع عمار قرفي، د.ت.، ص. **1-2**.

(02) هو محمد بن محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي واشتهر بالـــسنوسي –نـــسبة إلى قبيلـــة مغربية– الحسنى نسبة للحسن بن علي رضي الله عنهما ولد سنة **832**هـ، **1428**م، تـــوفي ســـنة **395**هـــ، **1490**م، بتلمسان أنظر مهدي رزق الله، المصدر السابق، ص. **442**.

(03) أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ص. **301**.

البردة:

وهي قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كما تضمنت ذكر بعض معجزاته وكذا التوسل به صلى الله عليه وسلم وصاحبها هو ناظم قصيدة الهمزية[01].

الهمزية:

وهي متن في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فيها البوصيري مناقب المصطفى وذكر جملة من معجزاته وهي التي أشار إليها أحمد طلاب محمد بن عبد الله الادغاغي حيث قال "...**وأما التهذيب والتفسير فنختمه دائماً، وكذلك عقيدة الإمام السنوسي الصغرى وكذلك البردة والهمزية وابن مالك**"[02] وقد بلغ تعداد أبياتها إلى **453** بيت، ومما تجدر الإشارة إليه أن مشايخ إقليم توات والأزواد قد اعتمدوا في مذهبهم الفقهي على فقه مالك وساروا في إختيارهم للرواية التي إشتهر عنه القراءة بها وهي: رواية ورش[03].

---

(01) هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي ولد سنة 608هـ- 1297م، وتوفي سنة 696هـ، وقيل 697هـ، 1296م-1297م، أنظر: أبو العباس محمد التيجاني. الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية. بيروت: الدار النموذجية، 2002، ص. 03.

(02) محمد بن عبد العزيز البلبالي ، المصدر السابق، ص. 06.

(03) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن عمر بن سليمان بن إبراهيم وقيل هو عثمان بن سعيد بن عزوان بن دوواد بن سابق القبطي المصري مولى الزبير بن العوام ولد سنة 110 هـ- 728 م بمصر من شيوخه الذين أخذ عنهم نافع بن آبي نعيم وتوفى بمصر عام 197 هـ- 812 م ودفن بالقرافة=

ولما كانت القراءات من أهم العلوم وأجلها قدرا أرفعها مترلة لأنها متعلقة بكلام الله فتهتم بكيفية أداء اللفظ القرآني مهما اختلفت القراءات، فهي علم تختص بكيفية أداء القرآن الكريم.

تتميز رواية ورش بأنها من أوثق القراءات وأصحها سندا وهذا ما جعلها مختارة في المناطق الصحراوية وهذا بسبب دقة منهجها في اختيار قراءتها وبكونها متأثرة بلهجات الحجاز العربي فيما تكلموا به، وقد تميزت بظاهرة الإمالة في القراءة.

وقد تعرضت هذه الرواية للقدح من طرف النحاة لأنها بها شواذ لغوية لم توافق القواعد النحوية غير أن ذلك لم ينل منها طالما هي متواترة.

وقد كانت هذه القراءة تعكس ألوانا مختلفة من اللغة العربية ولهجاتها وظهر ذلك في تصريفها للأفعال والأسماء العربية والأعجمية، وهذا ما يجعل رواية ورش تحتوي على رصيد لغوي هائل من اللغة العربية وهنا تكمن أهميتها وميزتها التي انفردت بها وجعلت سكان الإقليمين توات والأزواد يقرؤون بها[01].

وهي الرواية التي اشتهر بها إقليمي توات والأزواد وقلما تجد من يقرأ بغيرها ومعنى الرواية هي المنهج الذي أخذ به المقرء، عن شيخه من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها ونجد من ذلك الإشارة إلى هذا

=في أيام المأمون. أنظر رابح دفرور. قراءة نافع وآثارها في الدراسات اللغوية والتفسيرية . – رسالة ماجيستر 1995 / 1996 جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة. ص. 20.

(01) رابح دفرور نفس الرسالة، ص. 187.

العلم وانه كان مما يدرسه الطلاب في قول أحد طلاب توات. وفي رواية أحد الطلبة في كيفية تلقيه لعلم تجويد القرآن... ابتدأت السلكة عليه برواية قالون من طريق المذكور وبقراءتي عليه فتارة يقرأ معي وتارة أقرأ وهو يسمع وكان رضي الله عنه ينبهني على مسائل من التجويد لأنه لا يوجد بالإقليمين من يحسن فن التجويد فكثيراً ما كان ينبهني عن الإخفاء والغنة في النون والتنوين عند حرف التاء المثناة والدال المهملة والطاء وعلى إظهار الغنة فيهما عند الباء الموحدة حتى يسمع لها موت وكذلك في الميم الساكنة... وكان جزاه الله خيراً لا يمل من إعادة التتمة متى قصرت ولا يضجر حتى ختمت السلكة[01].

ويتحصل المتعلم بالزوايا عن طريق شيخه إجازة تثبت استيعابه للمواد التي درسها على شيخه وتتنوع الإجازة إلى:

- إجازة سماعية وإجازة عرض وإجازة كاملة.

إجازة سماعية: وهي تعني أن الطالب يمتلك القدرة على تتبع أقوال العالم وحفظها

إجازة عرض: تعني سرد الطالب على شيخه ما حفظه من معلومات مع استذكار للنصوص ومعرفته بشروحها[02].

إجازة كاملة: فهي عادة ما تكون في آخر مرحلة تعليمية وهي المرحلة التي يصل فيها الطالب إلى ذكر الأسانيد وإرجاعها إلى مصادرها الأولى

---

[01] طيب شاري. فهرس أعلام توات، خزانة كوسام ص. 84.

[02] محمود كعت. تاريخ الفتاش. د.م.: د.ن.، 1961- ص. 180.

ومعرفته للروايات بعد التمكن من العلم الذي يدرسه[01].

هذا وقد جرت العادة أن تمنح الإجازة للطالب في المكان الذي يقطن فيه العالم المانح وقد يرحل الطالب من بلده إلى بلد الشيخ يقصد الدراسة عليه ومنحه الشهادة وقد يرسل الشيخ الشهادة إلى تلميذه في بلده. وقد ترسل الإجازة.

وفيما يلي جزء من إجازة وردت في صحيح البخاري صادرة عن محمد بن أحمد بن الشيخ لأخيه أحمد بن أحمد وهي تبين كيفية منح الاجازات: يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً.

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وعلى ءاله وصحبه وبعد فيقول محمد بن أحمد بن الشيخ وقد أخبرت الأخ محمد أحمد بجميع صحيح البخاري إجازة كما أخبرني به الشيخ الوارد أحمد بن الشيخ قراءة مني عليه من أوله إلى كتاب الإيمان ومن كتاب التفسير إلى آخر الصحيح قال كما أخبرني محمد بن محمود بغيغ بن محمد كورد بجميع صحيح البخاري إجازة وقراءة مني عليه من أوله إلى آخره بدء الوحي وأول كتاب الإيمان ومن هنالك إلى آخر الكتاب إجازة مقرونة بالمناولة قائلاً: كما أخبرني به سيدي والدي الفقيه الإمام محمود بغيغ بجميعه قراءة مني عليه وسماعاً مني بلفظه غير مرة كما

---

(01) عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي، المصدر السابق، ص. 46.

أخبره بذلك شيخه ووالده الفقيه أبو عبد الله الإمام محمود كورد رحمه الله رحمة واسعة قائلاً أجازني بذلك شيخنا الفقيه محمد صالح

بن عبد الرحمان بن الإمام القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج لطف الله بهم أمين[01].

ومما تتميز به الإجازة السابقة أن المجيز يذكر السند المتصل الذي أخذ عنه من أوله إلى آخره.

وفيما يلي نص إجازة لعالم من علماء توات وهو أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن الفقيه سيدي إبراهيم وقد أجاز فيها أحد طلابه عندما قدم إلى بلده –أي بلد الطالب– متوجهاً إلى الحج سنة **1150هـ–1737م** ونصها: بعد سطر الافتتاح:

الحمد لله الذي جعل العلم للعلماء أكرم نسب وأغناهم به وإن عدموا من مال ونسب وجعلهم ورثة أنبيائه فخصهم بأشرف وسيلة إليه وأوثق سبب وجعلهم أمراء على خلقه... إلى أن يقول وبعد فالسند في العلم خصيصة لهذه الأمة وسنة من السنن الماضية وخصلة من الدين الشريف سامية والإقتداء بأهله مطلوب واقتفاء آثارهم مندوب وكان ممن اشتغل بالعلم وتحصيله وقراءته وإقرائه الفقيه الأجل الأديب الأنبل السيد عبد الرحمان بن السيد عمر الذي هو للخيرات مقر، وقد طلب مني أن أجيزه فيما أخذه عني.... فأجزته إجازة مطلقة في كل ما أخذ عني

[01] عبد الهادي المبروك الدالي. "الإجازات العلمية لدى علماء المنطقة: إفريقيا فيما وراء الصحراء". مجلة الدراسات الإفريقية، العدد، 05 يناير2001، ص. 641.

وعممت له في جميع مقرراتي ومسموعاتي من تفسير وحديث وأصول فقه وفرائض ونحو وتصريف وبيان ومنطق وكلام وسر وحساب[01].

ونلاحظ على الإجازتين السابقتين أنهما تبتدئان بالبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ذكر لاسم طالب الإجازة، وأنها تثبت بطلب من الطالب المجاز للمواد العلمية التي أجاز فيها الشيخ الطالب مع سند الشيخ الذي أخذ عنه العلوم.

غالباً ما تختتم بالدعاء و لم تقتصر جهود طلبة توات والأزواد على تحصيل الإجازات من علماء توات فقط بل أن بعضهم سافر إلى الحواضر الإسلامية الأخرى ليحصل على الإجازات من كبار العلماء في العلماء بعد ملازمته أياهم مدة يعودون بعدها إلى توات بعد أن تحصلوا على الإجازات وصاروا علماء يقتدى بهم فأوكلت لهم مناصب في القضاء والإفتاء والتدريس بالإقليمين فالشيخ البكري بن عبد الكريم تعلم على يد مجموعة من الفقهاء الذين أجازوه في علوم شتى أمثال الشيخ قدورة بن إبراهيم والشيخ الخرشي بالديار المصرية[02] وكذلك نجد الشيخ عبد العزيز البلبالي قد ذكر في الغنية بأنه قد تعلم أثناء دراسته العالية كيفية قراءة القراءن على رواية ورش وتعلم الأجرومية وعقيدة الإمام السنوسي الصغرى والكبرى والهمزية للبوصيري وألفية ابن مالك ثم يقول قرأت

---

[01] عبد الرحمان بن عمر التواتي، المصدر السابق، ص. 09.

[02] فرج محمود فرج، الرجع السابق، ص. 89.

خليلا من اوله إلى أخره و كذلك التفسير الذي لا يقرأه إلا كبار العلماء[01].

نستخلص من تعرضنا لزوايا توات والأزواد إلى جملة النتائج التالية:

إن الزوايا مؤسسة روحية إجتماعية إسلامية أهلية تقوم من خلال مجموعة من الهياكل البشرية والمادية بمهام تعليمية وإجتماعية وروحية.

إن قيام الزوايا كان متزامنا مع نشأة القصور والواحات بمنطقة توات مما يجعلها تلبية طبيعية للحاجات الإجتماعية والثقافية والروحية لسكان المنطقة فقد ظهرت أغلب الزوايا مابين القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين زمن ظهور توات وذلك عائد لإستقرار مجموعة من العلماء بالإقليم ساهموا في عمارة المنطقة ومنهم الشيخ سيدي سليمان بن علي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

إن أغلب الزوايا لم تؤسس على طريقة صوفية معينة واعتنت بدورها العادي كنشاط إجتماعي تطعم الطعام وتستقبل الضيوف وتعلم القرآن الكريم وهو الجانب الذي ميزها عموما وكان لها الفضل في تطوير المناهج التربوية من خلال ما يعرف اليوم بالمدارس القرآنية الداخلية الكبرى التي تضم اليوم ما يفوق **60.000** طالب.

ولقد كانت الزوايا بحق أحد الركائز الهامة في نشر الدعوة الإسلامية وذلك لأن منطقة توات كانت مركزاً تجاريا تعج بحركة

---

(01) سرير ميلود، المرجع السابق ص. **151**.

إقتصادية طيلة فصول السنة ما جعلها قبلة للتجار والحرفيين ونظرا لما توليه الزاوية من ترحيب وتكريم لعابر السبيل أصبح لبعضهم دور أساسي في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا هذا فيما يتعلق بالتجار الذين كانوا يقدمون المنطقة ويتجهون صوب إفريقيا ، وقد كان لعلماء المنطقة إتصالات ورسائل مع بعض علماء إفريقيا واتجه البعض من طلبتها نحو بلدان إفريقيا إسهاما في نشر الدعوة الإسلامية.

إن المنهج المتبع في الزوايا يعتبر رائدا في كثير من جوانبه وخاصة منهج تحفيظ كتاب الله القرءان الكريم فقد أثبت جدارته وثمراته بإتفاق القدماء والمعاصرين أما بقية الجوانب الأخرى مثل تدريس الفقه والحديث والنحو والعقيدة فيمكن أن يحافظ على أصولها وثوابتها ويدخل عليها بعض المناهج العلمية الحديثة في تعليمها وتدريسها والإستفادة من مناهج التدريس ووسائله الحديثة وكذلك مناهج التأليف والبحث العلمي، ومع ذلك فبإستطاعة الزاوية أن تخرج اليوم العلماء العاملين كما كونتهم قديما.

لقد لعبت الزوايا في منطقة توات أدوارا إجتماعية وثقافية وعلمية هامة على مدار تاريخ تواجدها تمثلت أهمها في نشر الإسلام واللغة العربية سواء وسط المجتمع التواتي أو المجتمعات المجاورة لصحرائنا كالنيجر ومالي والسنغال وهذا ما يستوجب الآن تفعيل دور الزوايا في إقليمي توات والأزواد وإزالة الغبار عن دورها العلمي والاجتماعي، إضافة إلى تحديث مناهج التدريس والتعليم بها ومدها بالوسائل اللازمة لذلك.

الفصل السادس:

من مظاهر الحياة الثقافية بتوات والزواد «النوازل»

يعتبر القرنان الثاني عشر الهجري والثالث عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي والتاسع عشر الميلادي، أخصب عهود منطقتي توات والأزواد لما ظهر بها من علماء ومؤلفات علمية، وقد تجسدت الظاهرة العلمية بوضوح بإقليم تينجورارين في القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي على يد ثلة من العلماء منهم الشيخ أبو محمد دفين تبلكوزة (ت **1035هـ-1625م**)، والشيخ عبد الله الجوزي (ت **1035هـ-1625م**)، ثم بعدها ورث إقليم توات تلك النهضة الفكرية التي فاضت بعدد من العلماء (**الذين ستتناولهم الدراسة**) في مختلف الفنون خاصة الدراسات الشرعية منها والتي تشهد على ذلك النوازل العديدة كنوازل الغنية والزجلاوي ثم بعدها انتقلت الظاهرة العلمية إلى إقليم تيديكلت تحديدا قصر أقبلي، فظهرت عائلات علمية كعائلة بن مالك وعائلة كنتة.

ولعل تطور هذا النشاط الثقافي والفكري يعود أساسا إلى:

- بعد المنطقتين توات والأزواد عن مراكز الصراع السياسي وتميزهما بالهدوء، مما أتاح المجال للنشاط العلمي وجعل الإقليمين مركز جذب للعلماء الفارين من مناطق الصراع السياسي.
- انتشارالزوايا العديدة في سائر المناطق الصحراوية والتي جمع شيوخها بين العلم والعمل فساهموا في تبسيط المعارف العلمية وتنافست الزوايا في استقطاب الطلبة مما كان له أكبر الأثر في نشر العلم النافع والجاد.
- مساهمة سكان المنطقتين خاصة الميسوري الحال منهم بدعم الطلبة والمدرسين بالأوقاف والهبات وبسط النفقات.

ومما يلاحظ على الحركة الفكرية بالمنطقتين ظهور التنوع الفكري، وإن غلبت عليها العلوم الشرعية خاصة الفقه والتفسير والنحو والتصوف والأصول والتنجيم وهو ما ينم عن تنوع فكري بالإقليمين ومن أبرز العلماء الإقليمين خلال هذه الفترة الزمنية نذكر:

الشيخ سليمان بن علي بن عمر:

ينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد بفاس بالمغرب وكان سبب مجيئه إلى توات أن سكانها طلبوا من شيخه المجيء، فأمر تلميذه سيدي سليمان بن علي بالتوجه إلى توات، وذلك سنة **580هـ**، فوصل إلى عريان الرأس بتسابيت ومنها ارتحل إلى قورارة ثم قصر تيليلان سنة **581هـ** واستقر بأولاد أعمور بأولاد عيسى فتزوج بها وحفر بئرا

ورزق بابن سماه مولاي عيسى وقد ذاع صيته في القصور المجاورة قصر الحدب، والسبخة وبوزان والغربة وزاوية عيسى وميمون وزاوية الغريب وتوريرت وسعد الله والشيخ وأقبور وأولاد بوحفص وأولاد الشيخ أمحمد وأولاد مهدي وأولاد باحو.

وبعد عجزه، انتقل إلى قصر أولاد وشن فتردد عليه أهل تمنطيط، أما ابنه عبد الله فلازم قصر أمدر الذي توفي فيه، أما علي فقطن أولاد مطاع إضافة إلى ابنه عبد الحق أما عبد الصمد فتوجه إلى بلاد التكرور[01] وبقدومه إلى أولاد وشن أصبحت له الكلمة واستطاع سنة**610**هـ-**1213**م. أن يقنع أهل المخزن أن يسددوا بالتقسيط، وذلك بفضل علمه وتقواه وحججه التي أقنع بها هؤلاء من أن سكان توات أناس فقراء، وقد ذاع صيته نتيجة لكرامات فأصبح محطة زوار إقليم توات، وقد وافته المنية سنة **670**هـ - **1271**م.

الشيخ البكري بن عبد الكريم:

ولد الشيخ البكري بن عبد الكريم سنة **1042**هـ - **1632**م، أخذ علم النحو عن الشيخ محمد بن علي الوجروتي وأخذ عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري وعن الشيخ الحاج محمد القاضي التواتي، وله إجازة من الديار المصرية عن الخرشي وأخذ التصوف عن محمد بن عمر البداوي، تولى مهنة التدريس، واستفاد من علمه أبناؤه الأربعة -محمد الصالح، عبد

[01] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. **30**.

القـــادر، محمـــد، عبد الكريم وطلاب كثيرون، وتميز بكثرة اجتهاده في سائر العلوم الشرعية، وتولى القضاء بالديار التواتية ثم كافـــة الـــصحراء، تعرض إلى وشاية لدى السلطان المغربي، وعند مقابلته له كذّب ما نسب له، وقال له السلطان مولاي إسماعيل لا قاضي بعد البكري تـــوفي ســـنة **1133هـــ - 1720م**[01].

الطالب أحمد التواتي: بن محمد بن عمر من بني علي بن عبد الله ثم من بني عيسى بن محمد ثم اشتهر بالتواتي كان صالحا متعبدا مواظبا على العبادات معمرا للأوقات مداوما على الأوراد يخرج إلى خلوته في الضحى ثم بعـــد ذلك يرجع إلى بيته ليطالع كتبه ويتحدث مع أهله ثم ينام، أخذ طريقـــة التصوف الناصرية والغازية والورد عن شيخه سيدي أحمد بن عبد القادر عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي، توفي رحمه الله عـــام ثمـــانية وثلاثين ومائـــة وألـــف (**1138 هـــ - 1725 م**)[02].

الشيخ عمر بن عبد القادر التينلاني:

ولد سنة **1098هـــ - 1686م**، أخذ دراسته الأولى بمـــسقط رأســـه بتينلان أخذ القرآن عن شيخه محمد سالم التواتي، ثم انتقل إلى مدينة فاس التي أتم بها دراسته وأخذ بها التفســـير[03] عـــن شيخـــه محمد بن عبد الله

---

(01) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 20.

(02) أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي. فتح الشكور، تحقيق محمد إبراهيم الكتـــاني محمد حجي، د.م. : د.ن.، د.ت.، ص. 42.

(03) سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 23.

السجلماسي والنحو عن أبي عبد الله محمد بن زكري الفاسي وأخذ البيان عن عبد السلام البناني وعلم الحساب عن محمد بن عيسى إلى جانب علوم أخرى، تولى مهمة التدريس بجامع فاس القرويين ثم انتقل في سنة **1129**هـ - **1716**م إلى تنيلان وتولى بها القضاء والتدريس وأخذ عنه الشيخ أبو زيد الجنتوري وأبو زيد التينلاني ومال في آخر حياته إلى التصوف والاحتجاب عن الناس وله عدة مخطوطات نذكر منها نوازل الغنية، وفتاوى في القضاء وتقييدات على المختصر توفي سنة **1152**هـ - **1739**م.

الشيخ عمر بن محد المصطفى بن أحمد الرقاد الكنتي:

ينتمي إلى الأسرة الكنتية له تقاييد كثيرة فكان لا يسمع شيئاً إلا كتبه، جمع ديواناً من الشعر، أخذ عن الشيخ محمد الصالح بن المقداد، كما استفاد من علمه محمد بن أبَّ والفقيه محمد بن عبد المؤمن والفقيه أحمد بن حمادي والشيخ بن عومر التواتي، تميز بكثرة حفظه للأحاديث والحكم والأمثال والشعر توفي سنة **1157**هـ - **1744**م[01]

الشيخ محمد بن أب الزموري:

ينتمي إلى منطقة زَمُورْ أخذ الفقه عن الشيخ محمد الصالح ابن المقداد والشيخ عمر ابن المصطفى الرقادي بَرَعَ في علم اللغة والنحو والأدب ونظم الشعر أخذ عنه ابنه الشيخ ضيفُ الله والشيخ عبد الرحمن

---

[01] عبد الرحمان بن عمر التواتي، المصدر السابق، ص. 39.

ابن عمر، توفي في العاشر من جمادى الثانية سنة **1747**م - **1160**هـ بتيميمون.

له عدة مؤلفات ألف مختصر الأخضري في باب السهو سماه العبقري وله شرح على الهمزية للبوصيري وشرح لامية ابن المجراد في الجمل وأبيات وتقاييد[01] له حوالي خمسة وعشرون مخطوط ذكرها كتاب قطف الزهرات[02].

ونظم الشيخ محمد بن اب بن حميد على مقدمة ابن آجروم وسماها "**نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم**" وقد وضع عبد الرحمن بن عمر التينيلاني تقريظاً لها في أبيات منها:

إذا رمت نظما يزري بالدر في سلك * فلازم ذرا الشيخ بن أب النسك
بدا فيه فردا بين أعلام عصره * بصوغ قريظ محكم النظم والسبك
وفي نزهة من المحاسن ما ترى * يقرها المصغي إليها ومن يحكي
فقد حوت مع إيجازها لب اصلها * ادام بها نفعا الهي ومالكي

وقد ابتكر بحرا شعريا جديدا سماه المضطرب، نظم عليه قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها:

صل يا إلهي ثم سلم * دائما على خير الأنام
ما دعاك أو لباك محرم * قاصدا إلى البيت الحرام

---

(01) محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص. **30-31**.

(02) محمد عبد العزيز سيد عمر. قطف الزهرات من أخبار علماء توات. الجزائر : دار هومة، **2002**، ص. **112-113**.

ومن براعته في النظم أنه قد نظم عشرة أبيات في المقلـــوب أي في العلم المسمى عند أهل البديع بالمقلوب وجعل لها شرحا مطلعها:

أدرك كلام كابر * رباك مالك ردا

أدب وكف أرسنا * أن سرافك وبدا

فهذه الأبيات تقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس[01].

الشيخ عبد الرحمان بن إبراهيم التواتي:

يرجع نسبه إلى تيطاف من بلاد توات ثم انتقلت أسرته إلى عـــين صالح من بلاد تيدكلت ثم انتقل جده إلى جنتور من بـــلاد تينجـــورارين واستوطنها، أخذ في بلده عن والده وعن ابن عمه الفقيه عبد العالي بـــن أحمد بن عبد الرحمان قرأ عليه المختصر والألفية وأخذ عنه الوقف المخمس الخالي الوسط على طريقة الزجلاوي ولازمه مدة ثم رحل متوجها لمدينـــة فاس فرده أهله ثم لما بلغه قدوم الشيخ أبي حفص رحل إليه فأقام عنده نحو سنة ونصف وقرأ عليه دروساً من المختصر من أوائل البيوع وجمع الجوامع والسلم والتلخيص ولامية الأفعال ودروساً من صحيح البخاري وقرأ عليه الشفا وحضر تدريسه في المختصر والرسالة والآجرومية والألفيـــة وغـــير ذلك ولازمه وانتفع به وهو أجل من أخذ عليه في بلاد توات ثم رجـــع

---

[01] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم...، ص.، 5 – 6.

لبلاده وأقام بها مدة ثم رحل إليه ثانياً وأقام عنده نحو ستة أشهر فقرأ عليه مختصر السنوسي في المنطق وعقيدته الكبرى وحضر أثناء ذلك دروسه في المختصر وغيره ثم رجع إلى بلاده[01] انتهت إليه الفتوى والتدريس في ربوع توات وتينجورارين بعد وفاة الشيخ أبي حفص وكان رحمه الله ملازماً للتدريس مدة عمره إلا ما تعرض له من السفر والمرض درّس التفسير والحديث من الموطأ وعمدة الأحكام وغيرهما وأصول الفقه وفروعه وعلم الكلام وعلم الفرائض والمنطق والحساب والنحو وتخرج عليه جماعة إلا أنه لم يجد ببلاده من الطلبة من يتقن عليه علوم العقول التي هي أغلب عليه لغلبة العجمة عليهم ومنع خبث هوى بلده من يرحل إليه من طلبة توات لأنهم أنجب لقرب لغتهم من لغة العرب وجودة قريحتهم توجه إلى الحج عام **1150**هـ - **1737**م، وتوفي رحمه الله يوم الأحد الثالث من جمادى الأولى سنة **1160**هـ - **1747**م، ألّف رحمه الله نظماً ونثراً ومن ذلك شرحه على المختصر كان قد ابتدأه من النكاح حاشية منها ما يتعلق بكلام المؤلف ومنها ما يتعلق بكلام شارحه الشيخ عبد الباقي الزرقاني وكان شديد النكير عليه حتى كان ينسبه في بعض المواضع لخرق الإجماع، ثم أنه ابتدأه من أول المختصر شرحاً اقتصر فيه غالباً على إسناد مسائله لأحوالها مع الإشارة إلى البحث مع الشرح حيث أحتاج إليه، ومع ذلك لم يكمل ولم يخرج من مسودته ومنها منظومتان في علم

---

[01] عبد الرحمان بن عمر التواتي، المصدر السابق، ص. 6-7.

الكلام واوية ولامية نظم فيهما كلام السنوسي في عقائده وشروحها وهما في غاية الإفادة، ومنها شرحاه عليهما أكثر فيهما من نقل كلام الإمـــام المحقق أبي علي سيدي الحسن بن مسعود الـــسنوسي في حاشـــيته علـــى الكبرى وهما مما يستدل به على مكانته في ذلك العلم، ومنها منظومـــة في قضاء الدين ضمنها مسائل لا توجد مجموعة في غيرها، ومنها منظومة في التصوف ضمنها من التصوف من نقابه السيوطي وخاتمة جمع الجوامـــع وقيل أنه نظم قصيدة في الفرائض[01].

ترجمة الشيخ أبي نعامة:

الشيخ ابن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة القـــبلاوي ولـــد ســـنة **1060**هـــ - **1650**م أسس زاويته بأقبلي فكانت محطة يلتقي فيها حجاج التكرور وحجاج توات لينطلقوا منها نحو البقاع المقدسة توفي بزاوية أقبلي سنة **1163**هـ - **1749**م[02].

ترجمة الشيخ سيدي أحمد الونقالي:

هو محمد بن عبد الله الونقالي يقال أنه أخذ العلوم من الشيخ عمر بن عبد القادر التينلاني فكان يختم مختصر خليل كل **05** أيام، وقد عاصر محمد بن أبي زيان القندوسي والشيخ عبد الرحمان بن عمر والشيخ محمد الراشدي، وقد درس عنه محمد بن عبد الرحمان البلبالي، وعمر بن عبـــد

---

[01] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، المصدر السابق، ص. **36**.

[02] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. **154**.

الرحمان المهداوي والشيخ عبد الرحمان الزهادي، توفي سنة **1174**هـ - **1760**م[01].

ترجمة الشيخ محمد فتحا بن عبد الله الأدغاغي:

ولد سنة **1140**هـ - **1736**م بقصر آدغا، درّس مختلف العلوم الشرعية فكان إماماً من الناحية العلمية والصوفية، كان يختم مختصر خليل مرة في الأسبوع أخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي والشيخ عمر بن عبد الرحمان المهداوي والشيخ عبد الرحمان بن العالم الزجلاوي توفي رحمه الله بأولاد أنقال يوم الجمعة سنة **1175**هـ - **1761**م[02].

الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينلاني:

ولد بقصر تنيلان أخذ علومه من الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني والشيخ عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري والشيخ بن أبّ الزموري والشيخ عمر بن المصطفى الرقادي الكنتي وعن الشيخ أبي العباس سيد أحمد بن عبد العزيز الهلالي، انتهت إليه ريادة الفقه في إقليم توات فكان مجتهداً في المذهب المالكي وكان قاضي الجماعة عبد الحق بن عبد الكريم يعتمد على فتاويه.

فقد نهل من علمه طلبة أجلاء نذكر منهم محمد بن عبد الرحمان والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم الماريني والشيخ عبد الكريم بن علي

---

(01) أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. **149**.

(02) محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. **33-34**.

البكري والشيخ ابن عبد الرحمان البلبالي ومعمر بن العالم الزجلاوي توفي بمصر بعد رجوعه من تأدية فريضة الحج **1189هـ-1775م**[01].

وترك وراءه عدة مؤلفات نذكر منها:

- مختصر السمين ومختصر النوادر ومختصر الدر المصون في إعـــراب القرآن المبين[02].

الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن فتحا الأمر يني:

ولـــد سنة **1123هـ - 1711م**، درس عن الشيخ عبد الكريم بـــن البكري وعن الشيخ عمر التينلاني وعن الشيـــخ بن العالم الزجلاوي كان أحد الشـــيوخ الأربعة بـــتوات ولـــه محـــاورات مع الشيخ عبد الرحمان بن عومر، فكان مصيباً في الفتوى توفي بشهر محـــرم ســـنة **1192هـــ - 1778م**[03].

الشيخ عبد الكريم الحاجب بن محمد الصالح البكري:

ينتمي إلى قصر تمنطيط، أخذ عن عمه القاضي الشيخ عبد الكـــريم بن البكري وعن غيره من العلماء تمكن من العلوم الشرعية فـــاعتبر مـــن شيوخ الشورى الأربعة بتوات فأصبح محط الأنظار في الفتوى، أخذ عنه

---

(01) أحمد الطاهري، المصدر السابق، لوحة 153.

(02) نفس المصدر، ص. 24.

(03) نفس المصدر ص. 35.

عدة شيوخ منهم ابنه محمد بن عبد الكريم توفي في شهر صفر **1193**هـ - **1779**م[01].

الشيخ محمد بن المبروك:

ويعرف بالشيخ محمد بن المبروك البوداوي درس عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينلاني فبرع في الشعر والفقه له أشعار كثيرة لاسيما في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم الذي مدحه في كل البحور الشعرية وله قصائد في الشعر الملحون توفي سنة **1196**هـ-**1781**م[02].

القاضي عبد الحق:

هو عبد الحق بن عبد الكريم البكري تولى قضاء توات بعد وفاة أبيه له مؤلفات نفيسة اعتنى بتعليم لهجات المنطقة كالزناتية والكورية توفي سنة **1210**هـ-**1796**م وهو المراد باسم القاضي إذا أطلق في نوازل الغنية[03].

الشيخ محمود بن الطالب المختار الحجاجي الاوتيدي:

أخذ عن الطالب جدو بن مختار بن الطالب المصطفى ولازمه وانتفع به وكان من أهل الحقيقة والذاكرين توفي رحمه الله في أواخرشهر ذي الحجة الحرام عام مائتين والف تمام القرن الثاني عشر **1200** هـ - **1785** م.

---

[01] نفس المصدر ص. **21**.

[02] احمد الطاهري، المصدر السابق، لوحة **153**.

[03] محمد عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص. **08**.

الشيخ مولاي عبدالمالك (الرقاني):

عبد المالك بن عبد الله الرقاني بن علي بن الزين بن حمو بن الحاج الحسني الرقاني رحمهم الله تعالى، كان مشهور بالولاية معظما - عند الخاصة والعامة – يقرأ القرآن كل يوم في مسجده بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وتقرأ سورة الكهف في مسجده بعد صلاة الجمعة، واظب على صوم الاثنين والخميس تميز بحسن الصوت بالقرآن كثير البكاء رقيق القلب معظم أحاديثه مع الناس في الوعظ وقصص الصالحين أخذ الورد والطريقة عن والده الشيخ عبدالله الرقاني توفى يوم السبت لاثنتى عشرة وقيل أربع عشرة من شهر شوال عام.**1207** هـ – **1792**م[01].

الشيخ الزجلاوي:

هو الشيخ ابن العالم الزجلاوي ينتسب إلى قصر زاجلو ومن أسرة على بن حنيني الأنصاري أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان التينلاني.

توفي بزاجلو بشهر شوال سنة **1212**هـ - **1798**م[02].

ترك مؤلفات في شرح خليل وألفية في غريب القرآن وله نوازل الزجلاوي التي يرجع لها علماء المنطقة وشرح على المرشد المعين[03].

---

[01] **Paul Marty, op. cit., p. 99.**

[02] محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص. 123.

[03] عبد الرحمن بن عمر التواتي المصدر السابق، ص. 16.

الشيخ عمر بن عبد الرحمان الأموي التينلاني:

ولد سنة **1152هـ - 1739م** بقصر تنيلان، رجعت إليه الفتوى بإقليم توات فكان يرجع إليه بعد وفاة الشيخ عبد الحق بن عبد الكريم البكري، توفي بتينلان **1221هـ - 1806م**[01].

الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التينلاني:

ينتمي إلى قصر تينلان، أخذ علومه عن والده وعن شيخه أبي العباس سيد أحمد بن عبد العزيز الهلالي كان إماماً في المذهب المالكي درس أمهات المذهب فكان متضلعا في النحو والمنطق والعروض، تميز بكثرة النَسْخِ للكتب مع التدريس والفتوى رحل إلى زاوية كرزاز وبقي بها مدة وصار من أتباع الطريقة الموساوية ومقدماً لها، له فتاوى كثيرة وراجحة سجلت له في مخطوط الغنية توفي في شهر صفر من سنة **1233هـ - 1817م**[02] بتيس.

الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي:

ولد سنة **1144هـ - 1737م** بقصر ملوكة يعرف بالحاج البلبالي لازم شيخه أبا زيد عبد الرحمان بن عمر فدرس عنه ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ محمد فتحا بن عبد الله الونقالي وكان من أنجب طلابه تولى قضاء الجماعة وأخذ عنه شيوخ أجلاء منهم ابنه الشيخ عبد العزيز والشيخ سيد أحمد الحبيب بن محمد بن عبد لله بن إبراهيم البلبالي، والشيخ عبد الله بن

---

(01) محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 25.

(02) نفس المصدر ص. 31.

عبد الله بن عبد الكريم الحاجب، والشيخ المأمون بن مبارك البلبالي واختار مسائل من الغنية وقرأ الكثير منها توفي في شـــهرجمادى الثانيـــة ســـنة **1244هـ- 1828م**[01].

الشيخ الحسن بن أبي مدين التمنطيطي:

ولد سنة **1186هـــ - 1772م** بقصر تمنطيط، أخذ عن الشيخ محمد بن العالم الزجلاوي اشتغل بالفقه والمنطق، توفي بـــشهر شـــوال ســـنة **1245هـ - 1828م**[02].

الشيخ محمد بن مالك بن أبي بكر الحميري:

ولد بقصر أقلبي بأولف تلقى دراسته بتينلان وقرأ على إمامها محمد بن عبد الرحمان بن يعمر التينلاني وتحصل على الإجازة العلمية ثم رجـــع إلى ساهل بأقبلي استقر بها وتولى الخطابة والتدريس والفتوى وبساهل كـــان يميل إلى التعليم أكثر من التأليف وقد أنشأ أولاده على هذا الأسلوب لأن تلك المنطقة كانت في أمس الحاجة إلى التعليم، فقد قام بمجهـــودات في سبيل نشر العلم وتدريسه توفي سنة **1248هـ - 1832م**.

ورغم ذلك فقد خلف آثاراً علمية –كشروح خليـــل والعاصـــمية والحديث والتفسير والنوازل وأسس الخزانة العلمية بساهل بأقبلي[03].

---

[01] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 32.

[02] نفس المصدر، ص. 35.

[03] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. 155.

الشيخ عبد الله بن محمد عبد الله بن عبد الكريم الحاجب:

يرجع سبب تعلمه أنه سأله أحد العامة قصد امتحانه عن الفرق بين الكوع والبوع فعجز عن الجواب فقيل له أنت ابن العلماء وعجزت عن الإجابة فباع جاريته واشترى بثمنها زاده وقصد الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي الذي درس عليه العلوم الشرعية وتحصل على إجازة منه فألف شرحاً على ابن جماعة وحاشية على المختصر وله تقاييد مختلفة توفي سنة **1261**هـ - **1845**م[01].

الشيخ محمد فتحا بن أحمد البداوي بن محمد المخفي بن عبد الكريم بن البكري:

ولد في **12** ذي الحجة عام **1228**هـ - **1813**م بتمنطيط، أخذ تعليمه عن الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي كان متمكناً في علم الأصول مفسراً مُحَدِّثاً اهتم بتدريس الفتوى تولى الصلاة بجامع أولاد علي بن موسى بتمنطيط توفي سنة **1261**هـ - **1845**م، بين تيديكلت وغْدَامَسْ ذاهباً لأداء فريضة الحج[02].

من أعماله العلمية ترتيب أبواب نوازل الغنية[03].

---

[01] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 26.

[02] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 32.

[03] محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص. 131.

الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي:

ولد عام **1190هـ - 1776م**، درس عن والده الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي وعن الشيخ محمد بن عبد الرحمان التينلاني تولى مهمة تدريس العلوم الشرعية واللغوية أخذ عنه شيوخ أجلاء نذكر منهم ابنه البكري وأبو العباس أحمد البلبالي بن محمد عبد الله بن إبراهيم البلبالي والشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي والشيخ محمد بن سعيد البكري والشيخ الحسن بن سعيد بن عبد الكريم البكري والشيخ محمد بن أحمد البداوي البكري والشيخ محمد بن محمد الجزولي البكري وغيرهم.

انتهت إليه رئاسة العلم بالصحراء تولى قضاء توات يرجع إليه الفضل في جمع نوازل الغنية، توفي في **17** من جمادى الأولى سنة **1261هـ - 1845م**[01].

الشيخ المختار الكبير الكنتي:

ولد بكش أوغال بالأزواد والتحق بالكتاب وهو صغير السن فحفظ القرآن ودرس على عدة شيوخ اشهرهم على بن نجيب وقد أجيز في مختلف العلوم ففي النحو قرأ ابن اجروم والخلاصة والكافية لابن

[01] حمد بن عبد الكريم التمنطيطي، نفس المصدر، ص. **25-26**.

مالك وفريدة السيوطي وفي الفقه درس رسالة بـــن ابي زيـــد القـــيرواني ومختصر خليل والتحفة لابن عاصم.

وفي علم الأصول درس كتاب الورقات لأبي المعالي الجويني وجمع الجوامع لابن السبكي وكافية ابن الحاجب وأما في الحديث فدرس جامع الأصول لابن الأثير وجامع السيوطي والشفا للقاضي عيـــاض وكـــشف الغمة للشوكاني والترغيب والترهيب للمنذري أما في التفسير فقرأ تفسير الجلالين والبغوي، وباب التأويل للخازن، وتفسير ابن عطيـــة، وشـــرح النسفي، والبيضاوي وفي نهاية دراسته اخذ الورد القادري[01].

امتاز الشيخ المختار بقوة الذاكرة والذكاء الحاد وسرعة الفهم مما ساعده على استيعاب المعلومات فاشتهر أمره وخص بالاحترام وقد حافظ على بساطة العيش التي فرضتها عليه الظروف الطبيعية القاسية بالصحراء فكان مسكنه الخيمة ورغم هذا فقد ترك عـــدة مخطوطـــات في مختلـــف الدراسات فمنها اللغوية مثل **"فتح الودود في شرح المقصور والممدود"** وأما الشرعية فأتى بشرح البسملة وشرح الفاتحة وبلوغ الوسع في الآيات التسع وهداية الطلاب والسمو ش الأحمدية والجرعة الصافية في النصيحة الكافية، ونظار الذهب في كل فن منتخب ونزهة الراوي وبغية الحاوي، والأجوبة المهمة لمن له بامر الله همة، وزوال الألباس في طـــرد الوســـواس الخناس، والبرد الموشى في قطع المطاعم والراشي ونفحة الباكي في الـــرد

---

[01] الشيخ سيدي المختار الكبير. فتح الودود لشرح المقصور والممدود، تحقيق مأمون محمد بـــن فكـــان. د.م.: مطبعة زيد بن ثابت، د.ت.، ص. 03.

على علماء تينيالي ولم يهمل جانب التصوف فوضع فيه رسالة، كشف فيها الروح والنفس ورسالة المنصف المبصر، والكوكب الوقاد في فضائل المشائخ وحقائق الأوراد.

كما ترك العديد من الرسائل الإخوانية التي كان يرد بها على من راسله وهي تتعلق بمواضيع اجتماعية واقتصادية وثقافية أغلبها بعث بها إلى أعيان الصحراء وحوض نهر النيجر جمعها ابنه سيدي محمد في مخطوط تحت اسم الطرائف والتلائد بالإضافة إلى القصائد الشعرية المتفاوتة في عدد أبياتها المختلفة في أغراضها وعليه فقد عمل طول حياته على التقريب بين مختلف القبائل بالأزواد وتوات وبهذا فقد امتد نفوذه الروحي إلى لابير. ونيجيريا، والسنغال حيث راسله زعماء الفلان كعثمان دان فوديو، ومحمد بلو الذي بعث إليه بقصيدة جاء في مطلعها:

أبلغ تحياتي لكنتة بأسرها * لا سيما للسيد المختار**

أبلغ تحية مشتك زلاته * للغوث مع أقطار الأخيار[01]**

توفي بمنطقة بولنوار التي تقع حاليا شمال مالي **1226**هـ- **1811**م.

الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار:

هو الابن الخامس للشيخ المختار ولد سنة **1179**هـ - **1765**م، وتربى في كنف والده وتلقى تربية عربية اسلامية وكغيره من اهل توات درس العلوم الشرعية ومن اشهر تلاميذه الشيخ سيدي الكبير مؤسس

---

(01) محمد بلو بن عثمان بن فودي، المصدر السابق، ص. 221.

الطريقة السيدية بموريتانيا هذا وعرف بعلاقاته المسالمة مع مختلف قبائل الصحراء مما جعله محل احترام وتقدير من الجميع وقد مكنه ذلك من انقاذ مدينة تمبكتو من حملة (**الفلان**) سنة **1241** هـ - **1242** هـ - **1825**م - **1826**م وساهم في ابعاد الخطر عن الماجور ليتنق الذي أقام عنده ستة أشهر حماه خلالها من محاولة اغتياله من طرف الطوارق.

وله عدة إسهامات في الحياة العلمية نذكر منها شرحه لتحفة المودود، وترجمان المقال، ورافع الإشكال لشرح الأفعال وفي الدراسات الشرعية وضع مصنف علم اليقين وسنين المتقين وفتوى في الطلاق واجازة الاوراد القادرية وجوابا عن ثلاث مسائل في الورد القادري كما ترك العديد من الرسائل والقصائد الشخصية التي راسل بها اعيان الفلان وبعض افراد قبيلته هذا وقد اشتهر خاصة بجمعه مخطوط الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالد والوالدة ووضع مقدمة للمخطوط وهو مجلد في سبعة ابواب و لم يبق منه سوى القسم الاول ينتهي عند الباب الخامس وتكمن الأهمية خاصة في محتواه العلمي فهو مصدر مهم بالنسبة لهتين المنطقتين خلال هذه الحقبة الزمنية.

توفي رحمه الله سنة **1242**هـ - **1826**م، بمنطقة بولنوار حيث توفي والده ودفن بالمقبرة الكنتية.

الشيخ محمد بن أحمد:

الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي كان عالماً في الفقه والنحو والعروض قضى حياته متنقلاً ما بين الأزواد وأقبلي اتصل بكثير من العلماء في تمبكتو وحوض نهر النيجر له رسائل ومحاورات توفي بمنطقة قطوف بالأزواد سنة **1268هـ - 1851م**[01].

الشيخ أحمد البكاي:

ولد سنة **1218 هـ- 1803م** درس عند جده سيدي المختار الكبير وفي سنة **1264 هـ-1847م** ، أسند إليه قيادة الكنتيين وقد اتبع اسلوب ابيه من حيث المسالمة مع قبائل الصحراء فبفضل سياسته المرنة تحصلت مدينة تمبكتو على استقلالها الداخلي عن الفلان[02] مع إتاوات معينة وفي سنة **1270هـ- 1853م** لجأ إليه المستكشف هنري بارث وبقي تحت حمايته لمدة ثمانية أشهر ووقف أثناءها ضد الهجومات التي شنها عليه ابن أخيه حمادي وأمراء ماسينا بغية إغتياله وقد اضطر الشيخ سيدي احمد البكاي أن يتخذ قرارا بالخروج من تمبكتو. والإقامة بباديتها بعدما تعرض بارث للهجوم من طرف مجموعة لم تكن متفقة مع الشيخ سيدي أحمد البكاي، وفي البادية لاحقه حمادي الكنتي الذي أراد مهاجمته في المخيم الذي نزل فيه، وفي نفس الوقت طالبت إمارة ماسينا بتسليمه لها لتفعل به مثل ما فعلت بالماجور لنق:

---

(01) أحمد الطاهري، نفس المصدر السابق، ص. **155**.

(02) **P. Marty, op. cit. p. 99.**

وعليه فقد وقف أمام الشيخ سيدي أحمد البكاي كـــل الأطـــراف الفاعلة بمدينة تمبكتو وخارجها بهدف تسليم هنري بارث باعتباره رجلاً غريباً عن هذا المجتمع العربي الإسلامي في عاداتـــه وتقاليـــده وأســـلوب معيشته فقد أصبح مصدر شك في مجيئه إلى تمبكتو. إلا أن الشيخ سيدي أحمد البكاي عمل ما في وسعه ليعيش ضيفه هنري بارث في الأمان ما دام قد حل عنده وقد اتضح ذلك من خلال مراسلاته الرسمية ومواقفه مـــن خلال المراسلات التي بعثها إلى الجهات التي تملك سلطة القرار بماسينا وقد نظم الشيخ سيدي أحمد البكاي قصيدة طرح فيها عدة تساؤلات ويجيب فيها عن الجهات التي تريد قتله ويجيبهم فيها عن موقفه من هذا الشخص وهي تضم ثلاثين (30) بيتاً:

وتنصر الضيف من كل السوق فئة * هم أسد في النائيات وسؤدد.

أحقا أنني من عند أحمـــد أحمـــد * محمد سعيد العبد والعبد أسود.

يسائل عن ضيفي ليرجع ضـــيفـــه * ويسليـــه من ماله ويقيـــــد.

فـــإن تاب يوماً فهو خيـــر لهـــم * وإن لم يتب فالأمر لله مسند[01]

والأبيات السابقة توضح الموقف الذي اتخذه الشيخ ســـيدي أحمـــد البكاي أمام أمير ماسينا أحمد الفلاني حين رد رسوله واعترض عن تسليمه

[01] الشيخ سيدي أحمد البكاي قصيدة شعرية يرد فيها على المطالبين بتسليم هنري بارث، تمبكتو مركـــز أحمد بابا، انظر القصيدة بالملحق ص: رقم 814.

له ولقبائل الأزواد من عرب وطوارق وعندما أراد هنري بارث أن يغادر مدينة تمبكتو عرض عليه الشيخ سيدي أحمد البكاي ثلاث مسالك ليعود منها إلى أوروبا:

وقد ضمن الشيخ الحماية لبارث حتى أثناء سفره وخروجه من تمبكتو عن طريق توصيات إلى رؤساء قبائل سيكو تو وكاسينا وكوكو

هذا وقد اشتهر الشيخ أحمد البكاي بمناظرته مع مقــدم الطريقــة التيجانية بمراكش ووضع لهذا مصنف اسماه فتح القدوس شرح فيه الطريقة القادرية ورد على أنصار الطريقة التجانية التي تــسببت فيمــا بعــد في مواجهات عسكرية مع الشيخ عمر الفوتي انتهت بانتصار أحمد البكــاي سنة **1281**هـ - **1864**م مما زاد من شعبيته بتمبكتو ومكنه من مواصــلة مهمة التدريس واستقبال الضيوف الذين اعتادوا زيارته من مناطق مختلفة كما كان ينتقل كثيرا للتوسط والصلح بين القبائل لمكانته وعلاقته الحسنة مع شيوخ طوارق الألمدن القاطنين حول تمبكتو[01].

ومن خلال هذا النشاط يظهر لنا الشيخ أحمد البكاي على أنه رجل قلم لما خلفه من تراث ثقافي كما انه رجل سيف لمواجهته مع الشيخ عمر الفوتي فبقي بهذا خالد الذكر بعد وفاته سنة **1282**هـ -**1865**م.

---

[01] عبد القادر زبادية، نفس المرجع، ص. 78.

الشيخ باي بن عمر بن محمد:

فيرجع له الفضل في ازدهار الطريقة القادرية التي قادها، إظافة إلى تجديده في المذهب المالكي وبهذا أحرز على نفوذ وشهرة في كل الأزواد. وفي نفس القرن الذي توفى فيه الشيخ سيدي المختار كان مولد الباي ابن سيدي عمار بن الشيخ سيدي محمد الذي ولد نحو**1282هـ-1865**م ، وعند موت أخيه سنة **1314هـ- 1896**م أصبح القائد الديني لكنته بعدما تعمق في الدراسة وعيشة الزهدبعيداً عن الأنظار مع كثرة الصيام ، وعلى هذا المنهج كون عدة أجيال على أسس إسلامية مما جعل عدة قبائل من الطوارق تخضع له، وفي **1318هـ- 1900**م أصبح يقيم في **(تليا)** وبعدما خضعت قبائل الكنته للفرنسيين سنة **1317هـ- 1899** م وأصاب الجفاف هذه المنطقة ارتحل إلى النيجر وبقى بعيدا عن مفاوضات فرنسا ظنا منه أن ابتعاده عن **(قاو)** هو سبب كاف لابتعادة عن الفرنسيين .

وفي سنة **1320هـ- 1902**م دخل في علاقات بالمنطقة **(عين زيزة)** مع القائد الفرنسي لبيرين الذي استغل علمه القضائي وراسله لينظر في قضية الخلاف بين قبائل تايتوق، وأهنات، وافوراس أدرار، فبتدخله خفف من حدة التزاع بينهما وعندئذ أصبحوا يقدمون له التزاعات وحولوه إلى القاضي الرسمي بالمنطقة، إضافة إلى كونه داعية للإسلام في أوساط الطوارق الأيفوراس ومقدما في الطريقة القادرية.

الشيخ محمد بن محمد البكري:

ولد سنة **1181هـ- 1771م**، هو محمد بن محمد البكري بن عبد الكريم، درس على يد والده محمد البكري ثم على الشيخ محمد بن علي الأرجوني النحوي تولى تسيير زاوية والده بتمنطيط توفي سنة **1288هـ- 1871م**[01].

الشيخ عبد الكبير بن محمد بن أحمد المطارفي:

درس على يد أبيه محمد علي وعلى علماء آخرين من توات وقد درّس وأفتى إلى أن وافته المنية سنة **1324هـ- 1906م**، بالمطارفة.

الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي:

ولد عام **1290هـ-1873م**، درس على يد والده الشيخ أحمد الحبيب البلبالي، فضلع في علم الروايات والاستخراج من الكتاب والسنة وجميع أنواع القراءات أخذ عنه ابنه عبد الرحمان وابن أخيه محمد بن الشيخ القاضي محمد فتحا، توفي يوم الثلاثاء من شهر ذي القعدة سنة **1329هـ-1911م** بملوكة [02].

---

[01] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. **147-148**.

[02] محمد بن عبد الكريم البكراوي، المصدر السابق، ص. **27**.

الشيخ عبد الله بن أبي مدين التمنطيطي:

ولد عام **1282هـ- 1872**م، أخذ عن الشيخ محمد بن العالم الزجلاوي وعلماء توات كان متمكناً في الدراسات الشرعية وبرز في علم الأصول فقد درّس وأفتى توفي **1331هـ- 1912**م[01].

الشيخ محمد عبد الرحمان السكوتي الملايخافي:

يرجع نسبه إلى أقبلي درس على يد الشيخ حمزة ابن أحمد فكان فقيهاً لغوياً نحوياً أدبياً توجه إلى ورقلة فدرس بها، وتوجه منها إلى البقاع المقدسة فالتقى أثناء ذهابه بالشام بالشيخ النبهاني وتوفي أثناء عودته بمنطقة الينبوع بمصر سنة **1332هـ-1913**م.

وضع أرجوزة سماها "**جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب**" وهي في فن تقسيم التركات وما يتعلق بها من أحكام[02].

له نظم في علم الميراث وقصائد كثيرة ومخطوط في علم المنطق[03].

الشيخ حمزة بن أحمد:

هو حمزة بن أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي ولد سنة **1286هـ- 1868**م درس على يد أخيه الشيخ محمد ووالده الشيخ أحمد وعلى الشيخ

---

(01) محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص. 30.

(02) الشيخ محمد باي بلعالم. كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب. باتنة : مطبعة عمار قرفي، د.ت.، ص. 04- 05.

(03) أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. 156-157.

عبد الكريم التنيلاني والشيخ المختار بن أحمد العالم ومشايخ آخرين اشتغل بالتدريس والفتوى بقصر ساهل وتولى منصب القضاء على تلك النواحي توفي بأقبلي سنة **1335**هـ- **1916**م.

خلف آثاراً علمية تتمثل في رسائل في النصيحة، بعث بها إلى أمـراء الأزواد وله أجوبة في المعاملات، وقصائد كثيرة في الدعاء والتوسل، نظم قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم خالية من الحروف المعجمة.

ترجمة البكري بن عبد الرحمان:

ولد بتينلان ونشأ ودرس بها كان أديباً لغوياً ألّف ديوانا في الشعر وقصيدتين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم توفي سنة **1339**هـ- **1920**م[01].

ترجمة الشيخ محمد الحسن بن محمد (بن أحمد بن محمد بن مالك) القبلاوي:

أخذ علمه عن الشيخ حمزة بن أحمد وقام برحلات عديدة إلى الأزواد وبالضبط إلى تمبكتو وطرابلس بليبيا وساهم في إثراء الخزينة العلمية بساهل فلقد جلب لها الكثير من الكتب والمخطوطات وقد تولى منصب القضاء بعد وفاة عمه حمزة بن أحمد فقد أفتى ودرّس وأجاز، وتوفي سنة **1353**هـ- **1934**م. وقد خلف من الناحية العلمية ألف شرحا على نظم ابن آجروم سماه تفريج الغموم على مقدمة ابن آجروم.

---

[01] أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص. **153**.

الشيخ محمد بن بادي:

فله إسهامات في علوم شتى منها مخطوط "**الشموس الطوالع بظلام ما حدث عند القبور من مناكر البدائع**" ألفه في الستينيات من القـــرن الرابع عشر للهجرة وذلك لما انتشرت بعض الخرافات في صحراء أدغاغ بمالي كما له منظومة في المواريث سماها بغية الشريف في علم الفـــرائض المنيف.

التراث العلمي لمطقتي توات والأزواد:

تتمثل خاصة في المخطوطات المتنوعة التي ظلت تحتفظ بهـــا أســـر تتوارث العلم أبا عن جد كعائلة بن مالك بقصر الساهل والعائلة الكنتية في زاوية بونعامة أو ترجع إلى شيوخ زوايا ورثوها أو جمعوها بواســـطة الاقتناء وهذه المخطوطات متفاوتة في عددها ومختلفة في عناوينـــها إلا أن مخطوطات تيدكلت تشترك في خاصية مع مخطوطات الأزواد وهي تشابه العناوين نظراً لأن إقليم تيدكلت هو نهاية إقليم توات وجسر عبور لإقليم الأزواد ناهيك عن علماء تيدكلت الذين تميزوا بالترحال ما بين الإقليمين والبعض منهم استقر بإقليم الأزواد ثم عاد ثانية لهذا الإقليم مثل أبي الأنوار عبد الكريم التينلاني، هذا ما أدى إلى بروز عائلات علمية بقيت محتفظـــة بالعلم في أسرها وكان من وراء هذا الزخم العلمي الخليط السكاني الذي استقر بهذا الإقليم من مختلف الجهات كليبيا وتونس وورجلان ومتليلـــي

والهقار كل هذه العوامل تركت بصماتها على الحركة الفكرية بـــإقليمي توات والأزواد وأشهر خزائن المخطوطات بتيدكلت هي:

- خزانة عائلة أبا الشيخ بتقراف.
- خزانة الشيخ عبد الرحمان بن محمد البرمكي بأولف.
- خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة.
- خزانة عرق شاش بأقبلي.
- خزانة الشيخ بن مالك بالسَّاهل.
- خزانة المنصور بأقبلي.
- خزانة الطالب دادة بأولف.

أما عن مضمون هذه المخطوطات فإنها تكاد تنحصر في التـــآليف والشروح والدراسات العلمية كالتصوف الذي كثرت شروحه وحواشيه خلال هذه الفترة فأصبح ظاهرة في حد ذاته فكثر إنتاج العلماء نتيجـــة لسيطرة روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية بالإقليمين وتميزها بالزهد والموعظة والالتزام بمبادئ المتصوفين والزهاد فنجد كـــثيراً مـــن الكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات تتناول الأذكار والأوراد والشروح الخاصة بقصائد الصوفية ومن أمثلة ذلك:

- مخطوط التشوف إلى رجال التصوف للشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي يقول في إحدى صفحاته **"من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه لأن الله**

ينزل العبد عنده حيث ما أنزله العبد من نفسه" انتهى من كتابته يوم الخميس **03** شعبان **1273**هـ، على يد كاتبه محمد - بن الطاهر الحسني[01].

- مخطوط الجرعة الصافية والنفحة الكافية للشيخ المختار الكنتي يتناول العقيدة والتصوف كتبه علي بن محمد بن عبد القادر[02].
- مخطوط في ذكر الصلاة على النبي وفضائله للشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي نسخة عمر بن عيسى بن حمد بن عبد الله بن خليف الطيار وذلك يوم الجمعة **12** من شهر رمضان **1257**هـ[03].

العلوم الفقهية المتصلة بالفقه المالكي والسائدة بين السكان والمتعلقة بتلك التآليف:

- شرح ابن عامر المسمى الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين نسخ من طرف احنيني بن محمد الحسن بن عبد الرحمان الزجلاوي أتمه يوم الثلاثاء قبل الزوال التاسع عشر من شهر رجب عام **1291**هـ

(01) خزانة سيد أحمد العالم أولف.

(02) نفس المصادر.

(03) خزانة أبا الشيخ أولف.

قال في آخره من وجد فيه تصحيفاً فليعذرني فإنني لست من أهل النحو بل من أهل اللحن[01].

- مخطوط في المعاملات لابن جماعة ناسخه محمد عبد الله بن محمد الأغر وري[02].

- أرجوزة في المنازل الخاصة بأوقات الصلاة وكيفية الزيادة والنقصان وهي خاصة بإقليم توات لكاتبها محمد عبد الله بن محمد بن عومر[03].

- مخطوط في المواريث ألّفه الشيخ محمد الزياني ضاعت نهايته[04].

- مخطوط إرشاد المنتسب إلى معرفة المكتسب لابن سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي وهو شرح القصيدة المسماة معرفة المكتسب وبغية التاجر المحتسب انتهى من تأليفه يوم الخميس أول جمادى الأولى **1022**هـ، بينما انتهى منه ناسخه في أواخر جمادى الثانية **1270**هـ، محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الحنفي كتبه لأخيه سيدي محمد الطيب بن محمد بن سيدي موسى القرافي[05].

---

(01) **خزانة سيدي أحمد العالم أولف.**

(02) **خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيري أولف.**

(03) **خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيري أولف.**

(04) **خزانة عائلة بالشيخ بتقراف.**

(05) **خزانة عائلة بالشيخ بتقراف.**

- مخطوط الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام لعبد الله محمد بن عاصم خطه الحاج عبد الرحمان البرمكي سنة 1272هـ[01].

أما اللغة العربية فهناك العديد من المخطوطات:

- مخطوط منحة الإعراب المسمى تحفة الأخبار وطرفة الأصحاب لمحمد بن محمد عمر الحضرمي مخطوط من طرف عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن الحاج محمد بن عبد الصمد سنة **1353**[02].

- شرح لألفاظ الآجرومية في أصول علم العربية لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري يقول المؤلف "**ينتفع بها المبتدئ إن شاء الله**"[03].

- فتح الودود في شرح المقصور والممدود للشيخ مختار الكنتي.

- مخطوط في اللغة العربية وقواعدها خطه على بن العربي بن محروس بتاريخ **16** من رمضان **1242هـ**.

- مخطوط لصحيح البخاري نسخه أحمد محمود بن الحاج محمد بن أبي بكر انتهى من نسخه يوم الجمعة السابع من شوال سنة

---

(01) خزانة عائلة عبد الرحمان بن محمد البرمكي.

(02) خزانة سيدي أحمد العالم.

(03) خزانة سيد أحمد العالم.

1287هـــ قال في آخره هذا سفر البخاري كانت ملكيته لمحمد بن الحاج محمد الزناني(01).

- مخطوط في مصطلح الحديث بعنوان شرف الطالب في أسمـــى المطالب لابن الخطيب القسنطيني خطه الـــشافعي بـــن عمـــار البلغيثي سنة 1303هـ(02).

تعد المخطوطات المدروسة بإقليمي تـــوات والأزواد عبـــارة عـــن مخطوطات مفردة (**غير متعددة الأجزاء**)، إن بيانات النسخ مـــن اســـم الناسخ ومكان النسخ وتاريخه سمة ظاهرة في مخطوطات تـــوات والأزواد وهي عادة ما تكون في الصفحة (**الغاشية**) الأخيرة في النصف مكتوبـــة على شكل هرم مقلوب (▽) إن اسم الناسخ يذكر عادة بعد انتـــهاء كلام المؤلف ويكون مسبوقاً بعبارات نحو:

"انتهى على يد العبد الفقير الحقير الذليل المذنب الراجي عفو ربه فلان بن فلان".

إن تاريخ النسخ يذكر في كثير من الأحيان بالوقت واليوم والشهر والسنة الهجرية وربما ذكرت السنة فقط، مثلا: مخطوط البرد الموشـــى فى قطع المطاعم والرشا للشيخ المختار الكبير فرغ من تأليفه يـــوم الجمعـــة 1112هـ. إن لتاريخ النسخ أهمية كبرى تتزايد بمرور الزمن فهو المعيـــار

(01) خزانة سيدي أحمد العالم.

(02) خزانة عائلة بالشيخ بتقراف.

الذي يتحدد من خلاله قدم المخطوط وأهميته ومدى الوثوق به من ناحية قربه من عصر المؤلف لذلك نجد معظم النسّاخ اهتموا بإثبات تاريخ الفراغ من نسخ المخطوط.

إن التعرف على أول صفحة من المخطوط هو مايضمن معرفة بدايته وسيسمح بالتأكد من صحته اذا قوُرن بنسخة أخرى والشيء نفسه مع نهاية المخطوط حيث يمكن التعرف على خاتمة النص وعلى اسم الناسخ ومكان النسخ وتاريخه فهي تلقي ضوءاً كاشفاً على تاريخ المخطوط وقيمته ومدى الثقة به وبمؤلفه(01).

إن الخط الذي كتبت به هذه المخطوطات هو خط مغربي يتميز باستقامته وكتابة القاف بنقطة من الأعلى والفاء بنقطة من الأسفل، إن معرفة نوع الخط يمكن أن توظف في تقريب زمن كتابته عندما يفقد تاريخه ذلك أن لكل عصر نوع من أنواع الخطوط التي شاع أكثر من غيره(02).

ومن المشاكل التي تعاني منها مخطوطات الإقليمين أن بعض أصحاب الخزائن يعتقدون أن المخطوطات محل بركة بحيث يتركونها سنوات عديدة دون تصفحها بالإضافة إلى النكبات الطبيعية وخاصة الأمطار، فهناك مخطوطات انمحت بكاملها والبعض الآخر انمّحى جزئياً فكانت ضحية لعوامل التعرية والإهمال بالإضافة إلى أن هناك من أفراد

---

(01) عبد الستار آكلو. المخطوط العربي. جدة: مكتبة مصباح، 1989، ص. 287.

(02) نفس المرجع، ص. 11.

العائلة أو الباحثين من يأخذون مخطوطاًأوأكثر بهدف الاستفادة منه فـــلا يرجعونه لأصحابه كما حدث في خزانة سيدي أحمد العالم بآولف الـــتي يلاحظ الباحث أن الذين أخذوا المخطوطات قامو بعملية انتقائها وأخذوا المخطوطات الهامة وهذا ماأدى إلى عدم الثقة بين البـــاحثين وأصـــحاب الخزائن.

وإن من يقف على تلك الثروة العلمية من المخطوطات العديدة التي تركها علماء توات

والأزواد رغم الصعوبات وعدم وجود الوسائل في تلـــك الفتـــرة يتضح جليا أنهم كانوا في جهاد انتصروا فيه على كل الصعوبات والمشاق، وأنهم نشروا العلم في كل ناحية من نواحي إفريقيا –(**مما كان له الأثـــر البالغ**)– في إثراء الثقافة العربية والإسلامية في الكثير من مناطق غـــرب إفريقيا الآهلة بالعلماء والأدباء حتى جمعت أسماء مشهورين منهم في رسالة الشيخ محمد الحسن القبلاوي وفي تاريخ الشيخ الحاج محمد بن عبد الكريم البكري فوجدوا (**97**) سبعة وتسعين عالما منـــهم المـــدرس والقاضـــي والأديب والمؤلف والطبيب والمجاهد وبفضلهم انتشر العلمـــاء في تـــوات والأزواد وما حولها من الأصقاع وقد تخرج من مدارســـهم وكتاتيبـــهم الكثير من الفقهاء وحفظة القرآن الذين قاموا بدورهم في نشر الإســـلام وتعليمه وتحفيظهم كتاب الله في البوادي والأرياف فقد كـــان معلمـــو القرآن من بلدة أقبلي آولف وتيمي وتينجورارين يتوجهـــون إلى ورقلـــة

ومتليلي وناحية سعيدة وتيارت وغيرها من الجهات كالهقار التي كان بها الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك الفلاني فقد علم فيها واستفاد منه الكثير من أهل الهقار حتى أنه كان يعلمهم العقائد الدينية باللغة البربرية، وكان يجيد حفظ القرآن بكثير من الروايات وله معرفة جيدة لفن التجويد والأداء[01] وكذا بمالي والنيجر وإفريقيا السوداء.

- يعتبر المخطوط وثيقة تاريخية موثوقة شاهدة على مؤلفها وزمن تأليفها والعصر الذي وجدت فيه.
- يعد المخطوط مصدرا للتأريخ لعصر معين ومبينا لجهود العلماء في ذلك العصر.
- يمثل المخطوط إرثا حضاريا يعكس ثراء حضارة أمة في زمن معين ويعبر عن مدى رسوخ قدم علمائها في مختلف الفنون والعلوم.
- تعتبر المخطوطات أحد العوامل التي تسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للأمة، ولذلك حاول الاستعمار قطع الصلة بين الشعب الجزائري وتراثه عن طريق حرق المخطوطات التي لها صلة بالعربية والفكر الإسلامي.

---

(01) محاضرة بعنوان: لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء وأدباء توات للشيخ الإمام محمد باي بلعالم التي ألقاها في الأسبوع الثاني المنعقد بأدرار (13-20) مارس 1980 ميلادي ص (3، 5) وبتصرف.

- ويعتبر الاعتناء بالمخطوطات وتجميعها في مراكز خاصة مما يسهل مهمة الباحثين والمؤرخين ويساعد على كتابة التاريخ من مصادره الموثوقة بسهولة وأمانة[01].

تعتبر المخطوطات رصيدا علميا هاما يظهر مراحل التطور في المجتمع الصحراوي خلال مراحل نشأته من خلال التفكير في تجميع مفكرة تربط المجتمع بماضيه وبأسسه الحضارية، وإذا علمنا أن داخل الخزائن العديدة مجموعات من المخطوطات في مختلف الفنون التي كتبها أسلافنا، وخاصة بعد قدوم بعض العلماء الذين اشتغلوا بالعلم.

كما أن هجرة بعضهم إلى جهات مختلفة لطلب العلم وأداء فريضة الحج فتحت المجتمع على ثقافات متعددة أدت به إلى تكوين رصيد ثقافي وحضاري تجسد أساسا في مكنونات الخزائن اللغوية والأدبية والإجتماعية والعلمية.

لقد مرت المخطوطات وتواجدها بمناطق تـوات والأزواد بعدة مراحل منها:

ولقد لعبت القوافل التجارية والرحالة من أبناء المنطقة إلى جهات مختلفة دورا أساسيا في جلب أعداد كثيرة من المخطوطات ابتداءً من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي[01]، وتتميز مخطوطات هذه

---

[01] عبد الكريم عوفي. تراثنا بين الأمس واليوم. محاضرة ملقاة بملتقى التراث المنعقد بـأدرار في نـوفمبر 1998 م.

[02] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص. 69.

المرحلة بقدمها، وكثرة هوامشها، واستعمالها للحبر الأسود والأحمر والأخضر، وكتابتها على الورق الصيني، وتدوينها بالخط الرقعي والنسخي والكوفي.

وبعدها جاءت مرحلة النسخ في هذه المرحلة لم تتوقف عملية جلب المخطوطات من طرف المصادر المشار إليها بل تخصصت بعض المراكز في عملية النسخ واستعمال الصمغ[01] المحلي الذي يحضر برماد قرن الغزال والوذحُ وزبل الغَزْل وعسل والنقير (**لب شجر معروف بالمنطقة**)، فتحرق الذي تكون عادة الصمغ المحلي الذي يشبه الصمغ الصيني من حيث اللون والأداء، وقد امتدت هذه المرحلة من القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي[02]، ثم بعدها ظهرت مرحلة التأليف وتبدأ في منتصف القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر حيث اتسعت المخطوطات وظهرت في مختلف المناطق وخاصة المخطوطات المحلية التي تمتاز بالشمولية لمختلف العلوم وخاصة في علوم القرآن وتفاسيره، وشرح خليل وعلم النوازل والفتيا في توات والأزواد والعلوم الأدبية والشعرية كما ظهرت المناظرات ومحاورات العلماء، التي هي مدونة إلى اليوم وتبين قوة وذكاء المناظرين ودرجة التحكم المعرفي التي كانوا عليها وفي شيوع الفنون وكثرتها.

---

(01) **الصمغ المحلي يحضر من الوسائل التالية : قرن الغزال – الوذح – زبل الغزل – عسل – النقير.**

(02) **سرير ميلود، المرجع السابق، ص. 191.**

هذه المراحل أفرزت ظاهرة وجود المخطوطات في القصور بتوات والحلة بالأزواد تابعة للمدارس القرآنية والمساجد، أو تابعة للأشخاص حيث نقلت لهم إما عن طريق الإرث وإما عن طريق الشراء، أما العلم الثالث الذي تطرق إليه المشائخ فهو فن التاريخ والتراجم والأنساب والرحلة، ومن الذين كتبوا في التاريخ الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم المشهور باسم (**بن بابا حيدة**) وهو صاحب كتاب (**القول البسيط في أخبار تمنطيط**) وقد أفرده لقصر تمنطيط بصفة خاصة وتوات بصفة عامة[01].

هذا دون أن ننسى صنفا من المعارف كانت له أهمية خاصة لدى شيوخ منطقتي توات والأزواد وهو علم التاريخ والرحلة

مخطوط غنية المقتصد السائل: لجماعة من العلماء منهم الشيخ الحاج البلبالي ويقع المخطوط في جزئين عدد لوحاته ألف لوحة وهو في الأقضية والعادات الاجتماعية.

- البرد الموشى في قطع المطاعم والرشا للشيخ المختار الكنتي يتناول فيه محاربة الرشوة وتاريخ الخلفاء وفنون أخرى كالسنة والأصول والسيرة النبوية ووقائع تاريخية.

- **كفاية المحتاج بمعرفة ما ليس في الديباج:** للشيخ أحمد بابا التمبكتي وهو يعرِّف بالرحال وبه تراجم لعلماء انتهى من تأليفه سنة **1112هـ**.

---

[01] المخطوط مطبوع ومحقق مع كتاب إقليم توات خلال القرنين (**18-19**) لفرج محمود فرج . ديوان المطبوعات الجامعية **1984**.

- **الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد**: للشيخ محمد بن الشيخ المختار الكنتي ويشتمل على تاريخ المختار الكنتي وشيوخه وفيه كثير من المسائل التي كان الشيخ المختار يوجهها لطلابه كالنصيحة[01].

- **مخطوط المغازي**: لأبي عبد الله محمد إسماعيل الواقدي مخطوط من طرف حنيني بن محمد الحسن.

(**درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**) لمحمد بن عبد الكريم فقد تناول فيه أخبار فتح العرب للمغرب كما ألف كتابا في التراجم وهو المعروف (**بجوهرة المعاني فيما ثبت لدى علماء الألف الثاني**) وكتابا في الأنساب ترجم فيه لثمانية وخمسين عالماً وفقيها من المغرب العربي. منهم عشرون تقريبا من إقليم توات، ومخطوط آخر في الأنساب اسمه (**الكواكب البرية في المناقب البكرية**)، وخصه لبيان نسب الشيخ البكري بن عبد الكريم وفيه يرتقي بنسب هذا الشيخ إلى الإمام علي رضي الله عنه، ومن كتب الأنساب أيضا كتاب (**مزيل الخفاء عن نسب بعض الشرفاء**) وقد تعرض فيه صاحبه (**ابن بابا حيدة**) لشرفاء المغرب العربي وربط نسبهم بالبيت النبوي الشريف... ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن فن التاريخ والتراجم كثيرا ما كان متضمنا في موسوعات مع فنون أخرى كالسيرة النبوية والتصوف والأخلاق وفنون أخرى، وذلك

---

[01] خزانة الشيخ باي أولف.

كالموسوعة المسماة (**نزهة الراوي وبغية الحاوي**) وهي في (**واحد وعشرين**) باباً. بها **776** لوحة تشتمل على تاريخ الأمم السالفة والسيرة النبوية وغيرها[01].

وكذلك (**الروض الخصيب شرح نفح الطيب**) في السيرة النبوية والحث على التمسك بالسنة وأفضلية أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو في **690** لوحة[02].

أما الرحلات فنذكر منها رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التينلاني:

بدأها في شهر شعبان سنة **1231هـ-1815م** متوجها من مقر سكناه بتينلان إلى الجزائر، وقد مر بعدة قبائل منها الشعانبة، وأولاد زيد، وأولاد عائشة، الذين رافقوه من تينجورارين إلى المنيعة فمتليلي وغرداية، وقد وصف هذه المناطق من حيث عاداتها وتقاليدها، ثم توجه إلى الجلفة مع عرب أولاد نايل وبعدها إلى مدينة المدية ثم البليدة التي دخل منها إلى مدينة الجزائر واجتمع بها بقاضي المالكية الحاج مصطفى الجزائري، وأثناء وجوده تعرضت الجزائر إلى قصف من طرف الإنجليز، وقد مكث بالجزائر مدة **37** يوما، وصف الأحداث التي انعكست على الجزائر ووهران وعنابة

---

(01) الشيخ محمد باي بلعالم أهداف نشأة الزوايا...، ص. **08**.

(02) نفس المرجع، ص. **08**.

من هذه الغارة حيث قل الأمن وانقطعت القوافل التجارية وقد كتب هذه الرحلة سنة **1244هـ-1828**م، من طرف محمد عبد الرحمان بن محمد بن علي بن محمد التينلاني[01].

يتضح لنا مما سبق أن:

أغلب الإسهامات العلمية كانت في العلوم الشرعية والصوفية من تفسير وقراءات وفقه ونوازل ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القرآن والحديث يستمد منه السكان كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياهم.

أن العلوم الشرعية ظلت تتميز في هذا العهد بالتقليد والتكرار والحفظ فالفقهاء قلما اجتهدوا واستقلوا بآرائهم بل كانوا يقلدون سابقيهم تقليدا يكاد يكون أعمى بالإضافة إلى أن الأساس هو العلوم الشرعية منطلقة في تدريس المذهب المالكي إذ يبدأ دراسته بالمتون المختصرة كابن عاشر والأخضري وتنتهي بالمختصر الخليلي مما جعل الأفق الفكري أضيق عن استيعاب الخلاف والتعدد في الأفكار وهو ماساهم بدوره في حالة الجمود الفكري.

رغم كل ذلك ساهم هؤلاء الأعلام في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية ويتجلى ذلك في عناصر:

---

(01) الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن علي بن محمد التينلاني. رحلة من توات إلى الجزائر، مخطوط بخزانة كوسام تيمي، ص.13.

- الحفاظ على خطة القضاء وما يتبعها من ارتباطات اجتماعية حيث ساهم القضاة في حل كثير من الخلافات الاجتماعية والأسرية.
- إزكاء المكتبة العلمية بمجموعة من المخطوطات والتآليف المفيدة في مجالات شتى.
- ظهور أسر علمية حملت لواء الثقافة والدفاع عن الواقع العلمي ومحاولة تطويره والحفاظ عليه.
- بقاء فقه النوازل على اتصال بحياة الناس ومشاكلهم مما يعتبر جانبا حيويا في الإسهام العلمي لعلماء المنطقة.
- إضافة إلى المساهمة الشرعية للمؤلفات الفقهية فإن لها فائدة في الدراسة التاريخية والاجتماعية خاصة فقه النوازل لما تضمنته من وصف للحالة السياسية والاجتماعية، ولو درست دراسة متخصصة ونقدية لخرجنا منها بتصور كامل عن الحياة الاجتماعية والسياسية للمنطقة.

تعتبر النوازل أهم مظهر للحياة الثقافية لمنطقتي توات والأزواد، هــذا شجعنا على أن نفرد لها فصلا خاصا بهــا لأهميتــها في الحيــاة الثقافيــة والاقتصادية والاجتماعية.

النوازل:

باعتبارها مصطلح فقهي يراد به عند الفقهاء مجموعة مدونات مــن الفتاوى المتعلقة بالمشاكل اليومية وأحكام القضاة فيها بالنسبة منطقة أو فترة معينة، وتكمن أهمية النوازل الفقهية في كونها تعكس الواقع الاجتماعي بكل وضوح وهذا ما جعل النوازل تهتم بالحوادث والوقائع اليومية وترتبط بهــا الناس وتكون إحدى مشاغل الفقهاء في بحثهم عن الحلول الشرعية، ومن هذا التعريف يمكن استخلص جملة من الخصائص التي تتميز بها النوازل.

النوازل تعالج مستجدات الحياة البشرية وما يطرأ فيها من مشاكل وما يعيق سيرها من عقبات ولا يوجد بشأنها نص تشريعي ولا اجتــهاد فقهي سابق، فيجتهد الفقيه بحدة ذهنه ورصيده الفقهي وخبرته بمجتمعــه فيجمع الآراء الفقهية ليجد الحلول لكل حادثة معقدة، ففتاوى النــوازل

تتميز بالواقعية والمعقولية والديمومة المستجدة وذلك بفهم الواقعة وما يحيط بها من قضايا اجتماعية وقرائن مختلفة(01).

إنطلاقا مما جاء به القرآن الكريم أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطبق أحدهما على الكف، فالعلم هو من يتوصل إلى معرفة الواقعة وأول من تطرق إلى باب الفتوى وبين معالتجها هو المولى عز وجل في كتابه العزيز إذ كان يترل الوحي بناء على أسئلة الصحابة ربما كانت تقع لهم من مستجدات فيرجعون للرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه عما نزل بهم وبقيت هذه العادة سنة، فإذا كان يرفع السؤال لأهل العلم فإن كانوا على علم أجابوا وإن جهلوا قالوا لا ندري(02).

فالنوازل أضبط في التعبير وأدق من الفتوى لأنها تشتمل على أسئلة الناس عن الأحكام الشرعية فلها أهميتها من منطلق التفقه والازدياد في العلوم الشرعية.

---

(01) الحسن العابدي. "النوازل الفقهية". مجلة دار الحديث الحسنية العدد 12 سنة 1415هـ/1995م، ص. 187.

(02) محمد بن الحسن الجلول. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج1 المدنية المنورة: المكتبة العلمية 1977م، ص. 28.

مصادر النوازل:

مصادر النوازل هي أمهات المدونات المالكية التي رجع إليها القضاة الذين دونت فتاويهم فيها واختصاصها بالمذهب المالكي راجع للطبيعة المذهبية لقضاء المنطقة والمغرب عموما وبالجملة يمكن التمييز بين نوعين من المصادر:

مصادر الفقه التطبيقي:

وهي الكتب التي تظهر نوازل وقضايا وضعت حقيقة ودونت في كتب منفصلة وهي ما تعرف بكتب النوازل أو الوثائق والشروط. وأما مصادر هذا النوع فهي:

- **الإعلام بنوازل الأحكام**: لابن سهل عيسى بن سهل بن عبد الله الأزدي (ت **486هـ-1093م**).
- **التبصرة**: لأبي الحسن علي بن محمد المعروف باللخمي (ت **498هـ-1104م**).
- **نوازل ابن رشد**: أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد (ت **520هـ-1126م**).
- النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للقاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الأنصاري السبتي.
- **نوازل البرزلي**: لأبي القاسم حمد بن محمد الشهير بالبرزلي (ت **844هـ-1440م**).

- **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**: لأبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي (ت**829هـ-1425م**).
- **شرح القباب: على مسائل الالتزام**: لأبي عبد الله محمد عبد الرحمان الحطاب (ت **954هـ-1547م**).
- **مجالس المكناسي أو مجالس القضاة والحكام**: لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المكناسي.

مصادر الفقه النظري:

وهي المدونات التي تكتب عادة وتدرس من غير أن ترتبط بوقائع حصلت حقيقة أو أنها حصلت و لم ينص عليها إلا من جهة التمثيل وهذه في الحقيقة مصادر الفقه التطبيقي وإن كانت الأولى أنفع للقاضي لإفادتها في تكوين الملكة ومعرفة إجراءات القضاء، وأما مصادر الفقه النظري فهي:

- **المدونة**: لأبي سعيد عبد السلام التنوخي الشهير بسحنون (ت **240هـ-854م**).
- **الواضحة**: لابن مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت **238هـ-852م**).
- **العتبية**: لابن عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبي (ت**255هـ-868م**).
- **الموازية**: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأسكندراني (ت **269هـ-882م**).

- **النوادر والزيادات + الرسالة**: لابن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت **386هـ-996م**).
- **المنتخب في الأحكام لابن أبي زمنين**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت**399هـ-1008م**).
- **المقدمات + البيان والتحصيل**: لابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت**520هـ-1126م**).
- **مختصر ابن الحاجب الفرعي (جامع الأمهات)**: لأبي عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر (ت**646هـ-1248م**).
- **التهذيب في اختصار المدونة**: لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي (ت**372هـ-982م**).
- **التوضيح + مختصر خليل**: للإمام خليل بن إسحاق الجندة أبي المودة (ت**776هـ-1374م**).
- **الذخيرة**: لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت**684 هـ-1285م**).
- **الجواهر**: لأبي محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس (ت**610هـ-1213م**).
- **الشامل**: لأبي البقاء بهرام بن عبد الله الدهيري (ت**805هـ-1402م**).
- **شرح القلشاني على الرسالة**: لأبي العباس أحمد بن محمد القلشاني (ت**863هـ-1458م**).

- **شرح الحطاب على خليل+حاشية الحطاب على الرسالة:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحطاب (ت**954هـ-1547م**).
- **شرح المواق على الحطاب:** لأبي عبد الله محمد بن مواق العبدري (ت**897هـ-1491م**).

تأثير النوازل في الحركة الفقهية:

أسباب اعتماد النوازل:

تستمد النوازل أهميتها، إلى جانب ما تقدم من أسباب وعوامل كثيرة منها.

- شمول أجوبتها واستقصاءها.
- كونها من تأليف علماء أجلاء من المنطقة.
- تضمينها مختلف الأوجه والروايات.
- استناد مادتها العلمية إلى مصادر كثيرة من أمهات كتب المذهب وغيرها.
- ترتيبها وفق ترتيب مختصر خليل

مظاهر تأثير النوازل في الحركة الفقهية بتوات والأزواد:

أ- نعدها مرجعا مهما من مراجع النوازل والأحكام عند المتقدمين والمتأخرين من علماء توات والأزواد .

ب- تداولها بين علماء المدارس والزوايا .

ت- جريانها على ألسنة الفقهاء والمفتين في مجالسهم وضمن فتاويهم وأقضيتهم

جـ – انتشار نسخها المخطوطة ، حيث لا تخلو زاوية إلا وتوجد بها هذه النوازل.

وحتى يمكن الإلمام بنوازل منطقتي توات والأزواد فإننا نحاول حصرها حسب أصحابها وتاريخ تسجيلها

مميزات وأهمية فقه النوازل:

أهمية النوازل: النوازل هدفها تحقيق عمل شرعي أو قانوني فيأتي من بعده تحقيق مصالح المجتمع التواتي والأزوادي ودفعت الضرر عنهم في حدود ما بذله كل فقيه وقاض من عمل اجتهادي أدخل فيه ثمرة فكره العلمي فكان العلماء يراعون المصلحة والأعراف وتطور الإقليمين بفعل المستجدات التي كانت تحدث في إقليمي توات والأزواد في مجالات عديدة من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

فقد انتهجوا مناهج استخدموها في الاستدلال واستنباط الأحكام والرجوع إلى فتوى من سبقوهم فقد وصلوا إلى حلول لمشكلات زمنهم ومعضلات حياتهم المتنوعة، وهذا ما بعث الحيوية والتجديد في الفقه الإسلامي، وفي هذا يقول ابن تيمية (**إن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها**)[01].

[01] بن تيمية .مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد القاسم، ج. 32 الرباط : مكتبة المعارف، د.ت.، ص.251.

ولهذا فقد تصدوا لإيجاد حلول لمشكلات الفترة الزمنية الراهنة خصوصا التي لا نص فيها من الناحية الشرعية ولم يتعرض لها العلماء.

فقد تطرأ على الناس حالة من الخطر بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو الأفراد أو العقل أو المال فعندها إما يرتكب الحرام أو يترك الواجب فيتصدى العلماء لإيجاد الحلول لها[01].

مراعاة أعراف الناس والاعتياد بما جرت عليه عاداتهم من شؤون الحياة ومن هذه القواعد الفقهية التي بنيت عليها اجتهاد المذاهب الإسلامية (**اليقين لا يزول بالشك – المشقة تجلب التيسير**)، فمراعاة العوائد في أحوال الناس وأقوالهم وأزمنتهم تجري عليها أحكام من النصوص المنقولة عن الأئمة وأن الفتوى تختلف عند اختلاف العوائد ولا يجوز طرحها مع اختلافها[02]، وفي كثير من الأحيان يضطر الفقيه إلى معالجة الواقع الفاسد بفتوى تتناسب معه بتوجيه منه يحاول تقويم الاعوجاج **"تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"**.

فالنوازل تساير المجتمعات وتجد الحلول للقضايا التي تحدث لجميع شرائحه، والهدف من الفتوى هو حصر الانحراف في مجالات ضيقة، وصور الفساد تختلف من زمن إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

إن العلماء اتفقوا على أن الأحكام تتبدل بتغير الزمان وعادات المجتمع بناء على قواعد القياس ودواعي المصلحة، فالنوازل هي تلك

---

(01) وهبة الزحيلي. نظرية الضرورة الشرعية. دمشق: دار الفكر، ص. 64.

(02) وهبة الزحيلي. تغيير الاجتهاد. دمشق: دار المكتبة، 2000، ص. 08.

الأحكام الاجتهادية المتعلقة بالمعاملات والأحوال الاجتماعية والاقتصادية وليس معنى هذا أن يخرج العلماء عن الإطار الشرعي، بل يلتزموا ببذل الجهد في دراسة المشاكل العالقة، هدفهم هو فك التراع بين الناس وإزالة أسباب الخصومة بهدف بث روح الاستقرار والطمأنينة بينهم والحرص على ضمان حقوقهم، لهذا شرع الله المعاملات واشترط لها شروطا كي يقف عندها المتعاقدان حتى تنتفع البشرية من بعضها البعض.

تمتاز النوازل من حيث كتابتها بما يلي:

- ❖ الفقه التعليمي يمتاز بالعموم والتجريد، حيث أن الحكم الفقهي يستنبط من نص الكتاب والسنة عاما مجردا غير مرتبط بشخص ولا زمان ولا مكان، وهكذا اهتمت كتب الفروع بترتيب الأحكام الفقهية على حسب أبواب الفقه من أبواب العبارات إلى أبواب الجنايات وما يعلق بها من أقضية وغيرها. في حين نجد أن كتب النوازل تكون قضاياها متزلة على اعتبار الأشخاص والأزمنة والأمكنة، مما يجعلها أكثر ارتباطاً بالواقع من الكتب الفقهية العلمية.
- ❖ كتب الفقه التعليمي متفاوتة المناهج والمستويات، في حين نجد كتب النوازل لا تلتزم منهجا معيناً ولا مستوى معين، فهي تدرج كل ما تحتاجه الإجابة عن السؤال من معلومات علمية مهما علا مستواها وصعب فهمها.

❖ كتب الفقه التعليمي مرتبة الأبواب حسب مواضيع الفقه، في حين نجد كتب النوازل غير مرتبة في الغالب، ولذلك نجد هذا الكتاب (**محل الدراسة**) والموسوم بالغنية لم يكن مرتبا في البداية لانشغال مؤلفيه بالجمع، ثم وقع ترتيبه على أبواب مختصر خليل.

❖ كتب الفقه تعد مصادر لكتب النوازل، في حين لا تعد كتب النوازل مصادر للفقه، بل تكون مراجع للكتب الحديثة المؤلفة بعدها.

❖ النوازل تتعامل مع الأعراف كثيرا لتأثرها بها، أما الأحكام فهي مجردة، فلا تتعلق بالعرف إلا عند تتريلها على الوقائع.

أ- نوازل الزجلاوي لأبي الحسن محمد بن سيدي محمد العالم بن أحمد الزجلاوي:

وتتضمن نوازل الزجلاوي عدة مسائل ما يتعلق:

مسائل الطاهرة والنجاسة، مسألة الصلاة، مسألة الزكاة،مسائل الصيام والأيمان، مسائل النكاح، مسائل البيوع، مسائل الضمان والالتزام، مسائل الشركة والقسمة، مسائل الوصايا والمواريث والعتق والولاء.

جمع محمد بن محمد العالم الزجلاوي من أجوبة والده ومعاصره الأستاذ أبي زيد عمر بن عبد القادر وتلميذه الفقيه المتفنن أبو زيد بن معمر، وربما أضاف من المناسب لغيرهم من العلماء في أعصارهم مع زيادات في

تأييد الجواب أو توهينه[01] ومما يلاحظ أن الزجلاوي عمد إلى ترتيب النوازل حسب الأبواب الفقهية فهو يعرض المسألة بصفة عامة (**وسئل أيضا فيمن تيمم لفرضه ثم أخذ بعد في قراءة الحزب الراتب فإذا مر بسجدة تلاوة فهل يعيد التيمم أم لا**)[02].

عدم الاكتفاء بمحل السؤال بل يتوسع لما يشاكله من القضايا ومن ذلك قوله بعد المسألة السابقة (**وفي هذه الفتيا أيضا ما يرد على كثير من الناس في انتقالهم إلى التيمم ابتداء عندما يعرض لهم وجع؟**).

1- تعليل وتدليل الأجوبة ومن ذلك قوله بعد أن ذكر جواب والده عن مسألة المتيمم يريد سجدة التلاوة بعد فرضه وبعدما ذكر أن والده قال يعيد تيممه قال (**وخالفه بعض معاصريه فيه محتجا بأن المعنى الذي أباح له المكث في المسجد به يستبيح النفل مع طول الفصل وهو أقيس**)[03].

2- ذكر الخلاف والترجيح كما هو ظاهر في البند السابق.

3- نسبة الرأي إلى مصادره الفقهية مثال ذلك قوله (**كان رحمه الله يأخذ في مقدار القامة بسبعة أقدام كاملة وهو مختار بن البناء وابن الشاط وغيرهما من علماء الميقات**)[04].

---

[01] مخطوط نوازل الزجلاوي، المصدر السابق، ص. **01**.

[02] نفس المصدر ص **06**.

[03] مخطوط نوازل الزجلاوي، المصدر السابق ص. **06**.

[04] نفس المصدر، ص. **07**.

مصادر الزجلاوي:

هذه المصادر صرح بها في المخطوط ومعظمها مدونات ومتـــون مالكيـــة معروفة:

مختصر العلامة خليل، حاشية البناني على الزر قاني، مغـــني النبيـــل، المدونة، اللقاني، حاشية الخرشي على مختـــصر خليـــل، الـــشرح الكـــبير للحطاب، الأوجلي في شرح ابن عاشر، التوضيح لابن رشـــد، مجمـــوع الهواري، الموازية، الأجهوري، الفروق للقرافي، الرســـالة لابـــن أبي زيـــد القيرواني، الشبرخشتي، مختصر ابن الحاجب.

ب – نوازل عبد الرحمان الجنثوري:

بدأها بحمد الله وشكره على نعمه ثم استعرض النوازل نازلة نازلـــة حسب محتواها فعلى سبيل المثال كان يستهل النازلة بهـــذه العبـــارة: **(أن البلوى عمت في بلاد توات وقرارة ببيع قضاتها لأصول الهاربين في المغارم وذكر له أحد القضاة تمالؤهم حيث أنهم لم يرو وجها شرعيا يساعدهم في ذلك وتمالؤهم يؤدي بأن له وجها ولعله لم يره هو فتكرر ســـؤاله لـــدي وكلما سأله أجابه، فقال الجنتوري بلسان قلمه (فأردت الآن أن أكشف له عن الغطاء وأبين له وجه بطلان أحكام أولئك القضاة وأنهـــا مخالفـــة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم))**[01].

---

(01) مخطوط نوازل الجنثوري اللوحة رقم **01**.

- ثم بعد ذلك بدأ يبين ويفصل لهذه النازلة بالقواعد الأصولية والفقهية وما ينطوي تحتها من تفصيلات فرعية.

أما طريقة الجنثوري يمكن تسجيل نوازله فهو يبدؤها بحمد الله وشكره وإجلاله وإكباره فصاغها بهذه العبارة (**الحمد لله الذي وعد أئمة العدل يوم لا ظل إلا ظله بالظل الظليل...**)[01] وهذه الديباجة صاغها على حسب موضع النازلة.

- ثم بعد ذلك بين النازلة محل الدراسة أو الإجابة وأحاطها بجميع جوانبها المكانية وأصولها من حيث الاتفاق.
- قال (**أما بعد فلما عمت البلوى في بلاد توات وقرارة ببيع قضاتها لأصول الهاربين في المغارم...**).
- ثم ذكر خطر ومدى عظم الإفتاء بدون علم، وشروط الإفتاء مستندا إلى أقوال العلماء قائلاً: (**قال في الفائق ولا ينبغي لحاكم ولا لغيره أن يمد القلم في فتوى حتى يمثله بهذه المعاني يعني المتقدمة في شأن الأيمان اللازمة...**).
- وقال أيضا (... **انتهى.قال ابن عرفة وكثيراً ما رأيت بعضهم يعلم في النازلة وهو لا يستند في حكمه بنقل يذكره بحال مما استقرئ من حاله إذا رجع في بعض أحكامه لم يذكر مستند**

---

[01] نفس المصدر، ص. 02.

النص ولا الرواية ولا قوله لبعض أهل المـــذهب ولا قياســا عليه اهــ)[01].

ثم بدأ يفصل في النازلة عروة عروة، مع التمثيل لها بالقواعد الأصولية والفقهية، كقوله في تبيين منهجه (**ولنذكر أولا مباينهم ثم ننقضها عـــروة عروة...**) [02].

ج- نوازل الغنية:

وهي تعود إلى الشيخين محمد بن عبد الرحمان المعروف بسيدي الحاج البلبالي، وولده الذي نسبت الغنية إليه، بجمع ما تحصل عندهما من أجوبـــة العلماء من البلاد التواتية خاصة النوازل الواقعة بديوان الشورى، وكذا من أجوبة غيره من المالكية، استمرا على ذلك بكل جهد ومثابرة، فلما تـــوفي الوالد استمر الابن على ذلك، وضم فيها أجوبة أخرى وتقييدات تدل على علو شأنه في هذا المجال وسماها (**غنية المقتصد السائل فيما وقع في تـــوات من القضايا والمسائل**) وكان ممن انخرط في سلكهم وخاض معهـــم هـــذا الميدان، أحمد الحبيب بن محمد عبد الله بن إبراهيم البلبالي، فتهيأ لنـــسخها واستجمع على إخراجها من مسودتها ورتبها على أسلوب، مختصر خليل[03].

أما المنهج المتبع في تسجيل نوازل الغنية فهو يعمد إلى:

---

[01] مخطوط نوازل الجنتوري، المصدر السابق، ص. 02.

[02] نفس المصدر، ص. 02.

[03] الحاج محمد عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني.

أ- ترتيب النوازل حسب الأبواب الفقهية: تصوير النازلة المراد الإجابة عنها تصويرا كاملا مثل قوله: (**ومما وجد بخط القاضي السيد عبد الحق ما نصه، ما تقول في مسألة مولاة هوت عبداً وكان معها على منهج الشيطان وسبله وهي ثيب زوجها عبد وقد فارقها، فلما تمايلا وجهرا بذلك طلب منها أن تنكح العبد المذكور فأبت وقالت أنا حرة وهو عبد، مع أنها ما أبت كرهاً إلا مثله، ونهيا عما هما عليه من الفساد فأبيا، فأهانت حريتها للفسق وصانتها عن عزة الحر، فأفتين لساداتها ومواليها أن يجبروها على النكاح حيث لم يوجد من يرغبها من أكفائه دفعا لمفسدة الزنا بمصلحة الزواج**).

ب- و لا يقتصر منه على المسائل الفردية، بل سجل حتى الاستشارات الواردة على المفتين ويترجم لها بعنوان شورى، ومثل لذلك بقوله شورى جوابها : الحمد لله وبعد، فقد تصفح كاتبه الشورى فظهر لي أن حاصلها الأب إذا قبض صداق ابنته الكبرى.

ت- تعليل الأجوبة والاستدلال عليها:

إن ربط الفروع بأصولها والأشباه بنظائرها يساهم كثيرا في فهم العلل التي بنيت عليها الأحكام، ولذلك نجد مسائل الغنية يكثر فيها التعليل بالفروع الفقهية، ومثال ذلك قوله في باب الولاية (**ثم إذا قلنا بنتقال الولاية عن الأب في النازلة فلا جبر حينئذ لغيره إذ**

الجبر مقصور على الأب في أبكار بناته ومن تــنزل مترلتــه)[01]

وهكذا استدل بقصور الإجبار على الأب أو في من نزل مترلتــه في حال ما إذا انتقلت الولاية عنه إلى غيره، فلا يكون مجبراً إذا لم يكن ممن يجوز لهم الجبر. ثم نجد التعليل أيضا يقع بالقواعـــد الأصـــولية والفقهية، مثال ذلك:

- العلة تدور مع معلولها وجودا وعدما.
- الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها.
- الضرورات تبيح المحضورات[02].

ث- حسن الاستدلال بالنصوص الشرعية (**الكتاب والسنة**)

قوله في الجمع بين الأختين:

وقد قال عثمان وعلي وابن عباس رضي الله عنهم في الجمـــع بـــين الأختين مملوكتين،أحلتهما آية يعني قوله (**إلا مـــا ملكـــت أيمـــانكم**)[03]، وحرمتهما آية يعني بهذه الآية، واستدل بها من أباح الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، لكن الحديث يرده،ثم نقل كلاما، وفيهـــا إحـــلال مـــا عـــدا المذكورات، وفيه رد على من حرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابـــة، ثم نقل ابن عطية في تفسيره، واختلفت عبارة المفسرين في قوله تعالى (**وأحـــل**

---

[01] محمد عبد العزيز البلبالي، الغنية... ص. 60.

[02] نفس المصدر، ص. 59.

[03] قرآن كريم، سورة النساء، الآية 24.

لكم ما وراء ذلكم)[01] **الاستدلال:** بحديث التيسير عند وقوع الضرورة الموجبة الأخذ به، قوله ص **(يسروا ولا تعسروا)** فيجوز له الاعتماد على ذلك والله أعلم[02].

- التوسع والإسهاب في ملابسات القضايا والنوازل وذكر كل ما يتصل بالنازلة من قصص ووقائع، كما وقع في تفصيل الغنية لما يرى في المنام من الوقائع وحكم رؤية النبي عليه الصلاة والسلام في المنام وأنها لا ترفع النص[03].

- إيراد العبارات الأدبية المسجوعة أثناء تعليلات الأجوبة أو التعقيب عليها، مثل قوله: **(وقد عنف القاضي على من أجاز ذلك بما نصه، واعجبا للفقيه! كيف يتجاسر على حمل الألفاظ على ما ليس مراداً بها في عرف الاستعمال ولا في نص الاستدلال من غير نقل يساعد المقال؟ إذ لكل مقام مقال ولكل خطة رجال ولا قوة للسيف إلا في أيدي الأبطال، والعامل على غير السنة أخسر من البطال)**[04].

---

[01] قرآن كريم، سورة النساء، الآية 59.

[02] محمد عبد العزيز البلبالي، الغنية... ص 59.

[03] نفس المصدر، ص. 55.

[04] نفس المصدر، ص. 55.

د- نوزال الشيخ باي الكنتي:

محتوى نوازل الشيخ باي الكنتي:

تعتبر نوازل الشيخ باي الكنتي حلولا لمشاكل عصره لمنطقة الأزواد المتعلقة بالأحكام الشرعية كالزكاة والصيام والحج والمعاملات والطلاق والرضاعة والحضانة، فقد شملت على عدة مواضيع تخص طبيعة المنطقة التي طرحت بها هذه النوازل وتبتدأ نوازله بما يلي:

"سئل رضي الله عنه عن شرح هذه الألفاظ وهي تفي الغرض..."

وتنتهي النوازل عند **"وإن كانت المسألة على غير هذا النمط فأرسل لي بيان حقيقتها مع حامله"**، أما الخط فمكتوبة بخط نسخي في معظم الأحيان دون خلو بعض الصفحات من رقة الخط المؤدي إلى عدم الفهم كما هو حاصل ما بين الصفحة **680** إلى **781**، أما طريقة الكتابة فقد استعمل فيها كلمة مسائل للدلالة على نهاية الفصل وبداية فصل آخر وهناك كلمات كررها من الناحية الكتابية كقوله: **"لتختم - وأجاب - أجاب بما نصه- كتب لبعضهم ...إلخ"**.

إضافة إلى تهميشه يمين ويسار الصفحة بهدف توضيح أو تفسير أو تعليل لوجه من وجوه الصور الفقهية كما جاء في الصفحة **610**، وفي ترقيمه للصفحات فقد سلك طريقة تستند على كتابة آخر كلمة لكتابة لتكون بداية للصفحة التي تليها.

تشتمل نوازل الشيخ باي على ثلاثين مسألة يمكن تصنيفها في التوحيد والطهارة والعبادة والمعاملات ومسائل أخرى فمحتوى هذه النوازل هو:

1- مسائل التوحيد والأوراد وما شابه ذلك، مسائل مآخذ الأوراد وحقيقتها، مسائل من المعفوات وما ضهاها من الطاهر وما فيه، مسائل من الطهارة المائية والترابية وما يتعلق بهما، مسائل النافلة، مسائل الجنازة، مسائل الزكاة، مسائل الصيام، مسائل الحج، مسائل الذكاة وما شابهها، مسائل النكاح، مسائل الطلاق صريحا وكناية، مسائل من الخلع، مسائل من الرضاع، مسائل من الحضانة، مسائل من البيع والسلف، مسائل من القراض والشركة، مسائل من الكراء والإجارة، مسائل من العارية والوديعة واللقطة، مسائل الهبة والصدقة والحبس، مسائل من الحجر والتفليس، مسائل من الغصب والتعدي والسرقة، مسائل من القضاء والشهادات، مسائل مستغرق الذمم والمدارات، مسائل من الجنايات والدماء والحدود ، مسائل من الوصاية والتدبير والعتق، مسائل من الميراث، مسائل من الفطرة، جامع مسائل متفرقة.

بعد دراستنا لنوازل الشيخ باي الكنتي يمكننا الاستفادة منها والرجوع إليها.

تعرفنا من خلال هذه النوازل على العلماء الذين رجع إليهم كابن رشد والمغيلي وهناك شريحة أخرى هي بحاجة إلى الدراسة وقد تركوا مؤلفات ذات أهمية علمية مثل النوازل القصرية والنوازل الهلالية.

فقد أفادتنا نوازل الشيخ باي بالعادات الشائعة بين قبائل الأزواد فتعرفنا على عرف المطلقات حيث لا يحتفظن بأبنائهن وتعطى الحضانة للأب خلافا للمذهب المالكي الذي يعطي حضانة الإبن للأم، كما اهتمت هذه النوازل بتقنين الأحباس باعتبارها موردا هاما لحياة السكان الذي به تسدد نفقات الصالح العام، ويظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن سكان هذه المنطقة بقوا متشبثين بعاداهم وغير مبالين بوسائل الإغراء الغربية، وقد تمثل ذلك في لباسهم المميز باللثام، باعتباره خاصية لذلك المجتمع، ومن هذا يرى الشيخ باي الكنتي أن الأرض مقسمة إلى أربعة أقسام:

أرض إيمان وسنة وعافية، أرض إسلام وظلم وبدعة، أرض شرك وحرف وعافية، أرض شرك وظلم، وله في كل نوع من هذه الأراضي رأي خاص فيما يتعلق بسكناه أو الهجرة إليه.

اهتمت نوازل الشيخ باي الكنتي بالجانب الاقتصادي بحكم ما عرض عليها من قضايا تخص التبادل التجاري ما بين منطقتي توات والأزواد وخاصة ما يتعلق بالمواد التي كانت محل مقايضة كالتبع والتمر وما تعلق من معاملات تجارية كنظام القراط والرهن

والدين وهذا لطبيعة التبادل التجاري بين إقليمي توات والأزواد.

هذا ولا تكتمل الحياة الروحية التي تعبر عنها النوازل إلا بالتعرف بالمؤسسة الدينية التي تصدر عنها الأحكام ويتعلق بنشاطها النوازل وهو مجلس الشورى الفقهي وكذلك العرف ومظاهر الأوقاف التي يتصل وجودها أساسا بأحكام النوازل وآراء مجلس الشورى الفقهي فقد كان

علماء توات يتصدون لإجابة النوازل بعدة طرق، منـــها الفرديـــة ومنـــها الجماعية. ومن بين الذين تصدوا لفقه النوازل بتوات القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري، والذي تولى قضاء توات بعد أن استخلفه والده.

ولما رأى القاضي عبد الحق تشعب المشاكل اليومية في كل مجـــالات الحياة، شكل مجلس الشورى وندب إلى ذلك أربعة من علمـــاء المنطقـــة. وسنذكر أهمية مجلس الشورى المتمثلة:

1- توسيع دائرة الاجتهاد في المسألة محل النظر التي تكون الفتوى فيهـــا أكثر شمولية.

2- تأسيس مبادئ ما يعرف حاليا بالاجتهاد الجماعي.

3- بحث الأوجه المتعددة للقضية محل الدراسة.

4- كثيرا ما كانت الشورى تقع عن طريق المراسلة، حيث يعتمد على خط من وصله الخطاب، ليثبت موافقته أو رأيه في المسألة.

5- إن تسجيل الأجوبة في ديوان خاص اصطلح عليه بديوان الشورى، يكفل ضبط النوازل وتصنيفها وبيان ما يخضع منها للاستشارة.

هذا ما جعل الديوان يستقطب جهود علماء المجلس إذ تصدر منه أجوبة لكل ما كان يحدث في مناطق توات خلال القرن الثاني عشر، إلا أن هذا الديوان لم يرتب ترتيباً فقهياً، بحيث يسهل الرجوع إليه، ولذلك تصدى لترتيبه محمد بن عبد الرحمان البلبالي (**الأب**) المعروف بسيدي الحـــاج، وساعده في ذلك ابنه القاضي محمد عبد العزيز، وهو الذي تنسب إليـــه الغنية في نوازل توات.

أما الأوقاف[01] باعتبارها تقليدا إسلاميا عريقا معبرا عن حياة الجماعة الإسلامية[02].

أما الموقوف عليه: فيرى الحنابلة وبعض الشافعية أن الملكية تنتقل إلى الموقوف عليه وإن كان لا يستطيع التصرف فيها وقد وجه إليهم النقد التالي: ما فائدة الملكية إذا لم يستطع المالك التصرف في مملوكه وهو نفس النقد الموجه للمالكية في حين يرى الأحناف وبعض الشافعية أن الملكية تكون على حكم ملك الله تعالى فليس ملكاً للأشخاص الطبيعيين والاعتباريين.

تأبيد الوقف وتوقيته: يرى المالكية أن الوقف يجوز أن يكون محدد المدة خلافاً للشافعية والحنابلة فعندهم أن الوقف يكون مؤيداً فهم يرون الوقف صدقة جارية ولكي تكون كذلك لابد من تأبيدها والمالكية لا ترى في

---

(01) الوقف لغة الحبس يطلق على ما وُقف ويطلق على المصدر.واصطلاحاً: إعطاء منفعة شيء مدة وجده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً والملاحظ في هذا التعريف عن الوقف أنه يقتصر على إعطاء منفعة شيء ما لخدمة مصلحة إنسانية اجتماعية ما دام ذلك الشيء على قيد الوجود كما نلاحظ فيه أن الملكية تبقى لصاحب الشيء الموقوف ولا يمكن بيعه ولا هبته ولا إرثه.والأصل في مشروعيته قوله تعالى﴿لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أنظر القرآن الكريم، سورة سورة آل عمران الآية 91 وقوله صلى الله عليه وسلم« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح.رقم 1376 ، والزيلعي في نصب الراية. 159/3 وابن كثير في البداية والنهاية 27/11.

(02) ناصر الدين سعيدوني محاضرة بعنوان : تاريخ الوقف ودوره الاجتماعي والاقتصادي، دورة إدارة الأوقاف الإسلامية بالجزائر من 13 إلى 17 شعبان 1420هـ، 21 إلى 25 نوفمبر 1999 ص1-2.

أصل الحبس ما يمنع من تحديد مدته بزمن أما الأحناف فعندهم أن الوقف غير لازم وعليه فلا مانع من أن يكون مؤقتاً أو مؤبداً.

فالوقف نوعان عام وخاص فالوقف الخاص هو ما يحبس لواقف على عقبه من الذكور والإناث ويلاحظ أن بعض أهل توات يحبسون على الذكور دون الإناث في كثير من الأحيان خشية خروج أملاك الأسرة إلى غيرها[01].

أ- **الواقف**: ويشترط فيه أن يكون بالغاً وعاقلاً ولا يشترط عند جمهور الفقهاء أن يكون مسلماً.

ب- **محل الوقف**: يشترط فيه أن يكون مملكية مطلقة للواقف وفي هذا الخصوص تثور مشكلة وقف المال المرهون ونجيب بأنه تكون الإجابة بالنفي لأن هذا المال مهدد بخطر الزوال، كما بثور التساؤل عن المال المشاع والراجح أنه إذا كان غير قابل للقسمة لا يجوز وقفه كما لو كانت سيارة أو طائرة[02].

جـ- **الموقوف عليه**: قد يكون شخصاً طبيعيا أو معنوياً ولا يهم كونه مسلما أو غير مسلم أما الشخص المعنوي فيشترط ألا يكون على معصية كالواقف على الأمور المحرمة.

د- **صيغة الوقف**: تكون صيغة الوقف باللفظ أو الكتابة أو الفعل أو الإشارة من خلال هذا يتبين أن الوقف لا يختلف في صيغته عن

---

[01] محمد طرفاني، المرجع السابق، ص. 4.

[02] محمد طرفاني، المرجع السابق، ص. 5.

التصرفات الشرعية الأخرى ويثور التساؤل عن حكم الصيغة المضافة كقول الواقف أشجاري هذه موقوفة على المرضى بداية من السنة القادمة فهذا الوقف صحيح لكن الصيغة على واقعة محتملة كقول داري هذه وقف على ابني إذا نجح في الامتحان فإن الوقف لا ينشأ[01].

ونظراً لخصوصية الإقليم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد تأثر إقليم توات إلى حد بعيد بالظواهر الإيجابية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية فموقعه الاستراتجي جعله قبلة للتجار والمسافرين وعابري السبيل وطلاب العلم فكان لزاماً على سكان قصور توات إيجاد طريقة مثلى لإيواء الضيوف وإطعام الطعام للآخرين فكان لابد من استحداث مرافق تعين المحتاجين والفقراء من أجل سد رمقهم وإيواءهم بغية منعهم مد أيديهم لكل من هب ودب وصيانة لكرامة هذه الطوائف فوجد على مستوى كل قصر من قصور توات أوقاف تتمثل في البساتين ومياه الفقاقير والبيوت.

ولهذا فإن الأوقاف قد مست عدة هياكل كالزوايا والمساجد والأماكن المقدسة والطلبة والأئمة ونلمس ذلك من خلال نموذج وثيقة وقف الولي سيدي سليمان بن علي والذي يعتبر أول من أوقف بإقليم توات **585** هـ-**1198**م، فقد أوقف هذا الرجل الصالح كل مايملكه من

---

(01) نفس المرجع ، ص. **07**.

مساكن وبساتين ومياه لزاويته[01] وقد حدد هذا الواقف حسب وصيته على مايلي:

أ- يستفيد أولاده وأولاد أولاده مهما تناسلوا وامتدت فروعهم إلا أن يأتي حاكم جائر

أو من أراد أن يوقف وقفه فيقسم على ورثته للذكر مثل حظ الأنثيين.

ب- يستفاد من الوقف لتعليم القرآن والسنة النبوية والفقه الإسلامي.

ت- إعانة كل المحتاجين من عائلته.

ث- يصرف الوقف في تزويج الفقراء والمساكين من أهل الحبس.

ج- إعانة الفقراء على شراء أضحية الأضحى والعقيقة للفقراء والمساكين.

ح- يستفيد الفقراء من وقفه لشراء اللباس مرة في السنة.

خ- بنمو الوقف يشتري منه أملاك للزاوية من بساتين ودور ومياه.

د- يستثمر فائض الوقف لزيادة آبار الفقاقير[02]

نفس الظاهرة تتكرر في جميع قصور توات التي نجد معظم قصورها التي تزيد عن ثلاثمائة وعشرين قصراً تسلك نفس المسلك حتى يتسنى لسكانها إطعام الطعام للفقراء والمحتاجين وتعليم العامة القراءة والكتابة

---

[01] محمد حوتية، محاضرة بعنوان : أوقاف إقليم توات، ضمن أشغال ندوة علمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

[02] وقف الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، خزانة سليماني على بأدغا.

وتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية ونظراً لتكرار ظاهرة الوقف بكل قصور توات ارتأينا أن نسجل وثيقة تخص وقف عائلة عبد الله البلبالي بكوسام وهذا نصها:

نفتتح بالحمد والصلاة على النبي ص وتحدد نوعية الوثيقة في أعلى الورقة ثم يحدد اسم الشاهدين وتاريخ الوثيقة التي كتب فيها وما تم وقفه بالمكان وعلى من أوقفه من ذكور أو إناث ثم تحدد نوعية الوقف إن كان داراً أو بستاناً فيتحدث عن حدوده من جميع النواحي فيحدد إلى من تؤول له حق منفعة الوقف من الأولاد ثم أولاد الأولاد فهو لا يبدل عن حاله ولا يُغَيرُ عن هدفه، وسيعاقب كل من حاول تبديله أو تغييره وختم الوثيقة باسم الكاتب والشهود على ذلك[01].

وهناك وثائق أخرى جاءت مكملة للوقف كوثائق الحيازة التي يحدد فيها اسم الحائز له فلان بن فلان فيتم ما حيز له أمام الشاهدين بالطواف عليه من الجهات الأربع حتى لا يخرج عن الحدود المرسومة له إن كانت أرضاً أو أن يقوم بعمل أمام الشاهدين إن كان بستاناً فيقوم فيه بقطع جريدة نخلة وتصريف الماء، وتسليم المفتاح إن كان مترلا والدخول له والطواف بجميع أنحائه والصعود والهبوط إن كان له سطح ويتم هذا أمام الشاهدين ويحدد اليوم والشهر وتاريخ الحيازة في الورقة[02].

---

[01] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي. وثيقة الحبس، خزانة الشيخ عبد الله البلبالي بكوسام.

[02] الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي، نفس المصدر.

ونفس الشيء بالنسبة للوصية وما إلى ذلك ولهذا فقد كان للوقف تأثير على النشاط الاجتماعي والاقتصادي بإقليم توات يمكن أن نوجزه فيما يلي:

بفضل مردود مداخيل الوقف التي كانت هي الوحيدة فقد فتحت أبواب زوايا لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأعطت لإمام المسجد في العديد من القصور بساتين لاستغلالها من الناحية الفلاحية ليسدد بها متطلباته الغذائية فيعرف **"بجنان الجامع"** وهذا مصطلح خاص بإقليم توات. ولهذا فإن لمداخيل الوقف دور إيجابي في التكفل بالطلبة من الناحية المادية فعندما يلتحق الطالب بالزاوية وهو ابن السادسة فإن أوقاف الزاوية هي التي تضمن له معيشته وإقامته ودراسته مهما مكث بها.

الإحسان إلى الفقراء والمساكين يتكفل المشرفون على الأوقاف باعتبارها عيون خير للمجتمع لمساعدة الفقراء لتزويجهم وإعانتهم على شراء أضحية العيد وتقديم العقيقة وإطعام الفقراء والمساكين وعابري السبيل طول السنة كما تتكفل الأوقاف بشراء اللباس للفقراء مرة كل سنة[01].

العمل على تماسك الأسر: غالباً ما كانت هذه الأوقاف بإقليم توات موقوفة على أسر محددة ينتمي إليها الواقف فيصرف ما أوقفه في أسرته لتتولى تسيير الوقف وليستفيد من هم في أمس الحاجة إليه فعادة ما

---

[01] انظر وقف الولي الصالح سيدي سليمان بن علي خزانة سليماني علي أدغا.

يستفيد الأقربون من هذا الوقف من الفقراء والمساكين فهذه الظاهرة تولد عنها التآخي والترابط مابين الأسر الموقوف لها وفقراء القصر الذين هم في أمس الحاجة للانتفاع بهذا الوقف.

سواء كان وقفا خياريا (**عاماً**) يصرف مردودة على المؤسسات التي يعود إليها، أو وقفا أهليا (**خاصاً**) يؤجل صرف منفعته على المؤسسات الموقوف عليها إلا بعد انقراض العقب وانقطاع نسل صاحب الحبس، هذا وبغض النظر عن نوعية الوقف فقد تعددت المؤسسات الدينية بتعدد الأهداف المتوخاة منها، وبتنوع المهمات التي أوكلت إليها؛ كما اختلفت أهميتها حسب نوعية وعدد الأملاك الموقوفة عليها، وهذا ما يسمح لنا بالتعرض لها انطلاقا من تأثيرها الاقتصادي ومساهمتها في تغطية الخدمات الثقافية والاجتماعية حسب الترتيب[01].

إن طبيعة الأملاك الموقوفة التي يشترط فيها حسب الأحكام الشرعية المنظمة لها صفة اللزوم والديمومة في صرف المنافع المترتبة على استغلالها، استوجبت إحداث هيئة علمية لها حق المراقبة وإقرار ما تراه ضروريا للمحافظة على الوقف من الضياع أو الإلغاء. وقد عرفت هذه الهيئة التشريعية في الوثائق الشرعية للمجلس العلمي حسب ما هو منصوص عليه في العقود الخاصة للوقف وخولت حق الأمر والنهي في كل ما يتعلق بوضعية الوقف، كما أسندت لها صلاحية إصدار الحكم في كل

---

[01] المرجع نفسه ص. 207.

ما تراه يتماشى ومصلحة الوقف من كراء واستبدال وصيانة وإنفاق وغير ذلك[01].

مما سبق يتضح لنا أهمية النوازل في إجاد حلول للمشاكل الاجتماعية وهذا ما جعلها مدونات قانونية تعالج الأوضاع الاجتماعية الخاصة بإقليمي توات والأزواد هب علماء هذه المنطقة يعكسون طبيعة مجتمعهم من خلال الفتاوى العديدة التي كان الناس يسألون عنها فبإقليم تينجـــورارين نجـــد الجنثوري يعكس وضعية القضاء والقضاة وبيع قضاتها لأصول المغارمين أما نوازل الغنية فقد توسعت في الملابسات والقضايا وذكر كل مـــا يتـــصل بالنازلة من قصص ووقائع، وإيراد العبارات الأدبية المسجلة أثناء تعلـــيلات الأجوبة أو التعقيب عنها إذ لكل مقام مقال ولكل خطة رجال. ومما زاد في أهمية ارتباط الفتاوى التي ترتبط بنشاط المجلس وواقع الأوقاف التي كان لها دورا مهما في المجتمعات الصحراوية لما وفرته من دور للعبـــادة وأمـــاكن للتعليم ورعاية لعابري السبيل.

- تعتبر وثائق الوقف بمثابة تراث وطني لا يقدر بثمن ومصدر لا غنى عنه ومادة أساسية للتعرف على الحيـــاة الاجتماعيـــة والاقتـــصادية والإدارية والفكرية والثقافية لإقليمي توات والأزواد فلا يمكن لأي مؤرخ أو باحث التقليل من أهمية قضايا الوقف أو إهمال النتائج المترتبة عنها فهي

---

[01] انظر وقف الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، المرجع نفسه ص. 209.

المنطلق الصحيح لدراسة التحولات الاجتماعية والاقتصادية داخل الإقليم الصحراوي[01].

---

[01] أ.د ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة. ط. 1، 2001 .دار الغرب الإسلامي ص 195. حول الموضوع أنظر: ناصر الدين يعيدوني: الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية للجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل عهد الاحتلال الفرنسي نشر في كتاب "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر. العهد العثماني". الجزائر 1984، ج.1 ص ص149-169.

ناصر الدين سعيدوني: "الأوقاف العقارية لفحص مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل عهد الاحتلال الفرنسي".نشرت في كتاب "دراسات في الملكية العقارية" الجزائر 1986. ص 71-108.

ناصر الدين سعيدوني: "أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري" .نشرت في كتاب "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر" الجزائر 1988. ج 2 ، ص 43-63.





محمّد الصّالح حوتيّة

حوتية محمد الصالح حائز على شهادة ليسانس في التاريخ 1984 ثم شهادة الماجستير بتاريخ 1994 ثم دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر 2004 قسم التّاريخ بجامعة الجزائر، شغل نائب مدير مكلف بالبحث العلمي للمعهد الوطني العالي بأدرار، ثم مدير مركز جامعة التكوين المتواصل. كما أسندت له مهام علمية أهمها رئيسا للمجلس العلمي بالمتحف الوطني للمجاهد بأدرار، رئيسا للمجلس العلمي بكلية العلوم الإجتماعية والإسلامية، وعضو المجلس العلمي للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بالجزائر، وعضو أمانة إتحاد المؤرخين الجزائريين، ورئيسا لوحدة بحث بعنوان الحواضر الإسلامية بتوات وحوض نهر نيجر، يشتغل أستاذا محاضرا بجامعة أدرار، وله العديد من الإسهامات في الملتقيات الوطنية والدولية.

يعالج هذا الموضوع نوعا من الدراسات المتميزة وذلك لكونه يربط مابين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإفريقية، من جهة ومن جهة ثانية يبرز التحدي البشري للظّروف الطبيعية والمناخية القاسية وذلك بوسائل ابتكروها في نظام السقي بالفقارة وروابط اجتماعية متينة نسجوها في الزوايا والزيارات الخاصة بالمنطقة، الأمر الذي جعل لهذا الإقليم خصوصية ينفرد بها عن باقي الأقاليم الأخرى من الجنوب الجزائري.



